تصحيح عقيدة المسلمين «١»

الطير والطيرة

في القرآن والسنة

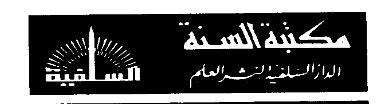
"لا عدوى ولا طيرة"
حديث شريف

تأليف
الدكتورة سهام بنت عبد الله وادي

منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها أشرف حجازي

الطبعة الأولى لمكتبة السنة بالقاهرة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م



دار تراثية للنشر والتوزيع والطباعة والبحث العلمي وتصدير واستيراد الكتب
القاهرة : ٨١ شارع البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين - تليفون ٣٩٠٠٢١٨
فاكس : ٣٩٢٦٩٥٠ - تلكس : TLTHRB UN٢١٧١٩ - ص.ب ١٢٨٩ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

[الإسراء: ١٣-١٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا محمد إمام الموحِّدين، وهادم صرح الشرك والمشركين، وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

أما بعد : فإنني أمسك القلم على استحياء، وأخشى من الكتابة لأول مرة في حياتي .. وترتجفُ يدي عندما أردت أن أكتب مقدمةً لذلك البحث العلمي الجليل... كيف لا ... وصاحبته هي أختي الكبرى، ذات الباع الطويل في العلم والمعرفة والفضل والزهد والتقوى والصلاح... فأجد نفسي وكأنني زورق صغير يسبح في لجّتها، بل أقفُ حائرة على حافة شواطئها... ولكنني أستسمحُها أن أقوم ـ وأنا الأصغر سناً، والأدنى علماً ـ أن أحيي جهدها المشكور واختيارها الموفق لبحث جاء في حينه في زمنٍ أطل علينا فيه الدجل والوهم والشرك برأسه فاغراً فاه مكشراً عن أنيابه، يطل من وسائل الإعلام الحديثة مزيناً بالتزيينات الشيطانية... سُماً زعافاً يشربه الناس في كأس التسلية والمرح... هزيمة للفكر والعقل والمنطق في ميدان الكفر والفسوق والعصيان... تتصدى له الباحثة المجاهدة فتحمل راية التوحيد خفاقة لتدك صروح الشرك وتتعقب أهله في الصحيفة والكتاب والمجلة والأغنية... في الشعر .. في الحياة.. وفي الماضي... والحاضر.. وتخط هذا البحث بأحرف من نور وتنال به درجة الماجستير في الشريعة (في الحياة الدنيا) وأسأل الله تعالى أن تنال به درجة الصديقين والشهداء والصالحين (في الآخرة)... إن أولئك الذين بهرتهم الحياة الدنيا حتى أصبحوا عبيداً لها لَتراهم وهم ينفرون من أهل التقوى والصلاح ويلصقون بهم التهم الباطلة والصفات المنفِّرة مما هي من صفاتهم هم، ومن أبرز تلك الصفات التطرف، والرجعية، والإرهاب، فتجدهم وقد استولى عليهم العجب والكبر

قد تطرفوا إلى الكفر والشرك والإلحاد، كما تراهم إرهابيين ينكلون بأهل الله أينما كانوا ! بل يحاولون اجتثاثهم من الأرض !!!

وتراهم رجعيين يرتمون في أحضان الدجل والشعوذة، ويعتمدون على السحر في قضاء مآربهم وتسيير أمور حياتهم، فتحفل وسائل إعلامهم بعرض البحث والحظ في قالب جذاب (حظك اليوم.. أنت والنجوم .. برجك إيه..)وهكذا . فنسأل أولئك: ما بالكم تنكرون عالم الغيب وتكفرون به بينما تؤمنون بالغيب الذي يتعلق بالأبراج والنجوم؟!! ما المانع للإيمان والتسليم؟ .. إنه الهوى لا أكثر! إنني لا أريد التحدث عن البحث بأكثر من ذلك لأنني لا أملك أن أزيد على ما كتبته الباحثة شيئاً حيث إنها لم تدع مقولةً لقائل !

وإنما أود أن أذكر تعريفاً بفضلها، فهي رائدة التعليم الديني الجامعي للبنات في المملكة العربية السعودية.. في عهد لم تلتمس المرأة فيه علماً عالياً، ولم تتطلع إلى طلب العلم الشرعي من معاهده وجامعاته... كانت الباحثة مغتربة وافدة على السعودية ولا زالت هناك حتى يومنا هذا، ولكنّ طموحها المتميز وحبها للعلم دفعها لأن تكتب خطاباً إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله تعالى، تلتمسُ منه السماحَ بفتح كلية للشريعة تخصّ النساء، وذلك بالرياض، وبيّنت له أهمية ذلك العمل وفضله، حتى شرح الله قلبَه، فأجابها إلى طلبها، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، وهدى ولاة أمورنا إلى ما فيه الخير والصلاح وإعلاء كلمة الله تعالى. فكانت أول طالبة تدرس الشريعة بالسعودية، وقد خُصصت لها غرفة صغيرة مستقلة مزودة (بميكرفون) وسمّاعات تتلقى من خلالها المحاضرات، ولم تكن هناك أي طالبة غيرها ! بل كانت هى الجندى المجهول وراء التقدم العلمي للمرأة بالسعودية، أجزل لها الله الأجر والمثوبة وجعل ذلك كله فى ميزان حسناتها، وهى رغم علمها الغزير لا تحبذ تأليف الكتب، ولولا أن التى بين أيدينا رسالة علمية لما كتبتها.. وذلك لأنها تعتبر (أن تلك الكتب التى تملأ الأسواق تشغل الإنسان عن

قراءة القرآن ولا يخرج مدلولها عمّا أنزل الله ورسوله، فلا داعي لإضاعة الوقت والانشغال بالتأليف وعندنا سيّد الكتب وأشرفها) .. ولولا نظرتها تلك لأضحت مؤلفاتها تملأ رفوف المكتبات، وإننى وأنا أتحدث عنها لأذكر بالفضل والعرفان أنها صاحبة فضل عليّ منذ طفولتي؛ فقد حبّبت إليّ العلم حباً ملك عليّ قلبى، أسأل الله تعالى أن يجعله علماً نافعاً ويؤتيها مثل أجري وأن يجزل لها الخير والمثوبة وحسن الجزاء.

وقد كانت والدتنا رحمها الله رائدتنا في حب العلم والخير والالتزام بالدين، وقد غرست فينا حب القرآن والشوق إلى الآخرة والزهد في الدنيا وعدم الركون إليها أو الاغترار بها منذ نعومة أظفارنا... وكانت ملازمة لكتاب الله تعالى ترتله ترتيلاً، وبلغ بها حبّ القرآن أنها عندما وهنت يداها في مرض موتها جعلت تبكى فجعلت أصبّرها وأنا أظن أنها تبكى من مصابها... فقالت لي: إنني سعيدة بمرضي وراضية به ولكنني أبكي لأنني لا أستطيع حمل المصحف بيديّ لأقرأ فيه !

ثم انتقلت بعدها بأيام إلى رحمة الله تعالى، ورأيتها في المنام مراراً في أحسن حال والحمد لله.. رحمها الله ووالدي وإيانا أحياءً وأمواتاً.

إنني سقت ما ذكرته للعبرة والعظة، ولبيان أن الدنيا فانية ويفنى أهلها، وأن على أهل الدنيا أن يعملوا للآخرة ويقدروا لها قدرها ويكفوا عن التعلق بها والاستغراق في شئونها والانغماس في فتنتها، والاعتبار بأحوال من رحلوا عنها غير آسفين فنالوا السعادة والنعيم المقيم.

وإني أدعو الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به، وينفع به الإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة، وينير أمامهم طريق التفاؤل والأمل، وحسن الظن بالله؛ لقوله ﷺ: « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » [رواه مسلم في كتاب الجنة باب ١٩]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بقلم

الزهراء فاطمة بنت عبد الله

المقدمــة

﴿ الحمدُ لله الذى خلق السماوات والأرضَ وجعل الظلماتِ والنورَ ثم الذين كفروا بربهم يَعْدِلُون ﴾ [الأنعام: ١].

أحمده حمداً كما ينبغي لكريم وجهه، وعزيز جلاله، وأستعينه استعانةَ مَن لا حول ولا قوة إلا به، وأستهديه بهداه الذى لا يضلّ مَنْ أنعم عليه به، وأستغفره لما أسلفت وأخّرت استغفار مَنْ يقر بعبوديته، ويعلم أنه لا يغفر ذنبَه وينجيه منه إلا هو، وأشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، أرسله رحمة للعالمين وحمّله خاتمة رسالاته للناس أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. نسأله سبحانه الذي جعلنا خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

وبعد :

فلما كان لي شرف إعداد رسالة للحصول على درجة التخصص « الماجستير » فى الدراسات الإسلامية، شعبة التفسير والحديث، فقد اخترت موضوع « الطَّيْر والطِّيَرة » وذلك لسببين، هما :

السبب الأول:

أنّ التطير ـ وهو من معتقدات الجاهلية وأدرانها ـ قد أعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية، وبأضعاف مضاعفة، و وسّع دائرة ذلك، وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأتباعهم من هواة الدّجَل والتضليل، حتى أن جميع وسائل الإعلام الحديثة، من مجلات وصحف وكتب وإذاعة وتلفاز، تروّج لهذا الضلال بما تبثه عن غفلة أو سوء نية من سموم تهدُّ كيان المجتمع،

وتتمثل في الدعوة إلى الاتصال بالكهنة والسحرة والمنجمين، وسؤالهم عن الحظ والمستقبل (والبخت)، والاعتماد عليهم في جَلْب خير أو دفع ضر من دون الله تعالى، وما إلى ذلك من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده. بالإضافة إلى عدم التسليم بقضاء الله وقدره فينا: فيما يتعلق بأنواع الابتلاء الذى جعله الله سبحانه وتعالى لحكمة عظيمة يتميز بها الناس بعضهم عن بعض فيما أعطاهم الله من الإيمان والتقوى والصبر، فكثير منهم - والعياذ بالله - يندب حظه وسوء بخته إذا لم تتحقق مطالبه الدنيوية على وفق ما يشتهي ويريد، ويتشاءم إذا أصابته المصائب أو تكالبت عليه النوائب.

وكذا هناك من يتشاءم ببعض الطيور، كالغراب وما شاكله، وإذا صاح قالوا: «خير يا طير» ونحو ذلك، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعرج أو الأعور أو المهزول من الناس أو من به عاهة، وكثير من الناس إذا لقيه أمثال هؤلاء من ذوى العاهات رجع عن حاجته معتقداً عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع لمن هذه صفته إذا جاءه أول النهار حتى يبيع لغيره! تشاؤماً به وكراهة، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيراً قط، كما أنّ كثيراً من الناس يتطير بما يعرض له نفسه في حال خروجه، كما إذا تعثر في طريقه أو نحو ذلك، يرى أنه لن يجد خيراً، فيرجع عن حاجته. ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو الساعات أو الشهور، فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعملون فيها عملاً مهماً ابتداء.

ومن الناس من يتطير إذا افتتح يومه بالإنفاق أو طالبه أحد بذلك، فيرى أنه لن يكسب شيئاً بل وربما يخسر في ذلك اليوم، فيُحَمِّل تَبِعَةَ ذلك للشخص الذى اصطبح به! ويتهمه بأنه جالب للشؤم والنَّحْس.

وكل ذلك من وساوس الشياطين الجنّية والإنسية - أعاذنا الله منهم أجمعين -.

وقد ثبت بطلان ذلك بالكتاب والسنة، والعقل والتجربة، وبيّن الإسلام حكم الطيرة، ونهى أن يترك الإنسان حاجته لأجلها، وبيّن أنها شِرْك، وأنه لا يأتي

بالحسنات إلا الله، ولا يُذهب السيئاتِ إلا اللهُ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، عليه الاتكال، وإليه المآل.

وأما السبب الثاني:

فهو أنّ هذا الموضوع على شدة خطورته على العقيدة الإسلامية من ناحية وعلى تصرفات الناس ومعاملاتهم الشخصية من ناحية أخرى فإن مكانه يكاد يكون فارغاً في المكتبة الإسلامية؛ باستثناء ما جاء في أمهات الكتب من تعريفات وأحاديث وأحكام.

وقد انتفعت بما وجدت في هذه الكتب القيمة في سبك هذا الموضوع على النحو الذي ترونه أمامكم، مستعينة بالله تعالى في كل ما آتى وما أدع، راجية من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا به، وينفع الإسلام والمسلمين في الدنيا والآخرة، إنه سميع مجيب.

ومما جاء في هذه الرسالة ما يلي:

أولاً: خطة البحث وطريقته، وما يستلزم ذلك من مراجع جديدة قد امتد إليها البحث.

ثانياً: الاستعانة بالأدب الجاهلي من قصص وشعر وأمثال في استنتاج أصل الطيرة ونشأتها وتطورها، والتوصل إلى أنها من أعمال الجاهلية المحضة.

ثالثاً: دفع شبهة وردت في بعض المراجع عن السيدة عائشة أم المؤمنين اتهمت فيها بالتطير وهى بريئة من هذه التهمة بالأدلة والنصوص الثابتة الصحيحة.

رابعاً: نقد جميع وسائل الإعلام الحديثة في وطننا الإسلامي وبيان أثرها المدمِّر على عقول الأمة الإسلامية ما بيْنَ كبير وصغير، مما يدعو المسئولين عن هذه الأجهزة والقائمين على الأمر فيها إلى تقوى الله عز وجل وإعادة النظر في كل ما يقدم للأمة، لأننا مسئولون جميعاً أمام الله عز وجل، عن أعمالنا وأقوالنا.

خامساً: استنتاج حقيقة الطيرة من الأدلة المختلفة، وعلى رأسها القرآن، والتوصل إلى أنها غريزة مكتسبة تتلاشى من النفوس المؤمنة بالله عز وجل، وتتسرب إلى النفوس التى يضعف إيمانها، وبالتالي فقد دللت بالنصوص المختلفة على بطلانها

وفسادها، ووجوب تركها.

سادساً: في أثناء كتابتي لهذا البحث صادفتني بعض الأحاديث التي توهم بالتعارض، وقد أوردت آراء العلماء في التوفيق بين هذه الأحاديث، ثم رجحت أقواها وأقربها للصواب، وبيّنتُ وجه الإعجاز في قوله ﷺ : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد» [1] وخلصت إلى أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق لكل سبب مُسَبّباً، وبالتالي فإن الأمراض على اختلاف ألوانها لها أسباب، ومن أسبابها الفيروسات، والبكتيريا التي لم تُكتشف إلا في العصر الحديث، بعد أن أراد الله سبحانه وتعالى أن يُبيّن للناس بعض ما أشارت إليه نصوص الشريعة الإسلامية من أسرار، وبيّنتُ أنّ هذه الفيروسات هي أشد في خطورتها على الإنسان من الأسود المفترسة، كما أن الأجسام تتفاوت في مدى قابليتها للتأثر بالمرض بما خلق الله فيها من المقاومة والمناعة ضد هذه الأمراض، وهو أمر لم يُكتشف إلا حديثاً، ولكن نصوص الشريعة الإسلامية أشارت إليه منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، في عصر كان الناس يرتعون في ظلمات الجهل والتخلّف، وقد وضع الرسول ﷺ الأسس الأولية للحَجْر الصحي بقوله: «لا يورِد مُمرِضٌ على مُصِحّ » [2]. والحَجْر الصحي لم يلتفت إليه أهل هذه الحياة الدنيا إلا في الوقت الحاضر.

وخلصت من كل ذلك إلى أنّ هذا الحديث: « لا عدوى ولا طِيَرَة ولا هامّة ولا صَفَر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد » [3] هو من جوامع الكلم التي اشتهر بها الرسول الكريم ﷺ.

سابعاً: وقد أوردت في هذه الرسالة أيضاً قول الرسول ﷺ: « لا عدوى ولا طيَرَة وإنما الشؤم في ثلاث: في الفرس والمرأة والدابة »[4]. وقد أوردت فيها أقوال

(١، ٢، ٣) هذه أجزاء من أحاديث ستأتي بتمامها مخرجة في الفصل الأول من الباب الثالث من هذا البحث ص ٢٠٥، ٢٠٦.

(٤) هذا الحديث سيأتي مخرجاً في الفصل الثاني من الباب الثالث من هذا البحث. ص : (٢١٥ – ٢١٨).

العلماء للتوفيق بين الأحاديث المتعارضة، ثم بينت رأيي الشخصي في المراد بالشؤم في هذه الأعيان، وأوردت الأمثلة على الشؤم واليُمْن في كل عين من هذه الأعيان على حدَة، خلَصتُ منها جميعاً إلى سماحة الدين الإسلامي، ويُسْره وسهولته، ودعوته إلى الأخذ بالأسباب مع وجوب التوكل على الله سبحانه وتعالى، و سد الذرائع الموصلة إلى الشرك، وأنّ القضاء والقدَر بيد الله تعالى وحده.

ثامناً : كما بيّنتُ محاسن الشريعة الإسلامية في الهداية لما هو أقوم، واستبدال الشرك في الأسباب وفي خالق الأسباب بتوحيد الله سبحانه وتعالى وعدم الشرك به، وإخلاص العبادة له، والسير على سنة الرسول الكريم ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين في استخارة الله عز وجل في جميع أمورنا، واستشارة أُولي الرأي منا، والتحذير من استشارة أعداء الله؛ لأنهم لا يألُون المسلمين خبالاً، ولا يضمرون لهم إلا العداوة والبغضاء، وقد حذّرنا الله سبحانه وتعالى منهم في محكم تنزيله، فقال عز وجل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بِطَانَةً مِن دُونكم لا يألُونكم خبَالاً ودُّوا ما عَنِتُّم قد بَدَتِ البغضاءُ مِنْ أفواهِهم وما تُخفي صدورُهم أكبر قَدْ بَيّنّا لكم الآياتِ إن كنتم تعقلون** ﴾ [آل عمران: ١١٨].

ولله الأمر من قبل ومن بعد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يثيبني أنا ومن عاونني في إخراج البحث إلى هذه الصورة المتكاملة خير مثوبة، وأن يحشرنا في زمرة عباده المخلصين، وأن يؤمّننا يوم الفزع الأكبر بِمنّه وكرمه.

هذا وإنني أعتذر إلى الله تعالى ثم إلى علماء الأمة عما يكون في هذا البحث من نقص، مستأنسةً بقول الله تعالى في آخر سورة البقرة: ﴿ **لا يُكلّفُ اللهُ نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملتَه على الذين مِن قبلنا ربنا ولا تُحمّلنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

كما أعتذر بما قال العماد الأصفهاني: « إني رأيتُ ألا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غُيِّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل! وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر »[1].

وأعرض الآن خطة البحث راجية من المولى عز وجل أن أكون قد ساهمت بجهدي المتواضع في خدمة الإسلام والمسلمين، ولله الحمد والمنّة أولاً وآخراً، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلّم.

* * *

(١) في صدر كتاب معجم الأدباء ـ لياقوت ـ نقلاً عن العماد الأصفهاني.

خطـة البحـث

ويشتمل هذا البحث على مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة، وثبت بالمراجع والمصادر.

المقدمـة :

وقد تكلمت فيها عن المعاني المختلفة لكلمة « الطير »، ثم بينت المراد منها في هذا البحث: وهو الاسم من التطير، كما عرفت الطيرة، وهى مصدر طائر، وسيتضح لنا من التعريف أن كلا من الطير والطيرة شيء واحد، ويعنى التشاؤم بالشيء ومنه، ولذا فقد تكلمت عليهما أثناء البحث باعتبارهما شيئًا واحدًا.

وقد عرّفت ضد الطيرة: وهو الفأل، كما بيّنْتُ المراد من العيافة والزجر، والعلاقة بينهما وبين الطيرة... كما بيّنتُ المراجع التي ذُكرت فيها الطيرة، وهي القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، والأدب الجاهلي.

الباب الأول:

ويتحدث الباب الأول عن أصل الطيرة، ونشأتها، وتطورها في الجاهلية. وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول :

ويختص الفصل الأول:

ببيان المراد بالجاهلية، ثم أصل الطيرة من خلال المصادر المعتبرة وهي القرآن الكريم، ثم الأدب الجاهلي، وبيان أشد ما تشاءموا منه، ثم تفاوُتِ الجاهليين في علاقتهم بالطيرة، ثم دفع شبهة عن أم المؤمنين ــ السيدة عائشة ــ رضي الله عنها.

وأما الفصل الثاني:

فيختص ببيان دواعي التطير في الجاهلية، من سوانح وبوارح، وطيور، وحيوانات،

وأشخاص ونباتات، ومواقع النجوم، والعُطاس، وأصحاب الآفات، كما تعرضت لوسائل الإعلام الحديثة المختلفة، ومساهمتها في الترويج لرذيلة التطير، وتدمير أفكار الأمة الإسلامية والانحطاط بها، عن غفلة، أو سوء نية.

وأما الفصل الثالث :

فقد جمعت فيه طائفة من الأمثال العربية التى ضُرِبت في الشؤم.

الباب الثاني:

ويتحدث هذا الباب عن حقيقة الطيرة وأدلة فسادها. وينقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول؛ هي:

الفصل الأول :

ويختص هذا الفصل ببيان ماهية الطيرة، وأنها غريزة مكتسبة.

الفصل الثاني:

ويختص هذا الفصل ببيان فساد الطيرة وبطلانها من خلال عالم الطيور.

الفصل الثالث:

ويختص هذا الفصل ببيان فساد الطيرة وبطلانها من خلال الشواهد المختلفة، وهي: القرآن الكريم، وسنة الرسول محمد ﷺ في عدم التطير من شيء، وإجماع أفضل الأمة الإسلامية - وهم الصحابة والتابعون، رضي الله عنهم - على عدم التطير. وإنكار الطيرة بالتجربة والعقل.

الباب الثالث:

ويتحدث هذا الباب عن حكم الطيرة في الشريعة الإسلامية، وبيان أنها شرك، وبيان كفّارتها، وينقسم هذا الباب إلى ستة فصول؛ هي:

١ - الفصل الأول :

ويتحدث عن نَفْي الطيرة والنهي عنها، وشرح النصوص الواردة في هذا الفصل مع التوفيق بين الأحاديث المتعارضة، وبيان خلاصة الأقوال في هذا الموضوع ... مع

دعوة إلى التفكير والتأمل في قوله ﷺ: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد»، ويتضمن إشارات مادية لأسباب المرض، وبيان الحكْمة من اختيار المشبَّه به في الحديث، والمقاصد المستفادة من ذلك، مع بيان أنواع الخوف، وكلمة عن الصحة والمرض والفيروسات والبكتيريا، وكيفية مهاجمتها للجسم، ثم بيان وجه الشبه بين الفرار من المجذوم والفرار من الأسد.

وكما يمكن للإنسان أنْ ينجو بقدرة الله تعالى لو تعرّض للأسد، كذلك ينجو هذا الإنسان بقدرة الله تعالى لو تعرض جسمه للهجوم عليه من فيروسات الأمراض بما يخلق الله فيه من المناعة والمقاومة، والتي لا تزال تحيِّر عقول العلماء الماديين في عصرنا الحاضر!

كما أشرتُ إلى أنَّ الرسول الكريم ﷺ قد وضع بقوله: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحّ» الأسس الأولية للحَجْر الصحي، والذى لم يُعرف إلا في العصر الحديث.

٢- الفصل الثاني:

ويتحدث عن بيان موضع الشؤم، وأنه في ثلاث، وبعد إيراد الأحاديث الواردة في هذا الفصل، وشرحها، وإيراد أقوال العلماء، بيَّنْتُ الرأي الذي وفقني إليه رب العالمين في هذا الموضوع، وضربتُ الأمثلة على ذلك في بيان الشؤم واليُمن: في كل من الدار، والمرأة، والدابة، والسلاح، وخلَصتُ من ذلك إلى بيان سماحة الدين الإسلامي، وصلاحيته لكل زمان ومكان، ورفضه للتواكل والكسل بدعوته للأخذ بالأسباب المشروعة مع التوكل على الله تعالى في كل الأمور، وتفويض الأمر إليه، والاعتقاد الجازم بأنَّ قضاء الله وقَدَره نافذ بإذن الله تعالى، وأنه لا مفر من الله إلا إلى الله.

٣- الفصل الثالث:

بيان أنَّ الطيرة شرك. مع بيان الأحاديث الواردة في هذا الموضوع وشرحها.

٤- الفصل الرابع:

حدّ الطيرة المنهي عنها، مع إيراد الأحاديث الواردة في هذا الموضوع وتوضيحها.

٥- الفصل الخامس:

وفيه بيان كَفَّارة الطيرة، مع التعليق عليها.

٦- الفصل السادس:

استحباب الفأل .. ذَكَرْتُ فيه الأحاديث الواردة في هذا الموضوع، مع التوضيح والشرح، ودفع شبهة عن رسول الله ﷺ في بيان الفأل الذى يحبه، وأنه مخالف للفأل الذي هو من جنس الطيرة الشركية، فما كان رسول الله ﷺ ليتطير وقد نهى عن الطيرة! فهو لم يجعل الفأل آمرًا له وباعثًا على الفعل، كما لم يجعل الطيرة ناهية له عن الفعل، فالفأل الذى كان يحبه رسول الله ﷺ هو أن يسمع كلمة تسر فيتفاءل محسنًا الظن بربه، فهو يعتبر هذا من قبيل البشارة من ربه سبحانه وتعالى.

الباب الرابع:

ويختص ببيان محاسن الشريعة الإسلامية في الهداية لما هو أقوم، ويشتمل على ما يلي:

١- دور الشريعة الإسلامية في إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما أشَرْتُ إلى عدم إمكان الاستغناء عن السنة النبوية كأصل من أصول الدين.

٢- ثم بيَّنْتُ البديل عن الطيرة بما أغنانا الله من التعاليم الإسلامية التي تتمثل في تقوى الله عز وجل ومراقبته، واستخارته في كل الأمور.

٣- ثم تكلمت عن الاستشارة ومشروعيتها، والأسوة الحسنة فيها، وحسن الاختيار فيها، وإخلاص النصيحة، والتحذير من استشارة غير المؤمنين.

٤- كيفية تصرف الرسول ﷺ أثناء السفر.

٥- كيفية تصرف الرسول ﷺ ودعائه عند الحاجة.

* * *

تعريف القرآن الكريم

القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إنَّ علينا جمعَه وقرآنَه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ [القيامة: ١٧-١٨]، ثم نقل من هذا المعنى، وجعل اسماً للكتاب الكريم من باب إطلاق المصدر على مفعوله، وهو مهموز، وإذا حُذفت الهمزة منه كان ذلك للتخفيف [١].

والقرآن في اصطلاح الأصوليين هو اللفظ المنزل على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم للإعجاز بأقصر سورة منه، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته.

واللفظ: جنس في التعريف يشمل المفرد والمركّب، فإنّ الاستدلال على الأحكام كما يكون بالمفرد كالعام والخاص يكون بالمركبات.

فالمنزل على سيدنا محمد ﷺ: فصل يخرج به ما لم ينزل أصلاً، مثل: كلامنا، ومثل لفظ الحديث النبوى، وخرج ما نزل على غير محمد ﷺ كالتوراة والإنجيل.

والمنقول بالتواتر: فصل ثان خرج به القراءات غير المتواترة، كقراءة ابن مسعود: «متتابعات» عقب قوله تعالى في كفارة اليمين: ﴿ **فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام** ﴾ [المائدة:٨٩]، وكقراءة ابن عباس: « وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً » [٢].

والمُتَعَبَّدُ بتلاوته: فصل أخرج الأحاديث القدسية إذا تواترت [٣].

---

(١) الكتاب والسنة ص ١٥، مناهل العرفان ج١/ ٧.

(٢) في الآية (٧٩) من سورة الكهف .

(٣) مناهل العرفان ج١/١٢، ١٣ والكتاب والسنة ص ١٥، ١٦.

أسماء القرآن الكريم

وللقرآن الكريم عدة أسماء، المتفق عليها ـ بالإضافة إلى القرآن الكريم ـ أربعة أسماء؛ هي:-

١ – الفرقان: ﴿ تبارك الذى نزل الفرقانَ على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان: ١].

٢ – الكتاب: ﴿ حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ [الأحقاف: ١-٢].

٣– الذِّكْر: ﴿ ذلك نتلوه عليك من الآيات والذِّكْر الحكيم ﴾ [آل عمران: ٥٨].

٤– التنزيل: ﴿ تنزيلٌ من رب العالمين ﴾ [الواقعة: ٨٠] و [الحاقة: ٤٣].

تعريف السنة النبوية المطهرة

تطلق السنة ويراد منها السيرة والطريقة، حسنة كانت أو سيئة [١].

وقيل: إنها خاصة بالطريقة الحسنة، فإذا أطلقت انصرفت إليها، ولا تستعمل في غيرها إلا مقيّدة، فيقال: سنة سيئة.

وأما معنى السنة في الاصطلاح الشرعي: فهي عند الفقهاء تقابل الواجب، فتكون السنة هى الفعل الذي دل الخطاب على طلبه طلباً غير جازم، وعرّفوها بلازم ذلك؛ فقالوا: هي ما يُثاب فاعلها، ولا يُعاقب تاركها.

ومعنى السنة عند الأصوليين :

هو ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير، غير القرآن الكريم، وزاد بعضهم: « أو صفة خُلُقية أو خَلْقية، أو سيرة، سواء أكان قبل البعثة أم بعدها ».

وتقييد الصدور بكونه عن النبي ﷺ يخرج عن السنة ما صدر من غيره، رسولاً أو غير رسول. ووصفه بالنبوة: يشعر بخروج ما صدر عنه قبل البعثة، والتقييد بغير

(١) دراسات في الحديث النبوى ص ١٠-١١، والكتاب والسنة ص ٨٩.

القرآن مُخرج القرآن، ومن قول أو فعل أو تقرير: بيان لأنواع السنة.

فالسنة القولية: هي الأحاديث التي قالها الرسول ﷺ في الأغراض المختلفة، والمناسبات المتباينة.

والسنن الفعلية: هي أفعاله ﷺ: مثل أدائه الصلوات الخمس بهيآتها وأركانها، وأدائه مناسك الحج، وكل ما رُوي عنه في أداء العبادات أو غيرها.

والسنن التقريرية: ما أقرّه الرسول ﷺ مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه، فيعتبر العمل بهذا الإقرار صادراً عن الرسول ﷺ.

وقد أضاف بعضهم إلى تعريف السنة أن لا يكون ما صدر من الأمور الجِبِلّيّة؛ أي التي تقتضيها الطبيعة والعادة، وبعضهم يضيف أن لا يكون ما صدر عن سهو، وبعضهم يضيف ألا يكون خصوصية له ﷺ [١].

* * *

(١) الكتاب والسنة من ص ٨٩ – ٩٠ بتصرف.

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف الطَّـــيْر

قال في لسان العرب: (الطير : معروف، اسم لجماعة ما يطير، مؤنث، والواحد طائر، والأنثى طائرة، وهى قليلة ... فأما الطيور: فقد تكون جمع طائر كساجد وسجود، وقد تكون جمع طير الذى هو اسم للجمع، وزعم قُطْرُب أن الطير يقع للواحد، قال ابن سِيْدَه: ولا أدري كيف ذلك إلا أن يعنى به المصدر، وقُرِئ: ﴿ **فيكون طيـرًا بإذن الله** ﴾ [آل عمران:٤٩] . وقال ثعلب: الناس كلهم يقولون للواحد طائـر، وأبو عُبيدة معهم، ثم انفرد فأجاز أن يقال طير للواحد وجمعه على طيور، قال الأزهرى: وهو ثقة [١].

وقال في الصحاح: الطائر جمعه طير، مثل: صاحب وصَحْب، وجمع الطير طيور، مثل: فرخ وفروخ وأفراخ... والطير: الاسم من التطير [٢]، ومنه قولهم: لا طيرَ إلا طيرُ الله، كما يقال: لا أمر إلا أمرُ الله. وأنشد الأصمعي، قال: أنشدناه الأحمر :

تَعلَّمْ أنـــــــــه لا طَيْرَ إلا ... عـــلـــى مُتَطَيِّرٍ وهـــو الـــثُّبُورُ
بـلـى شـيءٌ يـوافـقُ بـعـضَ شـيءٍ ... أحـــــايينا وباطِلُه كَثِيــــرُ

وقال في اللسان أيضاً: (والطائر) : ما تَيمّنتَ به أو تشاءمت، وأصله في ذي الجناح، وقالوا للشيء يتطير به من الإنسان وغيره: طائر الله لا طائرك، فرفعوه على إرادة: هذا طائر الله، وفيه معنى الدعاء، وإن شئت نصبت أيضاً، وقال ابن الأنباري: معناه: فعلُ الله وحُكمُه لا فعلك وما تتخوفه، وقال اللِّحياني: يقال: طَيْرُ الله لا طيرُك، وطيرَ اللهِ لا طَيْرَك، وطائرَ الله لا طائرك، وصباحَ اللهِ لا صباحَك، قال:

---

(١) لسان العرب ج٥٠٨/٤ باب الراء فصل الطاء المهملة.

(٢) وبنفس هذا المعنى أيضاً وردت في المنجد ص ٤٧٧ .

يقولون هذا كله إذا تطيروا من الإنسان، النصب على معنى نحبُّ طائرَ الله، وقيل بنصبهما على معنى: أسألُ الله طائرَ الله لا طائِرك، قال: والمصدر منه الطِّيَرَة، وجرى له الطائر بأمر كذا وجاء في الشر، قال الله عز وجل: ﴿ ألاَ إنما طائرهم عند الله ﴾ [الأعراف: ١٣١]، والمعنى: ألا إنما الشؤم الذى يلحقهم هو الذي وُعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا، وقال بعضهم: طائرهم: حظُّهم.

قال: والاسم: الطِّيَرةُ والطِّيَرة والطُّورة.

وقال أبو عُبيد: الطائر عند العرب: الحظُّ، وهو الذى تسميه العرب البَخْت.

وفي حديث أم العلاء الأنصارية [1]: اقتسمنا المهاجرين فطار لنا عثمان بن مَظْعُون: أي حصل نصيبنا منهم عثمان.

وقوله عز وجل: ﴿ وكلَّ إنسانٍ ألزمناه طائره فى عنقه ﴾ [الإسراء: ١٣] قيل: حظه، وقيل: عمله [2] ا.هـ.

---

(١) قال في كتاب «الإصابة فى تمييز الصحابة» ج٤/٤٥٦ : أم العلاء الأنصارية: قال أبو عمر: هى من المبايعات، حديثها عند أهل المدينة، وقال ابن حجر: ونسبها غيره فقال: بنت الحارث بن ثابت بن حارثة ابن ثعلبة بن الجلاس بن أمية بن حدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج، يقال إنها والدة خارجة بن زيد ابن ثابت الراوي عنها، روى حديثها الشيخان من رواية الزُّهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء الأنصارية قالت: طار لنا عثمان بن مظعون في السُّكنى لما افترقت الأنصار، فذكر الحديث في قتل عثمان بن مظعون، وفيه أنها رأت لعثمان عيناً جارية، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: « ذلك عمله » وفي الحديث قولها: شهادتي عليك أبا السائب لقد أكرمك الله. وفي رواية إبراهيم بن سعد عن الزهرى أن أم العلاء وهي امرأة من نسائهم قد كانت بايعت النبيَّ ﷺ، وكذا في نسخة إسحاق بن يحيى الكلبي عن الزهري عند ابن السكن.

وقال ابن حجر: وقد جاء الحديث من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سالم أبي النضر عن خارجة بن زيد ابن ثابت عن أمه أن عثمان بن مظعون لما قبض قالت أم حارثة: طبت أبا السائب ـ الحديث ـ، أخرجه أحمد والطبراني، وهذا ظاهر فى أن أم العلاء هى والدة خارجة المذكور، فلا يلزم من كونه أبهمها فى رواية الزهرى أن تكون أخرى، فقد يبهم الإنسان نفسه فضلاً عن أمه. ا هـ.

(٢) لسان العرب : ج٤ / ٥١٠.

وأما تعريف الطيرة:

فقد عرفها ابن الأثير ـ رحمه الله ـ في كتابه « النهاية » بقوله: « الطِّيَرة بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تُسكَّن: هى التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطير، يقال: تطيَّر طِيَرةً، وتَخَيَّر خِيَرَةً، ولم يجيء من المصادر هكذا غيرهما.

وأصله فيما يُقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطّير والظباء وغيرهما. وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرعُ، وأبطله، ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضر، وقد تكرر ذكرها في الحديث اسماً وفعلاً » [١].

وقال في مختار الصحاح: « الطيرة: بوزن العِنَبَة: وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء» [٢].

وقال في المنجد: « وقد اشتق العرب الطيرة من الطير لسرعة لحوق البلاء ـ على اعتقادهم ـ كما يسرع الطير في طيرانه » [٣].

وقال في « ترتيب القاموس المحيط »:

الطِّيَرَةُ والطِّيْرَةُ والطُّورَةُ: ما يُتشاءم به من الفأل الرديء، وتطيّر به ومنه [٤].

وقال في صبح الأعشى: « الزجر والطيرة: وهما في معنى واحد، وأصله: أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، فإنْ طار يميناً كان له حكم، وإن طار شمالاً كان له حكم، وإن طار أماماً كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم، ومن ثم سُمِّيت الطيرة أخذاً من اسم الطير، وأكثر ما عَوَّلوا عليه من ذلك الغراب، ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صَدْع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حَدّ من الكهانة.

وقد وردت السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة، واستحسن ﷺ الفأل: وهي

---

(١) النهاية ج ٣ /١٥٢.

(٢) مختار الصحاح: ص ٤٠٢، ٤٠٣.

(٣) المنجد: ص ٤٧٧ مادة طار.

(٤) ترتيب القاموس المحيط: ج٣/ ١٠٢.

الكلمة الطيبة يسمعها، وقد فرق العلماء بين الفأل والطيرة بأن الطيرة تُقصد والفأل يأتي من غير قصد » اهـ [1].

وقال النيسابوري ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير غريب القرآن: «التطير: عيافة الطير» [2].

وفي القاموس المحيط: « الزجر والعيافة: أن تعتبر بأسماء الطير ومساقطها وأنوائها، فتسعد أو تتشاءم، والعائف: المتكهن بالطير أو غيرها » [3].

القول في المراد بالطير والطيرة

مما تقدم تَبيَّن لنا أن الطيرة هى التشاؤم بالطير وغيره، وكذلك يعني الطير والطائر في بعض معانيهما ما تعنيه الطيرة من التشاؤم.

والطير هو الاسم من التطير وكذلك الطيرة وقد جعلها بعضهم مصدر طائر وطير.. والطير والطيرة والطائر يعنى عند بعض المفسرين شيئاً واحداً وهو التشاؤم بالشيء ومنه، وذلك كما مر بنا آنفاً في تعريف الطير، والطيرة. كما أن الطير والطيرة والعيافة والزجر يعني أيضاً شيئاً واحداً [4]... إلا أن لكلٍّ من الطائر والطير استعمالات أخرى يعرف القصد منها بواسطة قرينة مصاحبة للكلام، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى في الطائر: ﴿ **وما من دابةٍ في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أممٌ أمثالكم ما فرَّطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يُحشرُون** ﴾ [الأنعام:٣٨]، فالطائر هنا يعنى الطائر المعروف ذا الجناح بدليل قوله تعالى: ﴿ **يطير بجناحيه** ﴾، قال الدميري رحمه الله: «وقوله (بجناحيه) تأكيد وإزالة للاستعارة المتعاهدة في هذه اللغة، فقد يقال طائر للنحس والسعد » [5] ا.هـ.

---

(١) صبح الأعشى للقلقشندي: ج١/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢) تفسير غرائب القرآن للنيسابوري (حاشية على تفسير الطبرى) ج٩/ ٢٩.

(٣) القاموس المحيط مادة عاف.

(٤) انظر صبح الأعشى ج١ / ٤٠١.

(٥) حياة الحيوان الكبرى للدميري ج٢/ ٩١.

وأما الطير ودلالته على الطير ذي الجناح ففي قول الله تعالى: ﴿ **أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير** ﴾ [الملك: ١٩].

فقوله تعالى: ﴿ **صافات ويقبضن** ﴾ دل على أنّ المراد بالطير هنا : هو الطير المخلوق ذو الجناح.

قال الشيخ كشك: فمعنى قوله (صافات) أي صافات أجنحتها، وهذا أكثر حالاتها، ولذا عبَّر عنه بالصفة.

أما (يقبضن) فمعناه قبض الأجنحة في بعض الحالات لا في أكثرها، ولذا عبر عنه بالفعل الذى يفيد التجدد والحدوث، وبين سر العظمة الإلهية في هذا العالم العجيب فقال: ﴿ **ما يمسكهن إلا الرحمن** ﴾ وفي الإمساك قدرة، وفي التعبير بالرحمن رحمة، فليس الإمساك هنا جبروتاً أو قهراً أو قسوة، إنما هو رحمة فياضة لتقوم الطير برسالتها وجمع أرزاقها لأفراخها في أعشاشها وتسبيح ربها» . ا.هـ [1].

إلا أنني عنيتُ « بالطير » الوارد في عنوان هذه الرسالة ما تعنيه الطيرة وهو التشاؤم والتفاؤل بالشيء ومنه، ولذا فقد تكلمت عليهما باعتبارهما شيئاً واحداً.

ولكن يبقى التفريق بين الطير والطيرة والفأل والعيافة والزجر... ،ولقد وجدت أن أكثر العلماء رحمهم الله تعالى قد جعل لكل هذه الألفاظ دلالة واحدة ألا وهي التشاؤم بالطير وغيره.. إلا أنني ـ وبحمد الله ـ قد هداني الله سبحانه تعالى إلى فروق دقيقة جداً بين كل لفظ من هذه الألفاظ وغيره .. وسأذكر هذه الفروق إن شاء الله تعالى بعد إيراد المزيد من أقوال العلماء في معنى هذه الألفاظ.

أما الطيرة والطير:

فهما التشاؤم بالطير وغيره، فالإنسان المتشائم هو المتطير، سواء في ذلك أزجر الطير أو لم يزجره، والدليل على ذلك أن المشركين تطيّروا من رُسُل الله عليهم الصلاة والسلام، واشمأزت قلوبهم من ذكر الله تعالى وحده، وتطيروا بمواقع النجوم... ورؤية

---

(١) سياحة مباركة في (سورة الملك) للشيخ كشك ص ٥١، ٥٢.

ذوي العاهات، وسماع العطاس.. وغير ذلك.

كما أن الرسول ﷺ عندما سُئل عن حكم الطيرة ذَكَر بأنها شرك[1] وأن خيرها الفأل، فجعل ﷺ الفأل من الطيرة، ومعلوم أن رسول الله ﷺ كان يحب الفأل، وأنه كان يتفاءل بالأسماء الصالحة وبالكلمة الطيبة يسمعها فيستبشر بها؛ على نحو يخالف ما كان يفعله الجاهليون، كما سيأتي بيانه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الأبواب الآتية.

كما أن الجاهليين كانوا يتطيرون من أشياء كثيرة غير زجر الطير ـ كما أسلفنا ـ إلا أن تطيرهم إذا كان منشؤه النظر في الطيور وممراتها أسْمَوَهُ زجر الطير، أو عيافته، وإذا كان منشؤه النظر في النجوم ومواقعها أسْمَوَهُ تنجيماً ... وهكذا.

فالطير أو الطيرة اسم جامع لكل ما يتطير به الشخص ويتشاءم.

أما التفاؤل فقد جاء تعريفه كما يلي:

قال في المنجد: « تفأل وتفاءل وافتأل به: ضد تشاءم.. والفأل جمع فؤول وأفؤل: ضد الشؤم، كأن يسمع مريض كلمة (يا سالم) فيتوجه له أنه يبرأ كما سمع » ا.هـ [2].

وقال في حياة الحيوان:

« وأما الفأل فمهموز ويجوز ترك همزه، فسّره النبي ﷺ بالكلمة الصالحة والحسنة، والغالب أن يكون فيما يسر، وقد يكون فيما يسوء، ثم قال: وأما الطيرة فإنها لا تكون إلا فيما يسوء»[3].

وعن الأصمعي قال: سألت ابن عوف عن الفأل؛ قال: هو أن يكون مريضاً فيسمع (يا سالم)، أو يكون طالباً فيسمع (يا واجد).

وقال في النهاية:

« الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استُعمِلَت

---

(١) سيأتي بيان ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى عند الكلام على حكم الطيرة.

(٢) المنجد ص ٥٦٦.

(٣) حياة الحيوان الكبرى : ج٢/ ٩٨.

فيما يسر، وقال: يقال: تفاءلت بكذا وتفألت على التخفيف والقلب، وقد أولع الناس بترك همزه تخفيفاً. وفي الحديث: (أنه كان ﷺ يتفاءل ولا يتطير) ثم قال: ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، ويجد ضالته ». ا.هـ [1].

وفسّر ابن تيمية ـ رحمه الله ـ الفأل وقارن بينه وبين الطيرة بقوله: «الفأل الذى يحبه ﷺ هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله، فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره، مثل أن يسمع: يا نجيح، يا مفلح، يا سعيد، يا منصور، ونحو ذلك، كما لقى في سفر الهجرة رجلاً فقال، ما اسمك؟ قال: يزيد. قال: يا أبا بكر يزيد أمرنا» .

قال: «وأما الطيرة بأن يكون قد فعل أمراً متوكلاً على الله أو يعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: ما يتم، أو ما يفلح، ونحو ذلك، فيتطير ويترك الأمر، فهذا منهى عنه» اهـ[2].

قال في حياة الحيوان: قال العلماء: وإنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمّل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من الله تعالى كان على سوء ظن، والطيرة فيها سوء ظن، وتوقع البلاء. ا.هـ [3].

وأما العيافة بكسر العين:

فقد قال في « تيسير العزيز الحميد »: « فهي زجر الطير والتفاؤل والاعتبار في ذلك بأسمائها، كما يتفاءل بالعُقاب على العِقاب، وبالغراب على الغربة، وبالهدهد على الهدى، والفرق بينهما وبين الطيرة أن الطيرة هى التشاؤم بها، وقد تستعمل في التشاؤم بغير الطير من حيوان وغيره» . ا.هـ [4].

---

(١) النهاية : ج٣ / ٤٠٥، ٤٠٦.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية : ج١ / ٢٠٩.

(٣) حياة الحيوان : ج٢/ ٩٨.

(٤) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص ٣٤٩.

وقال في المنجد تحت مادة عاف :

عاف: عيافة الطير : زجرها فتشاءم أو تفاءل بطيرانها.

والعائف: المتكهن بالطير أو غيرها.

والمتعيف: المتكهن الذى يعمل العيافة، أى زجر الطير، ويوصف بالابتكار، ومنه: ابتكرت ابتكار المتعيف، والابتكار هنا الإتيان بُكْرَةً [1].

وقال في النهاية تحت مادة عيف :

« العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيراً، وهو كثير في أشعارهم، يقال: عاف يعيف عيفاً: إذا زجر، وحدس، وظن، قال: وبنو أسد يُذكرون بالعيافة، ويُوصفون بها، قيل عنهم: إن قوماً من الجن تذاكروا عيافتهم فأتوهم فقالوا: ضلّت لنا ناقة فلو أرسلتم معنا من يعيف، فقالوا لغليم منهم: انطلق معهم، فاستردفه أحدهم، ثم ساروا، فلقيتهم عُقاب، كاسرة إحدى جناحيها، فاقشعرّ الغلام وبكى، فقالوا: مالك؟! فقال: كسرت جناحاً، ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً، ما أنت بإنسيٍّ ولا تبغي لقاحاً » ا.هـ [2].

فالعيافة هى أن يحبس الطير، ثم يزجر، ثم ينظر، فإذا ارتفع الطير إلى أعلى أو اتجه نحو اليمين أو اتجه إلى الأمام: اعتبر ذلك نجاحاً في الأمر الذي ينوون فعله، ومضوا فيه، أما إذا هبط إلى أسفل أو اتجه يساراً أو إلى الخلف تركوا ورجعوا عن قصدهم.

وقال ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» : «ومن اشتهر بإحسان الزجر عندهم (أي عند العرب في الجاهلية) ووجوهه حتى قصده الناس بالسؤال عن حوادثهم وما أملوه من أعمالهم: سموه عائفاً وعرّافاً».

قال: « وقد كان في العرب جماعة يُعرفون بذلك كعرّاف اليمامة، والأبلق الأسيدى، والأجلح، وعروة بن يزيد وغيرهم، فكانوا يحكمون بذلك ويعملون به،

---

(١) المنجد : ص ٥٤١.

(٢) النهاية : ج ٣/ ٣٣٠.

ويتقدمون ويتأخرون في جميع ما يتقلبون فيه، ويتصرفون في حال الأمن والخوف والسعة والضيق، والحرب والسلم، فإن أنجحوا فيما يتفاءلون به مدحوه وداوموا عليه، وإن عطبوا فيه تركوه وذموه، قال: ومنهم من أنكرها بعقله، وأبطل تأثيرها بنظره، وذم من اغتر بها، واعتمد عليها، وتوهم تأثيرها. » اهـ [1].

وأما الزجر:

فقد قال فى المنجد: زَجَر الطير: أطاره، فتفاءل به إن كان طيرانه عن اليمين، أو تطير منه إن كان عن اليسار، وزجر الطير: أي تكهّن: ويقولون زجرت أنْ يكون كذا وكذا: أي أنذرتُ بوقوعه اهـ [2].

وفي القاموس المحيط: الزجر والعيافة أن تعتبر بأسماء الطير ومساقطها، وأنوائها، فتسعد أو تتشاءم، والعائف: المتكهن بالطير أو غيرها. ا.هـ [3].

العلاقة بين ما سبق :

أقول ـ وبالله التوفيق ـ : يتضح مما سبق أن العرب في الجاهلية كان أكثرهم متعلقاً بالأوهام والأباطيل، وعدم الثقة بالله تعالى، فهم دائمو الخوف من المستقبل؛ مما يصح معه تلقيبهم بالمتطيرين.

فالمتطير: إذا هَمَّ بأمر من الأمور زجر الطير ـ أى نفّره وأطاره ـ ثم راقب ممراته ليعرف فأله وحظه، فإن كان مسار الطير عكس ما يشتهي الزاجر تطيّر ورجع عن قصده، وإن وافق مسار الطير هوى الزاجر تفاءل ومضى فيما أراد من مقاصده.

وإذا صدق ظنُّ الزاجر وحَدَسه حتى يشتهر بذلك بين العرب يسمى عائفاً أو كاهناً أو عرافاً، ويصبح مقصداً للناس؛ يقصدونه ليخبرهم عن الغيب والمستقبل، فكل عائف زاجر وليس كل زاجر عائف، ولكن يجمع بينهم جميعاً: التخرّص

---

(١) مفتاح دار السعادة : ج٢/ ٢٢٩، ٢٣٠.

(٢) المنجد ص ٢٩٤ .

(٣) القاموس المحيط : مادة عاف.

وادعاء علم الغيب الذي هو من خصائص الله سبحانه وتعالى.

ومما لا شك فيه أنَّ كل ذلك باطل؛ قد نفاه الشرع، ونهى عنه، وحذّر منه، وبين أنه شرك بالله تعالى.

ومن ذلك أصحاب الطير السانح والبارح، والقعيد والناطح، وأصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش، ويثيرونها، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سموه سانحاً، وما تياسر منها سموه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سموه القعيد، فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك.

وإنما اختلفوا في مراتبها لأنها حدوس وتخمينات لا أصل لها، فمن تبرك بشيء مدحه، ومن تشاءم به ذمه.

قال في النهاية: « السانح ضد البارح، فالسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمن لأنه أمكن للرمي والصيد، والبارح ما مر من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف » ا. هـ [1].

وقال في حياة الحيوان: «تقول: سنح الظبي لي سنوحاً: إذا مر من مياسرك إلى ميامنك » ا.هـ [2].

وفي الأمثال العربية: « من لي بالسانح بعد البارح » أي من يتسبب لي بالمبارك الميمون بعد المشئوم؟ يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه، ويضرب أيضاً في اليأس من تحسن الأحوال [3].

وقال عمرو بن العلاء: « سأل يونسُ رُؤبةَ بنَ العَجّاج: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قال: وما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره » [4].

وحكى أبو عُبيدة عن رؤبة أنَّ البارح ما جاء من ميامنك إلى مياسرك فولاك

---

(١) النهاية : ج١ / ١١٤.

(٢) حياة الحيوان الكبرى: ج١١/٢.

(٣) المنجد، فرائد الأدب: ص ٩٥٤، ومجمع الأمثال ج ٢/ ١٧١.

(٤) العمدة : ج٢/ ٢٠٣ .

مياسره، والسانح ما جاء من مياسرك فولاك ميامنه [1].

ونقل عن المفضّل الضبي: « أنّ البارح ما يأتيك من يمينك إلى يسارك، والسانح ما يأتي من يسارك إلى يمينك » [2].

وإنما اختلفوا في الاصطلاح، لأن الزجر في حقيقته وَهْم وخرافات، يصيب ويخطيء، فهو تابع للمصادفات لا غير، فمن زجر طيراً وقضى حاجته تفاءل باتجاهها، ومن لم يقضِ حاجته تطير بهذا الاتجاه.

وفي (العمدة) و (الأغاني) قال ابن دُرَيْد: أهل نَجْد كانوا يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح، وأهل العالية على عكسهم. وقال أبو جعفر النحاس: السنيح عند أهل الحجاز ما أتى من اليمين إلى اليسار، والبارح عندهم ما أتى من اليسار إلى اليمين، وهم يتشاءمون بالسانح، ويتيمنون بالبارح، وأهل نجد بالضد من ذلك، والسانح عند أهل نجد هو البارح عند أهل الحجاز، وقال المُبَـرِّد: السانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد، والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد إلا أن ينحرف له [3].

ذكر الطَّيْرَ والطِّيَرَة في القرآن الكريم :

ورد ذكر الطير والطيرة في القرآن الكريم في أربعة مواضع؛ هي :

١ – قال الله تعالى: ﴿ قالوا اطَّيَّرْنا بك وبمن معك قال طائرُكم عند الله بل أنتم قومٌ تُفتَنُون ﴾ [النمل: ٤٧].

٢ – وقال الله تعالى: ﴿ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونَقصٍ من الثمرات لعلهم يَذَّكَّرُون * فإذا جاءتهم الحسنةُ قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [الأعراف: ١٣٠، ١٣١].

---

(١) الأغاني: ٩ / ١٥٧ طبعة الساسي.

(٢) بلوغ الأرب: ج٣ / ٣١٨.

(٣) العمدة: ج٢/ ٢٠٣، والأغاني: ج٩ / ١٥٧ طبعة الساسي.

٣- وقال الله تعالى: ﴿ قالوا إنّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذُكِّرتم بل أنتم قوم مسرفون ﴾ [يس:١٨-١٩].

٤- وقال الله تعالى: ﴿ ... وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هـذه من عندك قـل كُلٌّ من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا ﴾ [النساء:٧٨].

ذكر الطير والطيرة في السنة المطهرة :

ورد ذكر الطير والطيرة في السنة المطهرة، وقد بيّن الرسول الكريم ﷺ حُكْمها، ونفاها، ونهى عنها، وعلّم أمته ما يقولونه إذا وقع في صدر أحدهم شيء منها، وكان الرسول الكريم ﷺ يأخذ بالأسباب المشروعة، ويتوكل على الله عز وجل، ويفوّض أمره إليه سبحانه وتعالى، ولا يتطير، ويرضى ويسلّم بقضاء الله وقَدَره المتمثل في شرعه وقَدَره الكوني.

وكذلك كان المسلمون الأوائل ـ رضوان الله عليهم ـ يفعلون.

وسيأتي بيان ذلك في موضعه من هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

ذكر الطير والطيرة في الشعر الجاهلي والمَثَل والقصة :

لقد ورد ذكر الطير والطيرة في الأدب الجاهلي بكل أنواعه: الشعر والمثل والقصة، فمنهم من كان يتطير، ومنهم من كان ينكر الطيرة، كما أن لهم أمثالاً في الشؤم، وقصصاً ونوادر تحكي عقيدتهم في الطير والطيرة، وطريقتهم في الزجر والعيافة... ونحو ذلك، وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في موضعه من هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

* * *

الباب الأول

أصل الطيرة ونشأتها وتطورها في الجاهلية



الفصل الأول

أصل الطيرة في الأدب الجاهلي

أولاً: المراد بالجاهلية :

يطلق لفظ الجاهلية ويراد به الفترة التي سبقت الإسلام فى بلاد العرب، وإنما سميت بذلك لكثرة ما شاع فيها من الجهل والضلالات. والحقيقة أن كل انحراف عن دين الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ يعتبر جاهلية؛ لأن الذي يؤمن ببعض ما أنزل الله ويكفر بالبعض الآخر: كافر والعياذ بالله.

ولقد كان سلطان الأوهام متمركزاً في عقول العرب، مهيمناً على نفوسهم قبل الإسلام ـ شأنهم في ذلك شأن كل من تتفرق به السبل عن صراط الله المستقيم.

فأكثر العرب كانوا يومئذ يتعلقون بالأوهام، ويخافون الغيلان والجن والشياطين، ويستعيذون بهم من دون الله تعالى، ويلجأون إلى الكهان والأزلام عند الإقدام على أمر ذي بال لديهم، كما كانوا يتطيرون ويتشاءمون بكل ما تصوّره لهم أوهامهم وتزيّنه لهم شياطينهم من مظاهر الطبيعة التي سخّرها الله سبحانه وتعالى لنا، وذلّلها لتكون عنواناً على قدرته تعالى، ورحمته وعظمته، وتفرده بالكمال، واستحقاقه للعبودية وحده لا شريك له، وقد تطيروا حتى مما هو خير لهم وسبب لسعادتهم في الدارين، إذ أنهم تطيروا من كلمة التوحيد! وممن يدعو إليها!

فالطيرة باب من أبواب الشرك يفتحه الشيطان على مصراعيه لمن يضعف يقينه بالله تعالى، ومن عجيب أمرها أنها لا تكبر ولا يستفحل أمرها إلا عند من يحتفي بها، ويلقي لها باله، ويشغل بها نفسه وفكره « فلا طِيرة إلا على متطيّر » وعندئذ يتفنن الشيطان في غوايته ووسوسته، ويفتح لصاحبها من المناسبات البعيدة والقريبة في

اللفظ والمعنى ما يفسد عليه حياته، ويملؤها قلقاً ونكداً وتنغيصاً.

فالجاهليون لم يتّبعوا منهج الرسل القويم، بل جنحوا إلى أهوائهم تلعب بهم كيف تشاء، ولذا فلقد سمح العلماء لأنفسهم أن يطلقوا لفظ الجاهلية على كل منهج يخالف ما جاءت به الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ... وبذا فقد تعدّدت الجاهليات على مر العصور، قديمها وحديثها... حتى شاع في عصرنا الحاضر ما يسمى بالجاهلية الحديثة... كما ألّف الأستاذ محمد قطب ـ غفر الله لنا وله ـ كتاباً وجعل عنوانه « جاهلية القرن العشرين ».

وهكذا فكل قول أو عمل يتعارض في شكله أو مضمونه مع تعاليم الرسل عليهم الصلاة والسلام يمكن رده إلى الجاهلية وضلالاتها، سواء أعاش أصحاب تلك الأقوال والأعمال في العصر الجاهلي المعروف أم لم يعيشوا.

ولكن مما يبدو لي من خلال تتبعي لنشأة الطيرة أن العصر الجاهلي المعروف كان هو العصر الذهبي للطيرة، حتى قضى عليها الإسلام، وكتم أنفاسها عند بزوغ فجره ... ولكنها عادت بعد ذلك لتأخذ طريقاً لها في النفوس الضعيفة، وتساهم مع غيرها من حراب الشيطان وكيده في صنع الجاهلية الحديثة التي ندعو الله سبحانه وتعالى أن ينقلنا منها، وأن يحفظ علينا ديننا وإسلامنا وإيماننا، وأن يثبت أقدامنا، ولا يقبضنا إليه إلا ونحن مسلمون، إنه سميع مجيب.

وفيما يلي سأتناول أصل الطير والطيرة ونشأتها. فأقول وبالله التوفيق :

ثانياً : تمهيد :

تناول العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ في كتبهم أصل الطير والطيرة وكيفية نشأتها.. وذكروا لنا بعضاً مما يتطيّر به المتطيرون من طير أو حيوان أو إنسان أو نحو ذلك من الظواهر الطبيعية أو الحوادث المرئية، أو الأسماء السمعية، أو غير ذلك مما يخطر على البال وتصوّره الأوهام، ويزيّنه الشيطان، وبما أن الطير والطيرة من أعمال الجاهلية وضلالاتها: فقد حفل الأدب الجاهلي ـ من شعر وأمثال وقصص ـ تصوير

هذه المعتقدات، وتبليغها لنا، لنطّلع من خلال ذلك على صورة حيّة للمجتمع الجاهليّ، وما كان عليه من تشتت وضياع وهَمٍّ وضلال، في المظهر والمخبر ..

ولعل الشعر الجاهلي قد حظي من ذلك بنصيب الأسد، لكونه ديوان العرب ومرآة حياتهم، ولأنه « صدى قوى للحياة العربية: اجتماعية، وأخلاقية، ودينية، وذات عادات ومعتقدات، فهو ترجمانها وسجلها »[(١)]. ولا غنى للباحث في تاريخ الحياة العربية وشتى نواحيها ومظاهرها عن الرجوع إلى الشعر الجاهلي .. كما أن أهمية الأدب الجاهلي ـ وخاصة الشعر ـ قد ازدادت رسوخاً بنزول القرآن الكريم، وبعثة محمد ﷺ؛ لأن القرآن الكريم إنما نزل ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

ولذا فإن كثيراً من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يرجعون إليه « في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم »[(٢)]، ومن أشهر هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ الذين كانوا يرجعون إلى الشعر الجاهلي في تفسير القرآن كان ابن عباس رضي الله عنهما .. حَبْر الأمة الإسلامية، وتُرجُمان القرآن، وقد كان رضي الله عنه يَحُضّ على ذلك.

روى أبو بكر بن الأنباري عنه أنه رضي الله عنه قال: « الشعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه »[(٣)].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحث على الرجوع إلى الشعر الجاهلي لفهم المعاني، وتفسير الكتاب، فكان رضي الله عنه يقول لأصحابه: « عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم »[(٤)].

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي للدكتور أحمد محمد الحوفي.

(٢) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي ج١/ ٧٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ / ١١٩.

(٤) الموافقات للشاطبي ج٢ / ٨٨.

فإذا كان الصحابة رضي الله عنهم يرجعون إلى الشعر الجاهلي لتفسير ما يستغلق عليهم فهمه من غريب كلمات القرآن الكريم، فأحرى بنا أيضاً أن نرجع إليه وإلى سائر أنواع الأدب الجاهلي للبحث عن معتقداتهم وعاداتهم.

ومن ذلك: نرجع إليه للبحث عن الطير والطيرة وأصلها ونشأتها.

ولكن لابد لنا أولاً من الرجوع إلى القرآن الكريم لمعرفة ما تطير به المتطيرون لنكون على يقين من صحة بحثنا؛ حيث إن القرآن الكريم هو أصدق وأكمل وأدق وأعظم كتاب على وجه البسيطة، ولا عجب في ذلك؛ فهو كلام الله تعالى الذى أنزله على خير خلْقه ورسله محمد ﷺ النبي الأمّي، وجعله معجزة العصور ومنارة العقول وهداية القلوب.

وبالرجوع إلى كتاب الله العزيز وجدنا ذلك: أن الذي تطير منه المتطيرون كان أعظم ما أمر الله به: ألا وهو **التوحيد!** كما أنهم تطيروا من كل من يدعو إلى هذا الدين العظيم، وعلى رأس الدعاة رُسل الله عليهم الصلاة والسلام. وفيما يلي تفصيل ما أشرنا إليه.

ثالثاً : تطير المشركين من كلمة التوحيد:

عرفنا أن الطيرة تعني التشاؤم بالطير وبغيره، فالإنسان المتطيِّر هو الإنسان المتشائم ولا فرق بينهما.

والتشاؤم ــ كما هو معروف بالبداهة ــ انقباض يعتري الصدر، وتوقع للإصابة بمكروه، ويقابله في اللغة التفاؤل، وهو انشراح الصدر، والاستبشار وتوقع الخير.

فإذا بحثنا في القرآن الكريم عن أول مَنْ تشاءم من المخلوقات نجد أن المشركين في كل زمان هم المبتدعون لما يسمى بالطيرة، وهم المنشئون لها والمحتفون بها، فتاريخ ظهور الطيرة يتمشى في سيره على الأرض مع تاريخ ظهور الشرك ــ والعياذ بالله ــ.

وإذا بحثنا عن أعظم شيء تشاءم به هؤلاء المشركون الضالون لوجدنا عجباً، ذلك أن أعظم ما تشاءم به المشركون هو أعظم ما أمر به الله عز وجل!!! ذلك هو

ذكر الله تعالى وحده لا شريك له، الذي هو مفتاح باب الجنة، فمن لم يكن معه مفتاح لم يفتح له بابها، وقد جعله الله سبحانه وتعالى سبباً للفلاح، فقال عز وجل: ﴿واذكروا اللهَ كثيرًا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال: ٤٥].

وحث على الإكثار منه؛ فقال تعالى: ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا اللهَ كذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: أن نوفًا وعبد الله بن عمرو بن العاص قد اجتمعا. فقال نوف: لو أن السموات والأرض وما فيهما وُضع في كِفّة الميزان ووضعت (لا إله إلا الله) في الكفة الأخرى لرجحت بهنّ، ولو أن السماوات والأرض وما فيهن كنّ طبقاً من حديد فقال رجل (لا إله إلا الله) لخرقتهن حتى تنتهي إلى الله عز وجل.

فقال عبد الله بن عمرو: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فعقّب من عقّب، ورجع مَنْ رجع، فجاء ﷺ وقد كاد يحسر ثيابه عن ركبتيه، فقال: «أبشروا معشرَ المسلمين، هذا ربكم قد فتح باباً من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة، يقول: هؤلاء عبادي قَضَوْا فريضة وهم ينتظرون أخرى » [(١)].

كما أخرج الأمام أحمد في مسنده: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «من قال في يوم مائتى مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير: لم يسبقه أحد كان قبله، ولم يدركه أحد كان بعده؛ إلا بأفضل من عمله» ـ يعني إلا من عمل بأفضل من عمله ـ[(٢)].

وفي صحيح الجامع الصغير: أخرج مالك عن طلحة بن عبد الله مرسلاً وحسّنه الألباني: « أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة، وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٢/ ١٨٦، ١٩٧، « نحوه ».

(٢) المصدر السابق ٢/ ٢١٤، وأخرجه البخاري بنحوه ٤/ ١١٣ باب التهليل.

إلا الله وحده لا شريك له »[1].

كما ذكر في صحيح الجامع الصغير، وفي المشكاة: عن جابر رضي الله عنه: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله »[2].

وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ إن نوحاً عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه فقال: إني قاصر عليكما الوصية، آمركما باثنتين، وأنهاكما عن اثنتين :

أنهاكم عن الشرك والكبر.

وآمركما بلا إله إلا الله .

فإن السموات والأرض وما فيهما لو وضعت في كفّة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الأخرى كانت أرجح، ولو أن السموات والأرض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لفصمتهما أو لقصمتهما.

وآمركما بسبحان الله وبحمده.

فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء[3].

وقد وردت في فضل ذكر الله عز و جل أحاديث كثيرة نكتفي بما أوردناه آنفاً، ومن أراد الزيادة فيرجع إلى كتاب « الوابل الصيّب » لابن القيم.

ومع ذلك فقد تشاءم المشركون ـ لجهلهم ـ عن سماعهم هذا الذكر المبارك. وانقبضت صدورهم لتقريره، فكلمة التوحيد هذه هي أعظم ما يتشاءم به المشركون في كل زمان، فقد قال الله تعالى في معرض ذمّه للمشركين: ﴿ **وإذا ذُكِرَ اللهُ وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون** ﴾ [الزمر: ٤٥].

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٣٦٢/١ رقم ١١٣.

(٢) المصدر السابق ٣٦٢/١ وقال حديث حسن، والمشكاة ٧٠٩/١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٢ / ٢٢٥.

قال ابن كثير في تفسيره : « قال مُجاهد: اشمأزت: انقبضت، وقال السُّدِّي: نفرت، وإذا ذكر الذين من دونه: أى الأصنام والأنداد، قال مجاهد: « إذا هم يستبشرون: أى يفرحون ويسرون » [1].

وعلى هذا فالدعوة لتوحيد الله وعدم الشرك به هى مبدأ ظهور التشاؤم، ولكن الذي أنشأه هو الجنس المشرك الضال من بني الإنسان، وأما المهتدون الموحدون، فإن الله سبحانه وتعالى يشرح صدورهم بالتوحيد، ويطمئن قلوبهم بالإيمان، ويشفي صدورهم بالتقوى. قال الله تعالى: ﴿ **فمن يُرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيّقًا حَرَجًا كأنما يَصَّعَّدُ فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. فهذه الآية الكريمة بيّنت أن ما تشاءم به المشركون هو نفسه ما تفاءل واستبشر به المسلمون.

وبتَدبُّر الآية الكريمة يتضح لنا أن انشراح الصدر للإسلام من علامات الخير والهداية، وأن انقباض الصدر، وضيقه بالإسلام إنما يكون من علامات سخط الله تعالى على ذلك الإنسان، لذا فقد خُتمت الآية بقوله تعالى: ﴿ **كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون** ﴾. يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: « كما يجعل الله صدر من أراد إضلاله ضيقًا حرجًا كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن يأبى الإيمان بالله وبرسوله، فيغويه، ويصده عن سبيل الله. وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما: الرجس: الشيطان، وقال مجاهد: الرجس: كل ما لا خير فيه. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الرجس: العذاب » [1].

وعلى هذا فالتشاؤم ظاهرة واكبت الشرك، وابتدعها المشركون؛ مما يدل أبلغ الدلالة على فسادها ووجوب تركها، وعدم الالتفات إليها.

رابعًا : تطير المشركين من رسل الله عز وجل :

اتضح لنا من مبحث سابق أن المشركين كانوا ـ لجهلهم وضلالهم ـ يتطيرون

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤/ ٥٥، ٥٦.

بمجرد سماعهم لكلمة التوحيد.

وسنرى في هذا المبحث كيف تطير المشركون من كل من يحمل لواء هذه الكلمة، ويعمل على الدعوة إليها أو الاستمساك بها.

ولما كان رسل الله عليهم الصلاة والسلام هم أعظم الدعاة إلى التوحيد ـ توحيد الله وعدم الشرك به ـ يجاهدون في سبيل نشر دعوتهم، ويبذلون في سبيلها النفس والنفيس، والغالي والرخيص، فقد تطير المشركون بهم، وحاربوهم بكل السبل والوسائل، وجادلوهم بالباطل ليدحضوا به الحق، ورموهم بكل ما هم صلاة الله وسلامه عليهم بُرءاء منه.

ولكن الله سبحانه وتعالى يأبى إلا أن يتم نوره، وينصر رسله، ويعز جنده، فيحيط اللهُ بالكافرين والمشركين، ويلحق بهم المصائب تَتْرى جزاءً لهم على ما قدّمت أيديهم، ويذيقهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون عن غيِّهم وضلالهم، ويتراجعون عن استنكافهم واستكبارهم، فيخضعون لله عز وجل، ويتبعون الرسل، بَيْدَ أن هذا التخويف من الله عز وجل لم يكن ليزيد الكافرين والمشركين إلا ضلالاً وطغياناً! فبدلاً من الرجوع إلى الحق تمادوا في الباطل، ونسبوا هذه المصائب التي تنزل بهم للرسل الكرام، فأعلنوا طيرتهم بالرسل جِهاراً، وجعلوهم سبباً لنزول المصائب، وحلول الكوارث، فقالوا بكل وقاحة: ﴿ **إنّا تطيرنا بكم** ﴾ [يس: ١٨]، أي تشاءمنا بكم، وما رأينا على وجوهكم ووجوه أتباعكم من خير، فأنتم سبب لنزول المصائب بنا وحلول الكوارث علينا!

ولكن الله الخبير العليم سبحانه وتعالى يرد عليهم مقالتهم الضالة الخبيثة، ويبين لهم أن هذه المصائب التي تنزل بهم إنما هي من عند الله، مُقدّرةً عليهم بسبب عصيانهم للرسل عليهم الصلاة والسلام وإعراضهم عن التوحيد، وارتكابهم للذنوب، فنفوسهم الشريرة هي وحدها دون سواها التي تسببت في نزول تلك المصائب، وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

ولو تتبعنا المواضع التي ذكر القرآن الكريم فيها تطير الكفار بالرسل لوجدنا أنها تنحصر في أربعة مواضع؛ هي :

الموضع الأول:

تطير ثمود بصالح عليه السلام حيث قالوا له: ﴿ **اطيرنا بك وبمن معك** ﴾ فرد عليهم بقوله ﴿ **طائركم عند الله بل أنتم قوم تُفتنون** ﴾ [النمل:٤٧].

الموضع الثاني:

تطير آل فرعون بموسى عليه السلام؛ حيث أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ **وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه** ﴾، ويرد الله عز وجل عليهم بقوله: ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [الأعراف: ١٣١].

الموضع الثالث:

تطير أصحاب القرية برسل الله عز وجل؛ حيث قالوا لهم: ﴿ **إنّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** ﴾.

فيرد عليهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بقولهم: ﴿ **طائركم معكم أئن ذُكّرتم بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ [يس:١٨- ١٩].

الموضع الرابع :

تطير اليهود والمنافقين وأعداء الإسلام بمحمد ﷺ، حيث أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** ﴾ فيأمره الله سبحانه وتعالى أن يرد عليهم بقوله :

﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ [النساء:٧٨].

وبهذا نكون قد استدللنا بواسطة القرآن الكريم على أن المتطيرين هم أعداء الله سبحانه وتعالى، وأعداء رسله عليهم الصلاة والسلام، وفيما يلي سنبحث عن أصل الطيرة في الأدب الجاهلي.

أصل الطيرة من خلال الأدب الجاهلي

قال عنترة بن شداد يتوجع على فراق أحبابه :

ظَعَنَ الذين فِراقهم أتوقَّع ... وجَرَى ببينِهمُ الغرابُ الأبقعُ
حَرِقُ الجَناحِ كأنَّ لَحْيَيْ رأسِه ... جَلَمان بالأخبار هشٌّ مولَع
فزجرته ألا يُفرِّخَ طيره ... أبداً ويصبح خائفاً يتفجع
إن الذين نعيت لي بفراقهم ... هم أسهروا ليلى التمام فأوجعوا [١]

يتوقع الشاعر هنا فراق أحبابه، ويقول: إن الغراب الأبقع قد أنذره بذلك، ويصفه بأنه كريه المنظر، منسول الريش، مولع بتفريق الأحباب، فكأن فكيه مِقص كبيرة يقص أواصر الأحباب ويفرقهم، فالشاعر هنا يتشاءم من منظر الغراب، ومن لونه، ومن صوته، ومن ريشه المنسول، ويُحَمّله مسئولية ما أصابه من الحزن بذلك !

قال النابغة الذُّبياني وقد سمع صوت الغراب فتشاءم :

زعم البوارح أن رحلتنا غداً ... وبذاك تنعاب الغداف الأسود [٢]

الغداف الأسود: الغراب الأسود.

كما حذا حذوه زُهير بن أبي سُلمى إذ قال:

ألفى فراقهم في المقلتين قذى
أمسى بذاك غراب البين قد نعقا [٣]

---

(١) كتاب الحيوان ٣/ ١٦، ٤٤٢ وديوان عنترة ١٠٣، والحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٣٨٨.
ظعن: سار ورحل، البين: الفراق، الأبقع: الذي فيه سواد وبياض، حرق الجناح : أسود منسول الريش متقطعه، اللحيان: جانبا الوجه، الجلم: الذى يقص به وهما جلمان، يفرخ: يصير له فراخ.

(٢) مختار الأغانى (٣٤١/٥).

(٣) الأغاني للأصفهاني ١٥٧/٩.

فالشاعران قد أظهرا تشاؤمهما لدى سماعهما صوت الغراب واستدلا بذلك على قرب فراقهم لأحبابهم.

وقال الشاعر:

وصــاح غــراب فــوق أعــواد بانة ... بأخبــار أحبــابى فــهــيّمني الفكر
فــقــلت غــراب باغــتــراب وبانة ... ببيْن النوى تلك العــيــافــة والزجــر
وهبت جنوب باجــتــنابى منهــم ... وهاجت صبا قلت الصبابة والهجر(١)

فالشاعر هنا يتشاءم بعدة أشياء، منها شجر البان والغراب، ورياح الجنوب، وريح الصّبَا.

قال عنترة بن شداد العَبسي :

طربتَ وهاجتْكَ الظِّبــاءُ الســوانح ... غــداةَ غــدت منهــا سنيحٌ وبارحُ
تغــالت بيَ الأشــواق حــتى كــأنما ... بزندين في جوفى من الوجد قادح (٢)

لقد اشتهر عنترة العبسي بفروسيته، وبحبه لابنة عمه عبلة، وبشعره... وهو هنا يصف حاله وشدة شوقه لابنة عمه، وشدة حزنه وألمه لبعده عنها، وزاد من سوء حاله رؤيته للظباء السوانح والبوارح، مما جعل الأمر يختلط عليه فلا يدرى أيتشاءم أم يتفاءل؟ وهذا مما زاد في أحزانه.

خلاصة القول في أصل التطير :

فيما سبق ألمحنا بصورة موجزة إلى ما كان عليه أهل الجاهلية من التطير، وذكرنا بعضاً مما كانوا يتطيرون به، ومنه السوانح والبوارح... والغراب والشجر والرياح وغير ذلك .. فما أصل هذا التطير؟

---

(١) شرح ابن عقيل ج١/ ١٧٤.

(٢) ديوان عنترة ص ٣٧ حرف الحاء. طربت: الطرب خفة تعتريك من سرور أو حزن، هاجتك: أثارت همك وبعثت شوقك، الظباء: جمع ظبي، السوانح والسنيح: ما يأتى عن اليمين من الظباء، البوارح: ما يأتي عن اليسار من الظباء، قادح: اسم فأل من قدح الزند قدحاً إذا ضربه لتخرج منه النار. الوجد: الحزن.

١ – قال الجاحظ ـ رحمه الله ـ في كتابه الحيوان:

وأصل التطير من الطير (الذى يطير بجناحيه) إذا مر بارحاً أو سانحاً، أو رآه يتفلى أو ينتف، ثم صاروا إذا رأوا الأعور من الناس والبهائم أو الأعضب أو الأبتر زجروا عند ذلك، وتطيروا، كما تطيروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال، فزجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطير، ثم استعملوه في كل شيء [١].

٢ – وفي صبح الأعشى:

قال وقد ذكر النوع الرابع عشر وعنوانه: « في أوابد العرب » : وهي أمور كانت العرب عليها في الجاهلية، بعضها يجري مجرى الديانات وبعضها يجرى مجرى الخرافات، وجاء الإسلام بإبطالها: وهى عدة أمور، منها الكِهانة ... ومنها الزجر والطيرة وهما في معنى واحد، قال:

و أصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير، فإن طار يميناً كان له حكم، وإن طار شمالاً كان له حكم، وإن طار من فوق رأسه كان له حكم، ومن ثَمّ سميت الطيرة أخذاً من اسم الطير، وأكثر ما عوّلوا عليه من ذلك الغراب، ثم تعدّوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جازوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حدٍّ من الكهانة [٢].

٣– قال في المنجد :

وقد اشتق العرب الطيرة من الطير لسرعة لحوق البلاء ـ على اعتقادهم ـ كما يسرع الطير في طيرانه [٣].

٤– أما التدرج في استعمال الطيرة

من الطير إلى الحيوان ـ وخاصة الظباء ـ فلعل ذلك ـ والله أعلم ـ يرجع إلى أن

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ٣/ ١٣٥.

(٢) صبح الأعشى ج١/ ٣٩٩.

(٣) المنجد ص ٤٧٧ مادة طار.

أكثرهم كان يشبّه الفتاة الحبيبة بالظبية، بل ومن شدة شوقهم ووجودهم كان يُخيل إليهم أحياناً أن حبيبتهم قد عرضت لهم في صورة الظبية، وفي شكلها، ويستعملون في أشعارهم أسماء الظباء المختلفة: غزال، ظبية، ريم ... وظل هذا التقليد في تشبيه الحبيبة بالظبية إلى وقتنا الحاضر عند بعض الشعراء.

قال قيس بن المُلَوّح الملقب بمجنون ليلى :

فَكَلِّم غـزال المتحَـيْن فإنـــه بدائي وإن لم يشفني لَطَبيبُ [1]

وقال الشاعر :

يا ظبية البان ترعى في خمائله ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

وأنشد الثعالبي لبعض شعراء عصره :

رنا ظبياً، وغنى عند ليساً

ولاح شقائقاً ومشى قضيبا [2]

وذكر ابن قتيبة أن كُثيرً [3] عزة دخل يوماً على عبد الملك بن مروان، فقال له عبد الملك: هل رأيت أحداً أعشق منك؟؟

قال: نعم :

بينما أنا أسير في فلاة إذا برجل قد نصب حباله وهو جالس، فقلت له: ما أجلسك ها هنا؟ فقال: أهلكني وقومي الجوع فنصبت حبالتي هذه لأصيب لهم شيئاً ولنفسي. قلت: أرأيت إن أقمتُ معك أتجعل لي جزءاً من صيدك؟ قال: نعم فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية في الحبالة فبادرني إليها فحلّها وأطلقها، فقلت: ما حملك على ذلك؟!! قال: رق قلبي لها لشبهها بليلى، وأنشد :

---

(١) كتاب مجنون ليلى ص ٥٨.

(٢) حياة الحيوان الكبرى ج٢ / ١٨٦.

(٣) هو كُثيِّر بن عبد الرحمن بن أبي جمعة من خزاعة وكان رافضياً، وكانت وفاته ووفاة عكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد ويكنى أبا صخر، الشعر والشعراء لابن قتيبة ج١/ ٥٣٠ رقم ٨٨٦.

أيا شِبْهَ ليلى لا تُراعى فـــإننى لكَ اليـــومَ من وَحْشـــيّةٍ لصـــديقُ
أقـولُ وقـد أطلقْتُهـا من وَثاقـهـا لأنتِ لليلى مـــا حَيِيتُ طَلِيقُ[1]

ومن أكثر شعراء الجاهلية شهرة في هذا المضمار هو قيس بن المُلَوَّح، الذى لُقِّب بمجنون ليلى.. من شدة حبه لها .. وقد رفض والدها أن يزوجها له ومنعه من رؤيتها فازداد حباً وغراماً.. وهام على وجهه في البراري ... فلا يكاد يرى ظبية حتى يزداد حنينه ويشتد وجده فينشد الشعر الذي يصور حالته مع الظباء .. ومع ليلى التي يشبهها بالظباء. كما أن عنترة بن شداد العَبْسي هام حباً بابنة عمه عبلة، فلم تمنعه فروسيته، وشجاعته من التغني بها، ورؤيتها في كل شيء جميل حتى في الظباء.

ولذا فالملاحظ أنهم كانوا في الجاهلية يتطيرون بالسوانح والبوارح من الظباء أكثر من غيرها من الحيوانات أو الظواهر الطبيعية، وذلك لشدة مراقبتهم لها .. واستدلالهم بها على ما سيتفق لهم من أمور الوصل أو الفراق مع حبيباتهم، كما مر بنا .. ثم استعملوا ذلك في أغراض شتى، فيما يتصل بشئون حياتهم.

٥- وقد تطيروا وتفاءلوا بأشياء كثيرة:

منها حيوانات أو طيور أو نباتات معيّنة، ومنها مراقبة هذه الحيوانات .. وتفسير كل ما يصدر عنها من أفعال بما يصوره لهم الخيال! ومنها مراقبة الظواهر الطبيعية من رياح ونجوم وأمطار وجبال وصخور .. إلخ، والاستدلال بكلٍّ من ذلك على ما سيصيبهم من خير أو شر ..

٦- أشد ما تشاءموا منه :

غير أن أشد ما تشاءموا منه هو الغراب كما مر معنا ـ في صبح الأعشى ـ وقد كثر ذكره في أشعارهم، فما في الأرض من سانح ولا بارح ولا نطيح ولا قعيد، ولا أعضب ولا أبتر ولا شيء مما يتشاءمون به ـ إلا والغراب عندهم أكثر شؤماً منه

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ج١ / ٥٠٩ وفيات الأعيان ١٠٨/٤.

وأشد بلاء وأبشع أخباراً وأشنع إخباراً .. ولعل الباحث تأخذه الدهشة لهذا الموقف من الغراب .. ويتساءل عن السر الذي حملهم على هذا الشعور تجاه الغراب ؟

٧- السبب في شدة التشاؤم بالغراب :

والحقيقة أنه ليس هناك سبب معقول تطمئن إليه النفس في هذا الموضوع، ولكن ربما كان ذلك راجعاً إلى اسمه، أو إلى لونه، أو إلى صوته.. بل ربما يكون الأمر راجعاً إلى كل هذه الأمور مجتمعة.

قال الجاحظ في كتابه الحيوان :

« وتطيّروا بالغراب إذا كان أسود، ولاختلاف لونه إن كان أبقع، ولأنه غريب لا ينقطع إليهم ولا يوجد في موضع إلا عند مباينتهم لمساكنهم، ومزايلتهم لدورهم، ولأنه ليس شيء أشد على ذوات الدبر من إبلهم من الغربان، ولأنه ينقب عن الدبر حتى يبلغ دأيات العنق وما اتصل بها من خرزات الصلب وفقار الظهر» [١].

كما أن الجاحظ فصّل في شدة ولع الغراب بنقر قروح الإبل في موضع آخر من كتابه الحيوان فقال: « إن العرب تسمى الغراب ابن دَأْيَةَ؛ لأنه إذا وجد دبرة فى ظهر البعير أو قرحة في عنقه سقط عليها ونقره وعقره حتى يبلغ الدايات، ولذا فقد كان العرب إذا كان في ظهر البعير دبرة غرزوا في سنامه إما قوادم نسر أسود، وإما خرقة سوداء، لتفزع الغربان منه، ولا تسقط عليه، وقد يوضع الريش علامة لجمال الملوك» [٢].

كما أشار الجاحظ رحمه الله إلى تشاؤم العرب باسم الغراب بقوله: « إن اسمه قد اشتقت منه الغرابة والاغتراب والغريب» [٣]، « ولهذا جعلوا الغراب مثلاً في الشؤم،

---

(١) الحيوان للجاحظ ص ٣ / ١٣٦ . وفي حاشيته: الأبقع : الذي فيه بقع كالبلق في الدابة. الدبر : جمع دبرة وهى القرحة. دأيات العنق : فقراته .

(٢ ، ٣) الحيوان للجاحظ: ج٣/ ١٢٩.

حتى أنّهم إذا ذكروا غيره ذكروا الغراب معه، وقد يذكرون الغراب وحده وهم يتشاءمون بغيره من وجه واحد، وأما هو فكثير المعاني في هذا الباب، فهو المُقَدّم في الشؤم! » [1].

«وبلغ من بغضهم للغراب أن تحرزوا من التصريح باسمه، فكنوا عنه بالأعور! مع أنه مشهور عندهم بقوة الإبصار، وصفاء العين، فيقال: أصح بدناً من الغراب، وأبصر من غراب، وأصفى عيناً من غراب» [2].

قال في حياة الحيوان :

روى الحافظ أبو نُعيم في حليته في ترجمة سفيان بن عيينة عن مِسْعر بن كِدَام قال: زعم ابن الأعرابى أن العرب تسمى الغراب الأعور لأنه يغمض أبداً إحدى عينيه ويقتصر على النظر باحداهما من قوة بصره. وقال غيره: إنما سمى أعور لحدة بصره على طريق التفاءل.

قال بَشّار بن بُرْد الأعمى :

وقــد ظلمــوه حــين سمــوه سـيداً   كما ظـلـم الناس الغـراب بأعـورا

وذلك أن الغراب مشهور بقوة الإبصار حتى أنه يبصر من تحت الأرض بقدر منقاره.

٨- تفاوت الجاهليين في إيمانهم بالطير والطيرة :

ولا يفوتنا أن نقرر أن التطير لم يكن شيمة كل شخص عاش في الجاهلية، وإنما كان هناك مَنْ أنكرها بالعقل، وكشف زيفها بالتجربة، فقال في ذلك شعراً ...

ومنه قول الأرقم :

لا يمـنعـنّك مـن بـغــــا   الخـيـر تعـقـيـد التـمـائم

أم: ولا ؟ بـــالـــعـــطـــا   س ولا التـيـمن بالمقـاسم

ولقــد غـــدوت وكنت لا   أغــدو على واق وحـــاتم

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ: ج٣/ ١٣٥.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ ج٣/ ١٣٧.

فـــإذا الأشـــائم كـــالأيا   من والأيامن كـــالأشـــائم [1]

ولكثرة تشاؤمهم بالغراب، فقد كثرت أشعارهم وأقاصيصهم حوله مما يستدعى الكلام عنه في موضع آخر من هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ.

هذا وإن العرب في الجاهلية لم يقتصر تشاؤمهم على الغراب وحده؛ بل إنهم تشاءموا أيضاً بطيور أخرى، ومنها الجراد، لأن فيه معنى الجرد، ولأنه ذو ألوان [2]. والجرد من معانيه القحط والمنع والتعرية والبِلَى[3].

كما يتطيرون بالبازي، والطاوس، والأخيل، والبوم، وأشياء كثيرة من جهة التسمية، ويتيمن[*] بها آخرون [4].

وكذلك تشاءموا ببعض الحيوانات، كالثور الأعضب: أى المكسور القرن، والأبتر: أى المقطوع الذنب، والقعيد، وهو ما أتاك من خلفك من ظبى أو طائر أو حيوان، والنطيح: وهو ما استقبلك من أمامِك من طائر أو ظبى أو وحش [5] والسانح والبارح.. وقد مر الكلام عليهما أثناء الكلام على تعريف الطيرة.

قال الرماح بن أبرد :

---

(١) الأغانى ١٥٧/٩ طبعة الساسى، وحماسة البحترى ٢٥٥، وفتح البارى ج١٠/ ٢١٣، ومفتاح دار السعادة ٢٣٠/٢، وحياة الحيوان الكبرى ج١ /٢٥٥، ج٢/ ٣٩٠. وفى بعض النسخ نسبت هذه الأبيات لـ (المرقش)، وفى بعضها (واق وحائم) بدلاً من (واق وحاتم).

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ: ٣/ ١٣٦ .

(٣) القاموس المحيط مادة جرد .

(*) يتيمن: من التيمن، ومعناه ـ كما جاء في (الإمتاع والمؤانسة ج١٦١/٢) ـ: عبارة عن شيء يبشر به ما يراد ويبتغى. قال.. ويقال: فلان ميمون الناصية، وميسور الناصية، أي هو سبب ظاهر فى نيل مأمول وإدراك محبوب، واشتقاقه من اليمين وهو القوة، ولذلك يقال لليسار شمال، لأنها أضعف منها، وتسمى أيضاً الشؤمى.. ويقال يمن فلان عليهم، وشؤم، وهو ميمون ومشئوم، جعل الفعل على طريق ما لم يسم فاعله، لأنه شيء موصول به من غير إرادته واختياره، وإنما نزعوا إلى قولهم فلان مشئوم ليكون الفعِل واقعاً به ـ أعنى المكروه ـ وإلا فهو شائم في الأصل. ويقال: شأم فلان قومه، وكذلك يمَنَهم، وأنهما قوتان علويتان تصحبان مزاجين مختلفين، وإذا اعتيد منهما هذان العرضان اللذان يصدران عن هاتين القوتين العلويتين قيل: فلان (كذا) وفلان (كذا) ا.هـ.

(٤) الحيوان للجاحظ ٣/ ١٤٢.

(٥) المخصص لابن سيده مواد الكلمات .

جرى بانبتات الحبل من أم جحدر ظباءٌ وطيرٌ بالفراق نعوبُ [1]

كما تشاءموا أيضاً بالنباتات متأثرين في ذلك باسم النبات وما يدل عليه أو بطعمه أو نحو ذلك.

قال الجاحظ رحمه الله :

وأشركوا النبات مع الطير والحيوان، فتشاءموا بالغَرْب ـ وهى شجرة حجازية ضخمة شائكة ـ، كما تشاءموا بشجر (البان)، والخلاف ـ أي الصفصاف ـ. ولعل السبب أنهم ربطوا بين أسمائهم وما تدل عليه مادتها من غربة، وبين، واختلاف، وربما نظروا إلى مرارة طعم الريحان ـ وهم يتفاءلون بالريحان ـ فتشاءموا به [2].

ولم يقتصر تشاؤمهم على الطير والحيوان .. بل تشاءموا أيضاً بأول ما تقع عليه أنظارهم، أو بأول كلمة يسمعونها، أو بالحوادث، أو بالظواهر الطبيعية، أو بمواقع النجوم، أو بذوى العاهات، والمرضى، وسماع صوت العطاس.

قال امرؤ القيس:

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل شديد منيع الجنب فعم المُنَطَّقِ

كما أنهم تطيروا بكل ما تصوره لهم أوهامهم حتى بلغ بهم التطير حداً جعلهم يتشاءمون من سماع كلمة التوحيد، ومن دعاة الله ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وهذا كله من وساوس الشيطان وشدة هيمنته عليهم .. وسنتكلم عن ذلك بمزيد من التفصيل إن شاء الله في موضع آخر من هذه الرسالة.

٩- دفع شبهة عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها :

وقد ذكر الدكتور محمد الحوفي في كتابه « الحياة العربية من الشعر الجاهلي» رواية من تاريخ الطبرى، ومعجم البلدان مفادها :

---

(١) كتاب الأغاني ٢٧٣/٢ . انبتات الحبل : انقطاع الوصل. أم جحدر: حبيبة الشاعر. نعب الغراب: أنذر بالبين على زعمهم، فراق نعوب: فراق سريع، والنعب أصله وصف للريح وللناقة في السرعة .

(٢) الحيوان للجاحظ ج٣/ ١٤٢.

« أن السيدة عائشة رضي الله عنها سارت إلى البصرة لتشترك في موقعة الجمل، فلما مرت على ماء الحوأب نبحتها كلابه، فقالت هي ومن معها : أي ماء هذا؟ فقيل لها: ماء الحوأب، فصرخت السيدة بأعلى صوتها، ثم ضربت عضد بعيرها فأناخته، ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقًا، ردوني ـ تقول ذلك ثلاثًا ـ، فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى، فغالطوها وقالوا لها أنه ليس ماء الحوأب، حتى كان الغد فجاءها ابن الزبير فقال النجا النجا، فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب، فارتحلوا » .

قال الدكتور الحوفى معلقًا على هذه الحادثة بعد أن أوردها فى كتابه : « ويظهر أن العرب كانوا يتشاءمون بكلاب الحوأب إن نبحتهم، ويتفاءلون بها إن لم تنبحهم، وظل وهمهم هذا إلى ظهور الإسلام »[1]!!! قلت: وهذه الحكاية تحمل معها دليل ضعفها.

وهي إن صحت* فلا يمكن أن تكون السيدة التى تشاءمت هى السيدة عائشة؛ أم المؤمنين زوجة رسول الله ﷺ؛ وذلك من وجوه :

– إنّ وقعة الجمل المشار إليها في الحكاية مشهورة، والكل يعرف أنها حدثت في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين ـ أي في الصدر الأول للإسلام ـ حيث حرم رسول الله ﷺ الطيرة.. وروى عنه أنه قال: « مَنْ ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك »[2]... وحيث أنكر جميع الصحابة رضوان الله عليهم الطيرة والتطير.. فلم تكن الطيرة لتردهم عن مقاصدهم وقد سمعوا رسول الله ﷺ ينهى عن ذلك!

والدكتور الحوفى نفسه يقول: إن الإسلام أبطل الطيرة، فقد قال ـ بالحرف الواحد ـ: «ويظهر أن العرب كانوا يتشاءمون بكلاب الحوأب إن نبحتهم ويتفاءلون بها إن لم تنبحهم وظل وهمهم هذا إلى ظهور الإسلام».. فتعليق الدكتور الحوفى نفسه ـ وبدون قصد منه ـ يحمل فى ثناياه دليل نقض تلك الرواية.

---

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلى: ص ٣٨٩، ٣٩٠.

(٢) هذا جزء من حديث سيأتى بتمامه مخرجاً فى الفصل الخامس من الباب الثالث.

* انظر الصحيحة للألبانى برقم ٤٧٤ . وسيأتى فى آخر ردّ المؤلفة ـ حفظها الله ـ على الحوفى هذا كلامٌ سديدٌ أفضل من كلامها ها هنا، ومفاده: أن أم المؤمنين عائشة لم تعزم على الرجوع تطيراً منها بسماح النباح؛ وإنما لتذكرها حديثاً عنه ﷺ فى فتنةٍ تحدث فى هذا المكان [الناشر].

- إن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها كانت من أشد المنكرين للطير والطيرة، فلا يعقل أن تتطير من كلاب وغيرها مجرد تطير! فكيف يردها نباح الكلاب عن وجهتها ويجعلها تصمم على الرجوع من حيث أتت كما جاء في الرواية الآنفة الذكر؟!

ولقد أنكرت رضي الله عنها على أبي هريرة رضي الله عنه حديثه الذى يرويه مرفوعاً عن « شؤم المرأة، والدابة، والدار » ـ وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى عند الكلام على حكم الطير والطيرة ـ ومنه كما جاء في فتح البارى: وجاء عن عائشة أنها أنكرت هذا الحديث [١].

وذكر [٢] أبو عمر ابن عبد البر من حديث هشام بن عمار عن قتادة عن أبي حسان أن رجلين دخلا على عائشة وقالا: إن أبا هريرة يحدّث أن النبي ﷺ قال: « إنما الطيرة في المرأة والدار والدابة » فطارت شقة منها في السماء وشقة في الأرض ثم قالت: كذب والذى أنزل الفرقان على أبى القاسم مَن حدّث عنه بهذا، ولكن رسول الله ﷺ كان يقول: «كان أهل الجاهلية يقولون إن الطيرة في المرأة والدار والدابة» ، ثم قرأت عائشة: ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد: ٢٢].

وقال أبو عمر: وكانت عائشة تنفي الطيرة، ولا تعتقد منها شيئاً، حتى قالت لنسوة كُنّ يكرهن البِناء بأزواجهن في شوال: ما تزوجني رسول الله ﷺ إلا في شوال، وما دخل بي إلا في شوال، فمن كان أحظى مني عنده! وكانت تستحب أن يدخلن على أزواجهن في شوال [٣].

---

(١) فتح البارى: ج ٦ / ٦١.

(٢) حكاه ابن القيم في مفتاح دار السعادة ج٢/ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٣) مفتاح دار السعادة: ج٢ / ٢٥٤، والأثر عن عائشة رواه الترمذي بنحوه في صحيحه بشرح الإمام ابن العربي المالكى ٢/٥ باب ما جاء في الأوقات التى يستحب فيها النكاح من طريق عروة عن عائشة، =

قال أبو عمر: وقولها في أبى هريرة (كذب) : أى غلط، فإن العرب تقول كذبت بمعنى غلطت فيما قدرت، وأوهمت فيما قلت، ولم تظن حقاً... ونحو هذا، وذلك معروف من كلامهم، موجود في أشعارهم [١].

وقال في فتح الباري :

روى أبو داود الطيالسي في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول، قال: قيل لعائشة: إن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الشؤم في ثلاثة» : فقالت: لم يحفظ، إنه دخل وهو يقول: «قاتل الله اليهود، يقولون: الشؤم في ثلاثة» ـ فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله .

فقال الحافظ رحمه الله تعالى: « ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع »[٢].

وأورد ما رواه ابن عبد البر عن عائشة رضي الله عنها، وفيه إنكارها للطيرة.

والحاصل أن السيدة عائشة لم تكن تتطير، وليس الأمر كذلك فحسب، بل إنها أيضاً كانت تنكر على المتطيرين، وتنهى عن الطيرة؛ متمثلة قول الله تعالى: ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد: ٢٢].

وكانت رضى الله عنها متمسكة بسنة رسول الله ﷺ وهديه في إنكار الطيرة، والنهى عنها، وتحريمها.

وأما الأثر الذى جاء فى تاريخ الطبرى[٣] ومعجم البلدان [٤]: فقد رجعتُ إليهما فلم أجد في أي منهما ما يشير إلى أن السيدة عائشة رضي الله عنها قد تشاءمت من

= وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث الثورى عن إسماعيل بن أمية ا.هـ ورواه ابن ماجه بنحوه في سننه ٦٤١/١ فى النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء، عن عروة عن عائشة، ورواه النسائى بنحوه في سننه بشرح السيوطى وحاشية السندى ٧/٦ باب التزويج في شوال عن عروة عن عائشة.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) فتح الباري شرح البخاري ج ٦/ ٦١.

(٣) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ج٤ / ٤٥٦ ، ٤٥٨.

(٤) معجم البلدان ج٣/ ٣٥٥، ٣٥٦ باب الحاء والواو وما يليها.

نباح كلاب الحوأب ..

وإنما وجدتُ أن السيدة عائشة قد ارتاعت عند سماعها نباح الكلاب، وذلك لأنها تذكرت رواية عن رسول الله ﷺ [1] تُخبر بذلك.

وفي معجم البلدان توجيه آخر ـ ولعله أكثر إقناعاً ـ: ذلك أن السيدة التى نبحتها كلاب الحوأب. لم تكن السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وإنما ربما كانت مولاتها سلمى. والقصة باختصار كما جاء في معجم البلدان:

وفي الحديث أن عائشة رضي الله! عنها لما أرادت المضى إلى البصرة في وقعة الجمل مرت بماء الحوأب فسمعت نباح الكلاب فقالت: ما هذا الموضع؟ فقيل لها: هذا موضع يقال له الحوأب. فقالت: إنا لله! ما أراني إلا صاحبة القصة! فقيل لها: وأي قصة؟! قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: « ليت شعرى أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق في كتيبة» ـ وهمت بالرجوع، فغالطوها، وحلفوا

---

(١) حديث الحوأب: أخرجه أحمد: ٥٢/٦ عن يحيى وهو القطان، و٦، ٩٧ من حديث شعبة، وابن حبان في صحيحه ٨٣١ – موارد: عن وكيع وعلى بن مسهر، وابن عدى في «الكامل »: ق ٢/٢٢٣ عن ابن فضيل، والحاكم: ١٢٠/٣ عن يعلى بن عبيد، كلهم عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم: أن عائشة لما أتت على الحوأب سمعت نباح الكلاب، فقالت: ما أظننى إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: «أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب». فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس. وهذا لفظ شعبة، ومثله لفظ يعلى بن عبيد.

ولفظ يحيى: قال: لما أقبلت عائشة بلغت مياه بنى عامر ليلاً فنبحت الكلاب، فقالت: أيُّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب. قالت: ما أظن إلا أنى راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: « كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب ».

قلت: فالحديث الشريف لا يدل على أن السبب فى عزم السيدة عائشة رضى الله عنها على الرجوع كان تطيراً من سماع نباح كلاب الحوأب، وإنما كان عزمها على الرجوع ندماً منها رضى الله عنها على الخروج بعد ما تذكرت حديث الرسول ﷺ الآنف الذكر.

والدليل: ما رواه الذهبي في « سير النبلاء » (٢١١/٣) قال: « وروى إسماعيل ابن علية عن أبي سفيان ابن العلاء المازنى عن ابن أبي عتيق قال: قالت عائشة: إذا مرّ ابن عمر فأرنيه، فلما مرّ بها قيل لها: هذا ابن عمر، فقالت: يا أبا عبد الرحمن، ما منعك أن تنهاني عن مسيري؟! قال: رأيتُ رجلاً قد غلب عليك ـ يعني ابن الزبير ـ ».

لها أنه ليس بالحوأب. وفي كتاب سيف: أن فلالَ يوم بُزَاخة الذين كانوا مع طليحةَ المتنبي أجمعت إلى ظَفَر وبها أم زِمْل سَلْمى بنت مالك بن حذيفة بن بدر الفزارية، وكانت عزيزة في أهلها مثل أمها أم قرفة، فنزلوا إليها فذَمَّرَتهم، وأقرتهم بالحرب، وكانت أم زمل قد سبيت أيام أم قرفة فَوُهِبَتْ لعائشة رضي الله عنها فأعتقتها، فكانت تكون عندها، وقد كان النبي ﷺ دخل عليهن فقال: إن إحداكن تستنبح كلاب أهل الحوأب». ثم رجعت سلمى إلى قومها وارتدّت فيمن ارتدّ، فلما رجع إليها الفلال طلبت بذلك الثأر فسيِّرت ما بين ظَفَر والحوأب حتى تجمع لها خلق كثير من غطفان وهوازن وسليم وأسد وطيء، فبلغ ذلك خالداً، فسار إليها، واقتتل الفريقان قتالاً شديداً، وهي راكبة على جمل أمها، حتى اجتمع على الجمل أناس من المسلمين فعقروه وقتلوها وقتلوا حولها مائة رجل! فكانوا يروون أنها التي عناها النبي ﷺ [1].

وبهذا وبما سبق أن أكَّدتُهُ عن السيدة الجليلة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها من إنكارها الشديد للطير والطيرة، وشدة إيمانها بالقضاء والقدر: يتضح لنا براءة السيدة عائشة رضي الله عنها مما نسبه إليها الدكتور الحوفى غفر الله لنا وله وألهمنا جميعاً حسن الأدب مع خير القرون الذين أضاءوا لنا الطريق بإخلاصهم وكفاحهم وشدة تمسكهم بالشريعة الإسلامية نصاً وروحاً ومنهاجاً يسيرون عليه ليضمنوا بعون الله تعالى تسليم الأمانة إلى من بعدهم من القرون بأمانة وإخلاص.

هذا ولا يفوتني أن أوجه دعوتي مخلصة لكل من يريد أن يكتب عن الصحابة رضي الله تعالى عنهم أو عن أمهات المسلمين رضي الله عنهن: أن يكون حريصاً جداً فيما ينقل أو يكتب، لأن الافتراء على أولئك النفر الطاهر رضي الله عنهم أجمعين افتراء على الإسلام برُمَّته، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

١٠- تفاوت الجاهليين في تطيرهم بالشيء الواحد:

إن الباحث في أحوال الجاهليين يرى أنهم لم يكونوا متفقين في تشاؤمهم

(١) معجم البلدان: ٣/ ٣٥٥، ٣٥٦.

وتفاؤلهم بالأشياء والظواهر والمظاهر ونحو ذلك..

فقد يتفاءل البعض بطيور وحيوانات ونباتات معينة، بينما يتشاءم بها البعض الآخر، فلو تناولنا شجر الأُتْرُج أو نباته ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ: لوجدنا أن بعض الشعراء يمدح قوماً ويشبههم بالأترج فيقول :

كأنهم شجر الأترج طاب طعماً   نوراً وريحاً وطاب العود والورق

كما نرى البعض الآخر يكرهها ويستدل بها على النفاق لأن ظاهرها مخالف لباطنها فيقول في ذلك:

أهدى له إخوانه أترجه   فبكى وأشفق من عيافة زاجر

ومنهم من أنشد فى كراهيتها :

أترجـــة قـــد أتتك براء   لا تقـــبلنّهـــا إذا بررتا

لا تقـبلنهـا فـدتك نفـسى   فـإنّ مـقلوبهـا هجـرتا [1]

كما قد يتفاءل بعضهم بالسانح، بينما يتشاءم به البعض الآخر! وهكذا.. وكل هذا يدل على أن الطير والطيرة لا حقيقة لها، بل هى عبارة عن حدوس وتخمينات خاضعة للمصادفات، فمن تبرك بشيء مدحه، ومن تشاءم به ذمه.

١١- تفاوت الجاهليين في علمهم بالزجر والعيافة :

وكما تفاوت الجاهليون في درجات إيمانهم بالطيرة أو إنكارهم لها، واختلفوا في الأشياء التي تثير طيرتهم، كذلك فإنهم لم يكونوا على درجة واحدة من العلم بالزجر والعيافة، ونحو ذلك، مما يستدل به على المستقبل، فمنهم من كان يزجر بنفسه لنفسه، ومنهم من كان يقصد الحازي أو العائف ليفسر له ما رآه من أحوال الطير والحيوان ونحو ذلك.

فمن الأول قول الشاعر وقد سمع صوت الغراب:

وصـاح غـراب فـوق أعـواد بانة   بأخبـار أحبـابى فـهـيّمنى الفكر

فـقلت غـراب باغـتـراب وبانة   ببين النوى تلك العيـافـة والزجـر

---

(١) منتخب الكلام فى تفسير الأحلام لابن سيرين ج١/ ٢٢٩ .

فهذا الشاعر قد زجر لنفسه وعاف، واستدل من الغراب على الغربة ومن شجر (البان) على البين وهو الفراق.

ومن الثانى قول الشاعر كُثيِّر عزّة :—

تيممتُ لهباً أبتغى العلم عندهم	وقد رُدّ علمُ العائفين إلى لِهب
فيممت شيخاً منهُمُ ذو أمانة	بصيراً بزجر الطير منحنى الصلب
فقلت له: ماذا ترى في سوانح	وصوت غراب يفحص الأرض بالترب
فقال: جرى الطير السنيح ببينها	ونادى غراب بالفراق وبالسلب
فإن لا تكن ماتت فقد حال دونها	سواك حليل باطن من بنى كعب

فالشاعر هنا لم يستطع أن يتكهن لنفسه وإنما قصد شيخاً من بنى (لِهب) قد اشتهر بالزجر والعيافة... وقد صادف أن صحت مقالة الشيخ (اللهبى) ! فأنشد كثيِّر عزّة يقول:

خبير بنو لهب، فلاتك ملغيا　　　مقالة لِهبى إذا الطير مرّت

قلت: والحمد لله ... أن الله سبحانه وتعالى قد مَنّ على الإنسانية جمعاء بالإسلام الذى ألغى مقالة (اللّهبى) وغيره، بل وألغى جميع الأباطيل والأوهام، ونهى عن التعلق بغير الله تعالى، ونفى الطير والطيرة من أساسها، بل ونهى عنها وحرّمها، وبيّن فسادها وخطرها.. وأرشدنا إلى عبادته وحده لا شريك له، واستخارته، وتفويض الأمر إليه في جميع الأمور... كما أرشدنا إلى الرضا والتسليم بقضاء الله وقدره الذي لا رادّ له إلا هو .. فالحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

قال في صبح الأعشى :

وقد وردت السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة بقوله ﷺ: « أقِرّوا الطير

على مَكِناتها »[1].

وقوله ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة »[2].

واستحسن ﷺ الفأل، فقال: «ويعجبنى الفأل وهى الكلمة الطيبة أسمعها »[3].

وقد فرق العلماء بين الفأل والطيرة، بأن الطيرة تقصد والفأل يأتي من غير قَصْد[4].

* * *

(١) سنن أبي داود ٩٤/٢ باب في العقيقة (رقم٣١٣٤) وهو فى صحيح الجامع الصغير ٣٨٠/١ رقم ١١٨٨ عن أم كُرْز رضي الله عنها، ومكناتها أي أوكارها وأماكنها.

(٢) جزء من حديث سيأتي مخرجاً بتمامه في الفصل الأول من الباب الثالث.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الطب باب فى الطيرة (رقم ٤٢٠٦)، وأخرج البخاري نحوه في صحيحه (١٨١/١٠) ومسلم (رقم ٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) صبح الأعشى ج١/ ٤٠٠٠.

الفصل الثاني
دواعي التطير في الجاهلية

مر بنا فيما سبق شيء من المعرفة بأصل الطيرة ونشأتها، وسنتعرض فيما يلي لبعض من دواعي التطير فى الجاهلية، وذلك كما يلى :

أولاً: السوانح والبوارح من الطير والحيوان وغيرهما:

وقد مر تعريف السوانح والبوارح في المقدمة، والعرب تضرب المثل بهما فتقول: « من لي بالسانح بعد البارح؟ »

وقال في مجمع الأمثال: وأصل المثل: أن رجلاً مرت به ظباء بارحة، والعرب تتشاءم بها فكره الرجل ذلك فقيل له: إنها ستمر بك سانحة، فعندها قال: « مَن لي بالسانح بعد البارح » [1].

وقال في المنجد : والمثل المذكور يضرب في توقع المحبوب بعد المكروه، كما يضرب أيضاً في اليأس من تحسن الأحوال.

ومعناه: أي من يتسبب لي بالمبارك الميمون بعد المشئوم ؟ [2].

والسوانح والبوارح عند العرب لم تكن محصورة في الطيور والحيوانات، بل كانت أيضاً تشمل باقي مظاهر الطبيعة، من ريح وسحاب، وغير ذلك، ولهم في ذلك قصص، ومصادفات عجيبة، تصيب أحياناً، ويذكرها العلماء في كتبهم. منها ما ذكره ابن القيم رحمه الله في كتابه مفتاح دار السعادة [3]، ويمكن أن يرجع إليها مَنْ شاء الاطلاع على ذلك.

* * *

---

(١) مجمع الأمثال: ج٢/ ١٧١.

(٢) المنجد ص ٣٥٤، وص ٩٥٤.

(٣) مفتاح دار السعادة: ج٢/ ٢٣٨.

ثانياً : الطيرة لدى رؤية أشياء أو سماع ألفاظ معينة :

قلنا إن الطيرة يعظم أمرها عند من يلقى لها بالاً حتى يصبح لكل ما يسمع من ألفاظ أو يرى من أشياء توحي لصاحبها بما يصوره له خياله المريض من إيحاءات، وما يلقيه الشيطان في رُوعه * من وساوس وإيماءات خصوصاً إذا رأى أو سمع تلك الأشياء لأول وهلة ساعة خروجه من بيته أو مكان وجوده، ولذلك فإن كثيراً من الشعراء كان يذكر في شعره أنه يبكّر جداً بالخروج من بيته ليسبق الطير وغيره من دواعي التطير. من ذلك على سبيل المثال :

الغراب :

وهو الطائر المعروف، وقد مر ذكره في الفصل الأول، والعرب تتشاءم به وبصوته، وبكل ما يصدر عنه أو يتعلق به، وكثير من الناس من يتطير بالغراب إلى الوقت الحاضر، فإذا مر فوق رؤوسهم وصاح .. قالوا على الفور: « خير يا طير »!

ويقال: إذا صاح الغراب مرتين فهو شر، وإذا صاح ثلاث مرات فهو خير، على قدر عدد الحروف !!!

وقد ضربوا الأمثال في شؤم الغراب، فقالوا: أشأم من غراب البين [1].

وقال الجاحظ ـ رحمه الله ـ: « وكل غراب غراب البين، إذا أرادوا به الشؤم، لا غراب البين نفسه الذى هو غراب صغير أبقع، وإنما قيل لكل غراب غراب البين لأنه يسقط في منازلهم إذا ساروا منها وبانوا عنها.

فلما كان هذا الغراب لا يوجد إلا عند بينونتهم عن منازلهم اشتقوا له هذا الاسم من البينونة » [2].

قال في حياة الحيوان:

---

(١) المستقصى رقم ٧٣٧، والمنجد ص ٩٥٥.

(٢) كتاب الحيوان للجاحظ: ج٢/ ٣١٤، ج ٣/ ٤٣١، ٤٣٩.

* الرُّوع: موضع الرَّوع، وهو القلب.

قال المقدسى في «كشف الأسرار في حكم الطيور والأزهار» في صفة غراب البين: هو غراب أسود ينوح نوح الحزين المصاب وينعق بين الخلان والأحباب، إذا رأى شملاً مجتمعاً أنذر بشتاته، وإن شاهد ربعاً عامراً بشّر بخرابه ودروس عَرَصَاته، يعرف النازل والساكن بخراب الدور والمساكن ويحذر الآكل غصة المآل، ويبشر الراحل بقرب المراحل، ينعق بصوت تحزين كما يصيح المعلن بالتأذين [1].

قال ابن القيم رحمه الله: «وذكروا أن تيم اللات مرّ يوماً بجمل أجرب وعليه ثلاثة غرابيب، فقال لبنيه:

ستقفون عليّ مقتولاً، فكان كما قال، وقتل عن قريب» [2].

وقال مجنون ليلى يؤنّب الغراب ويدعو عليه:

ألا يا غراب البين مالك كلما	تذكرت ليلى طرت لي عن شماليا
أعندك علم الغيب أم أنت مخبري	عن الحيّ إلا بالذي قد بدا ليا
فلا حملتْ رجلاك عُشاً لبيضة	ولا زال عظم من جناحيك واهيا
أحب من الأسماء ما وافق اسمها	أو أشبهه أو كان منه مدانيا [3]

وقال قيس بن ذريح:

ألا يا غرابَ البينِ ويحك نبِّني	بعلمك في لُبنى وأنت خبيرُ
فإن أنت لم تخبر بشيءٍ علمتَه	فلا طِرتَ إلا والجناحُ كسير
ودُرتَ بأعداء حبيبك فيهم	كما قد تراني بالحبيب أدور [4]

---

(١) حياة الحيوان: ج٢ / ١٧٩.

(٢) مفتاح دار السعادة : ج٢/ ٢٣٨.

(٣) كتاب مجنون ليلى ص ٣١٤ رقم ٣٢٥، والحماسة الصغرى ص ١٦٨.

(٤) كتاب مجنون ليلى ص ١٤١، والأغاني ٢/٨٩، ٩١، وبسط سامع المسامر ٨٤.

وقال عنترة العبسي يرثي مالك بن زهير العبسي وكان صديقاً له:

ألا يا غــراب البين في الطيــران أعــرنى جناحاً قــد عــدمت بناني
ترى هل علمت اليوم مقتل مالك ومــصــرعــه في ذلة وهوان [1]

وقال عنترة مخاطباً غراب البين :

ألا يا غراب البين لو كنـت صاحبي قطعـــنا بــلاد الله بالــدوران [2]

وقال عنترة يخاطب دار حبيبته ويبين أن وجود الغربان فيها دليل على خرابها وخلوها من أهلها وسكانها:

يــا دار أيـــن تَرَحَّلَ الــســكــان وغــدت بهم من بعــدنا الأظعــانُ
بالأمس كـــان بك الظبـــاءُ أوانا واليـــوم في عــرصــاتك الغِربانُ [3]

الصُّرَد:

قال في النهاية: « هو طائر ضخم الرأس والمنقار، له ريش عظيم، نصفه أبيض، ونصفه أسود ». قال: «والصرد تتشاءم به العرب وتتطير بصوته وشخصه، وقيل: إنما كرهوه من اسمه من التصريد وهو التقليل » [4].

وقد ذكر بعض العلماء رحمهم الله قصصاً عن تشاؤم الناس بالصرد يمكن الرجوع إليها فى كتبهم [*].

الأخيل :

وهو طائر أخضر فيه على أجنحته لمع تخالف لونه، وسمى بذلك لخيلان فيه،

(١، ٢، ٣) ديوان عنترة ص ٦٩، ٢٢٧، ٢٢٩. الأظعان أراد بها النياق. عرصاتك: الواحدة عَرَصَة، وهى ساحة الدار.

(٤) النهاية: ج ٣ / ٢١.

(*) حياة الحيوان الكبرى: ج٢/ ٦٣، صبح الأعشى: ج١/ ٣٩٩، ٤٠٠، مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣٩.

وقيل: الأخيل هو الشِّقِرّاق [1]، وهو بقدر حجم الحمامة. وخضرته حسنة مشبعة، وفي أجنحته سواد، وفي طبعه شره وسرقة فراخ وغيره. والعرب تتشاءم به وتقول في الأمثال: « أشأم من الأخيل » [2].

قال الشاعر حسان رضي الله عنه :

ذريني وعلمي بالأمور وشيمتى   فما طائري فيها عليك بأخيلا

الطاوس:

قال في مختار الصحاح: « هو طائر معروف تصغيره طُويس بعد حذف الزيادات» [3].

وزاد في حياة الحيوان: « وكنيته أبو الحسن، وأبو العرش، وهو في الطير كالفرس في الدواب عزاً وحسناً، وفى طبعه العفة وحبُّ الزهو بنفسه والخيلاء، والإعجاب بريشه، ثم قال: وأعجب الأمور أنه مع حسنه يُتشاءم به » [4].

العقعق :

طائر تتشاءم به العرب، وقد اختلفوا في سبب تسميته عقعقاً.

فقال الجاحظ: « لأنه يعق فراخه فيتركهم بلا طعام ». وبهذا يظهر أنه نوع من الغربان لأن جمعها كثعلب. وقيل: اشتق له هذا الاسم من صوته ويسمى كندشاً بالشين المعجمة وصوته العقيعقة، وهو طائر حجمه يماثل حجم الحمامة، وشكله على شكل الغراب، إلا أن جناحيه أكبر من جناحى الحمامة، طويل الذنب.

قال في النهاية: «هو طائر معروف ذو لونين أبيض طويل الذنب، يقال له القعقع أيضاً وهو نوع من الغربان » [5].

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ج٢/ ٥٦.

(٢) المستقصى رقم المثل ٧٢٣، ومجمع الأمثال ج١ ٢٥٩.

(٣) مختار الصحاح: ص ٤٠٣.

(٤) كتاب الحيوان للجاحظ ٢٨٨/١، ٢٤٣/٢، وحياة الحيوان ج٨٨/٢.

(٥) النهاية : ج ٣ / ٢٧٦.

قال في المنجد: «والعامة تسميه : القَعْق، وكانت العرب تتشاءم به» [1]. وقال في حياة الحيوان: «والعرب تتشاءم به وبصياحه، لأنهم كانوا يشتقون في الطيرة مما يسمعون ويشاهدون، فكانوا إذا سمعوا العقعق اشتقوا منه العقوق» [2].

القارية:

القارية كسارية والجمع قوارى، طائر مثل الحمام، قال في حياة الحيوان:

« العرب تتيمن بالقوارى وتتشاءم بها، فأما تيمنهم بها: فإنها تبشر بالمطر إذا جاءت والسماء خالية من السحاب.

قال النابغة الجعدي :

ولا زال يسقيها ويسقى بلادها ... من المزن زحاف يسوق القواريا

وأما تشاؤمهم بها: فإن أحدهم إذا لقي واحدة من غير غيم ولا مطر خاف ورجع»[3].

الجرادة :

وهى الحشرة المعروفة، وهى تعنى للمتطير الهزيمة والتجرد، ولذلك فهى ترجعه عن قصده، ومن ذلك قصة النابغة مع زياد بن سيار الفزارى حين تجهز إلى الغزو، فلما أراد الرحيل نظر النابغة إلى جرادة قد سقطت عليه فقال: جرادة تجرد، وذات ألوان، عزيز من خرج من هذا الوجه.

فرجع النابغة عن الغزو، ونفذ زياد لوجهه ولم يتطير. فسلم وغنم، ولما رجع سالماً غانماً أنشأ يقول:

تَخَبَّر طَيْرَهُ فيها زياد ... لِيُخْبِرَهُ وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد ... أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا ... على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء ... أحايينا وباطله كثير [4]

---

(1) المنجد ص ٥١٧.
(2) حياة الحيوان الكبرى : ١٤٨/٢، ١٤٩.
(3) حياة الحيوان ج ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩.
(4) العمدة ٢٠٢/٢، البيان والتبيين: ٣/ ١٨٤ ومفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣١.

وقد ضربوا بالجراد المثل فقالوا: أجرد من جراد، يقال: جرد الجراد الأرض: أكل ما عليها، ومن هذا اشتقاق اسمه، وقيل: « أحطم من جراد » [1].

البوم والبومة

« بضم الباء » طائر يقع على الذكر والأنثى [2]، ويسكن الخراب ويضرب به المثل في الشؤم [3].

وكنية الأنثى أم الخراب، وأم الصبيان. ويقال لها أيضاً: غراب الليل [4]. وكانت البومة إذا سقطت على دار أحدهم قال: نعت إليه نفسه أو بعض أهله.. لأنها فى العادة لا تسكن إلا فى الخراب.. وكانوا يتوجسون منها، ويشبهون صوتها في هدأة الليل بقرع النواقيس.

وقال المرقش الأكبر:

وتسمع تزقاءً من البوم حولنا ... كما ضُربت بَعدَ الهُدوء النواقِسُ [5]

ولقد أبطل الإسلام التشاؤم ونهى عنه ... إلا أن عادات الجاهلية قد عادت إلى الظهور مع غربة الإسلام بين الأناس، ولا يزال بعضهم يتشاءم من مرأى البومة أو سماع صوتها إلى يومنا هذا.

وكتب أحد الرجال على حائط قصر المأمون يتمنى زواله:

يا قصر جمع فيه الشؤم واللوم ... متى يعشش في أركانك البوم

يوم يعشش فيك البوم من فرحي ... أكون أول ما ينعيك مرغوم [6]

---

(١) المستقصى ١/ ٤٨ رقم المثل ١٧٦، و١/ ٦٨ ورقم المثل ٢٦٢.

(٢) مختار الصحاح ص ٧٠ مادة بوم.

(٣) المنجد ص ٥٥ مادة بوم.

(٤) حياة الحيوان الكبرى ج١ /١٦٠.

(٥) المفضليات.

(٦) حياة الحيوان الكبرى ج١/ ١٦٠.

الهامة :

قال عبيد بن الأبرص يستعطف حجراً لما طرد بني أسد إلى تهامة:

فـي كـل وادٍ بـين يـثـــ ــرب فـالقـصـور إلى اليـمـامـة
تطريب عـــان أو صـيـــا ح محـرق أو صـوت هامـة [١]

وهذان البيتان من قصيدة عبيد يوضحان أن العرب في الجاهلية كانوا يعتقدون في وجود (الصدى) و (الهام) ، فما الصدى؟ وما الهام ؟

يقول المسعودي: « إن من العرب من يزعم أن النفس طائر ينبسط في الجسم، فإذا مات الإنسان أو قتل لم يزل يطيف به مستوحشاً يصيح على قبره، ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يكون كضرب من البوم، وهو أبداً مستوحش ويسكن في الديار المعطلة ومصارع القتلى والقبور، وأنها لم تزل عند ولد الميت لتعلم ما يكون بعده فتخبره به » [٢].

وقال ذو الإصبع العدواني يهدد ابن عمه بالقتل :

يا عمرو إلا تدع شتمى ومنقصتى أضربك حتى تقول الهامة اسقوني [٣]

فهو لا يكتفى بتهديده بالقتل، بل ولن يمكن أحداً من الأخذ بالثأر منه بدليل صراخ هامته لطلب السقيا.

قال أبو داود الإيادى :

سُلِّط الموت والمنون عليهم فلهم فى صدى المقابر هام [٤]

وقال ابن الأثير في جامع الأصول :

---

(١) ديوان عبيد بن الأبرص: القصيدة ٢٩ .

(٢) مروج الذهب ٢٥١/١.

(٣) المفضليات ١٥٨/١، والأمالى ١٢٩/١، وفتح البارى ٢٤١/١٠.

(٤) مروج الذهب ١/ ٢٥١.

الهام : جمع هامة، وهو طائر كانت العرب تزعم أن عظام الميت تصير هامة فتطير، وكانوا يقولون: إن القتيل تخرج من هامته ـ أى رأسه ـ هامة، فلا تزال تقول: اسقونى اسقونى، حتى يقتل قاتله [1].

ولذا فقد كان الآباء يوصون أبناءهم أن يثأروا لهم إن هم قُتلوا حتى لا تنادى هامته بالسقيا، ويرون في ترك الأخذ بالثأر عاراً كبيراً يلحق بهم لأنهم ـ على زعمهم ـ يكونون قد فرّطوا في حق قريبهم المقتول.. لذا كان الأخذ بالثأر من شيمة أهل الجاهلية، ولا يهمهم أن تندثر القبيلة في سبيله حتى ترتاح روح القتيل وتهدأ.

وهذا شاعرهم يوصي ولده أن لا يترك الأخذ بثأره إن هو قُتل بل يبادر بقتل القاتل فوراً حتى لا يصيبه العطش وتصيح هامته طالبة للسقيا :

ولا تَزْقُوَن لي هامة فوق مرحب	فإن زقاء الهام للمرء عائب [*]
تنادى ألا اسقونى، وكل صدى به	وتلك التي تبيض منها الذوائب

قال في فتح الباري: وقد ذكر الزبير بن بكّار في « الموفقيات » أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قُتل الرجل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة، وهي دودة، فتدور حول قبره فتقول: اسقونى، اسقونى، فإن أُدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت.

وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب. ونقل عن القزاز والفراء قولهما في تفسير الهامة: بأنها طائر من طير الليل، كأنهما يعنيان البومة.

وعن ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم، يقول: نعت إليّ نفسي أو أحداً من أهل داري!

وعن أبي عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى.

---

(١) جامع الأصول ج٧ / ٦٣٧ والأمالى ١/ ١٢٩.

(*) تزقون : من زقا يزقو إذا صاح، وكل صائح زاق.

وعن أبي زيد قال: هى بالتشديد هامة، وخالفه الجميع فخففوها، وهو المحفوظ في الرواية التى نفت الهامة في حديث: « لا طير ولا هامة... ».

وكأنّ مَنْ شدّدها ذهب إلى واحدة الهوام، وهى ذوات السموم، وقيل دواب الأرض التي تهم بأذى الناس. ولكن ابن حجر رحمه الله زيّف هذا الرأى وقال: وهذا لا يصح نفيه إلا إن أُريد أنها لا تضر لذواتها وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته [1].

وعلى هذا ففى المراد بالهامة تأويلان :

الأول: أن العرب كانت تتشاءم بالهامة وهى هذا الطائر المعروف من طير الليل، وقيل: هى البومة، كانت إذا سقطت على دار أحدهم قال: نعت إليه نفسه أو بعض أهله.

الثاني : هو ما كانت تعتقده العرب من أن الهامة هى روح القتيل الذي لم يؤخذ بثأره فتزقوا عند قبره وتقول: اسقونى اسقونى من دم قاتلي، فإذا أُخذ بثأره طارت، وقيل: عظام الميت هي التي تصير هامة، ويسمونها الصدى.

وقد نهى الإسلام عنهما جميعاً، فعلى الأول: لا شؤم بالبومة ونحوها، وعلى الثاني: لا حياة لهامة الميت كما صورتها المعتقدات الجاهلية.

مبعث الإشاعة حول الهامة والصدى

وعلى هذا فالمرجّح عندي أن مبعث الإشاعة حول الهامة والصدى هو التهديد بالقتل، أو التحريض على الأخذ بالثأر، أو هجاء الخصوم والتنديد بضعفهم إذا عجزوا عن الأخذ بالثأر... يُضاف إلى ذلك أن اللصوص وقطّاع الطرق قد يكون لهم النصيب الأوفر في إطلاق تلك الإشاعات خاصة وأن الجزيرة العربية كانت مسرحاً لهم في الجاهلية، كما أن الأماكن المهجورة في عصرنا الحاضر، والتي تشاع حولها خرافات الأشباح وأرواح القتلى، غالباً ما تكون وكراً للصوص والمجرمين وقطّاع الطرق.

---

(١) فتح الباري شرح البخاري ج١٠/ ٢٤١.

فليس بالأمر المستبعد أن يكون اللصوص والمجرمون هم أصحاب هذه الأفكار وذلك ليضمنوا السلامة وعدم الوقوع في أيدى طالبيهم من الناس والحكومات، فلا شك في كذب هذه الادعاءات حول الميت وحول عظامه وروحه بالعقل وبنص الشرع، مما يؤكد أن ادعاءات الجاهليين في طيرتهم باطلة ولا أساس لها من الصحة.

التشاؤم بالنبات

ومما تشاءموا به من النبات ما يلي :

الياسمين :

وهو نوع من الأزهار، ذكي الرائحة، جميل المنظر، يُزرع للتزيين في منطقة المتوسط. فالياسمين إذا رآه المتطير أو سمع من ينطق باسمه تطيّر، وقال: يأس ومين. والمين هو الكذب.

السوسنة :

والسوسن جنس زهر مشهور، من فصيلة الوسنيات، كثير التنوع، ومنتشر في النصف الشمالي من الكرة الأرضية، غالبًا ما تكون أزهاره كبيرة، ولامعة اللون، وهى حسب الأنواع: بنفسجية، وبيضاء، وصفراء، ويزرع هذا الجنس في الحدائق، ومنه أيضًا أصناف برية عديدة. والمتطير يؤول السوسن أو سماع اسمه بقوله: « سوء يبقى سنة» قال الشاعر:

وسوسنة أعطيتنيها فما كانت بإعطائى لها محسنه
أولها سوء فإن جئت بالآخر منها فهو سوء سنه [1]

السفرجل:

وهو نوع من أنواع الفواكه اللذيذة إذا رآه المتطير أو سمع به قال « سفر وجلاء ».

---

(١) منتخب الكلام لابن سيرين على هامش تعطير الأنام ج١/ ٧.

الأترج :

نظروا إلى معناه فتشاءموا، واستدلوا به على النفاق لمخالفة ظاهره باطنه.

قال الشاعر :

أهدى له أحبابه أترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر
متعجباً لما أتته وطعمها لونان باطنها خلاف الظاهر (١)

النرجس والآس :

نوعان من الأزهار، وهم يتشاءمون من النرجس، ويتفاءلون بالآس.

قال الشاعر :

ليس للنرجس عهد إنما العهد للآس (٢)

الريحان :

نبات ذكي الرائحة، وهم يتفاءلون به، ولكن ربما نظروا إلى طعمه المر فتشاءموا به.

* * *

ثالثاً : التطير بأول ما يقع عليه البصر :

ومن ذلك أن أحد الأعراب كان خارجاً من بيته في حاجة، فوجد على باب بيته من الخارج تمراً وسعف نخل على هيئة حرف اللام، فأولها: « لا تَمُرّ » ورجع إلى بيته متطيراً!

قال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة :

«كما حُكي عن أبي معشر أنه وقف هو وصاحب له على واحد من هؤلاء ـ أي الذين يستدلون على الغيب بأول ما يقع عليه البصر ـ وكانا سائرين في خلاص محبوس فسألاه، فقال: أنتما في طلب خلاص مسجون، فعجبا من ذلك، فقال له أبو معشر :

(١، ٢) منتخب الكلام ج١/ ٨ .

هل يخلص أم لا؟ فقال: تذهبان تلتقيانه قد خلص، فوجدا الأمر كما قال.

فاستدعاه أبو معشر وأكرمه وتلطف به في السؤال عن كيفية علم ذلك فقال: نحن نأخذ الفأل بالعين والنظر، فينظر أحدنا إلى الأرض ثم يرفع رأسه، فأول شيء يقع نظره عليه يكون الحكم به، فلما سألتماني كان أول ما رأيت ماء في قربة. فقلت: هذا محبوس، ثم سألتماني في الثانية، نظرت، فإذا هو قد أفرغ من القربة. فقلت: يخلص» ا.هـ [1].

ولا يخفى أن هذه الأنواع من التخمينات تصيب تارة وتخطيء أخرى.

وقال رجل من بني أسد: تزوجت ابنة عم لي، فخرجت أريدها، فلقيني شيء كالكلب مدلياً لسانه في شق، فقلت: أخفت ورب الكعبة! فأتيت القوم فلم أصل إليها وناقرني أهلها، فخرجت عنهم فمكثت ثلاثة أيام، ثم بدا لي فيهم فخرجت نحوهم، فلقيت كلبة تنطف أطباؤها لبناً. فقلت: أدركت ورب الكعبة! فدخلت بأهلي، وحملت مني بغلام، ثم آخر، حتى ولدت أولاداً.

وذكر عن يحيى بن خالد قال: حج رجلان فقيل لهما: هاهنا امرأة تزجر. قال: فأتياها فسألاها، فقال أحدهما: ما نضمر؟ فقالت: إنك لتسألني عن رجل محبوس، فسألها الآخر، فقالت: إنك لتسألني عن رجل مقتول. فقال: هو والله الذي سأل عنه صاحبي. فقالت: هو كما قلت.

فسألها عن تفسير ذلك ؟!

فقالت: أما رأيتما الجارية التي مرت ومعها ديك مشدود الرجلين حين سألني الأول؟ قالا: بلى.

قالت: لذلك قلت: أنه محبوس مقيد.

قالت: ورأيت الجارية حين رجعت وسألتني أنت و الديك مذبوح، فقلت: مقتول.

وذكر المدائني أن أهل بيت من العجم كانوا إذا غاب الرجل عن أهله ولم يأتهم

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٢٨، ٢٢٩ .

أربع حجج زوّجوا امرأته، فتزوج منهم رجل جارية، وغاب أربع حجج لا يأتيهم، فأرادوا تزويج الجارية، وكانت مشغوفة به. فقالت: دعوني سنة أخرى!

فأبوا عليها، وأتوا زاجراً لهم، فخرج الزاجر ومعه تلميذ له، فتلقاهم قوم يحملون ميتاً، ويد الميت على صدره. فقال الزاجر لتلميذه: مات الرجل. قال: ما مات، ألا ترى يد الميت على صدره يخبر أنه هو الميت والرجل صحيح! فرجعا فأخبرا الحاكم أنه لم يمت. فأمر بتأجيلها سنة، فجاء زوجها بعد شهر [١].

* * *

الرابع: التطير بأصحاب الآفات والأمراض

وذلك أنه إذا خرج المتطير من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه.

ومن ذلك ما يُحكى عن بعض الولاة أنه خرج في بعض الأيام لبعض مهماته فاستقبله رجل أعور، فتطير به وأمر به إلى الحبس، فلما رجع من مهمته ولم يلق شراً أمر بإطلاقه، فقال له: سألتك بالله ما كان جُرمي الذي حبستني من أجله ؟! فقال له الوالي:

لم يكن لك عندنا جرم، ولكن تطيرت بك لما رأيتك.

فقال: فما أصبت في يومك برؤيتي ؟

فقال: لم ألق إلا خيراً.

فقال: أيها الأمير، أنا خرجت من منزلى فرأيتك فلقيت في يومى الشر والحبس، وأنت رأيتنى فلقيت في يومك الخير والسرور، فمن أشأمنا ؟! والطيرة بمن كانت ؟! فاستحيا منه الوالي ووصله.

والقصة أبلغ دليل على فساد الطيرة، وجهل المتطير، وظلمه لنفسه ولغيره [٢].

(١، ٢) مفتاح دار السعادة ٢/ ٢٣١، و٢٤١.

ابن الرومي والتطير :

ومما يروى عن ابن الرومي* أنه كان متشائماً متطيراً، معروفاً بضيق الصدر وسرعة التغير والانقلاب، وكان يرى كثيراً كالمتوجس المذعور، وكأنما في أعصابه شيء من الاختلال، وشهر بين معاصريه بالتطير الذي أفسد عليه حياته، ومما يروونه في ذلك أنه أغلق باب داره ثلاثة أيام لما تصادف من أنه كان يصير إلى الباب والمفتاح معه فيضع عينه على ثقب في خشب الباب فيرى جاراً له أحدب نازلاً بإزائه يقعد على الباب، فإذا نظر إليه رجع عن عزمه على الخروج، وخلع ثيابه، وأمر بعدم فتح الباب!

وقال في هجاء ذلك الجار :

فصرت أخادعه وغاب قذاله ... فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة ... وأحس ثانية لها فتجمعا

وقد روى أنه تطير من غلام يسمى إقبالاً، أُرسل إليه يدعوه إلى لقاء بعض الأمراء، فلم يكد يعزم على المضى معه حتى بدا له اسمه معكوساً هكذا: « لابقاء »! فقال له: امض إلى سيدك أنبأه بما في نفسه من التطير.

قال في حياة الحيوان:

وقال فيه أبو القاسم الزجاجي: « لم أر أشد تطيراً من ابن الرومى الشاعر، وكان قد تجاوز الحد في ذلك! فعاتبته يوماً على ذلك فقال:

يا أبا القاسم: الفأل لسان الزمان، والطيرة عنوان الحدثان.

فالطيرة قد تمكنت من ابن الرومي حتى عجز عن التغلب عليها، شأنه في ذلك شأن كل من فقد ثقته بالله تعالى ولم يحسن التوكل على الله.

ومن أشعار ابن الرومى التى تدل على شدة وسوسته وتطيره قوله :

(*) هو أحد شعراء العصر العباسي، وهو على بن العباس بن جُريج، ولد سنة ٢٢١هـ ببغداد، وكان أبوه مولى أسلم على يد مولاه عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور العباسى، وكان جده جُريج يونانياً نصرانياً، أما والدته فهى فارسية. ومات سنة ٢٨٢هـ.

يا راقـد الليل مسـروراً بأوله إن الحـوادث قـد تطرق أسـحاراً
لا تفـرحن بليل طاب أوله فـرب آخـر ليل أجج النار [1]

* * *

خامساً: التطير بالعُطَاس :

ومن الطريف أن يكون العطاس أيضاً مـدعـاة للتطيـر لدي بعض العـرب في جاهليتـهم، فكان الواحد منهم إذا هَمَّ بأمر خرج له منذ الصباح الباكر قبل أن يستيقظ أحد من الناس فيسمع عطاسه، وكلما كان العطاس شديداً كان تشاؤمهم أشد وأقوى !

قال ابن القيم :

وقد حُكي عن بعض الملوك أن سامراً له عطس عطسة شديدة راعته، فغضب الملك، فقال سميره: والله ما تعمدت ذلك، ولكن هذا عطاسي! فقال: والله لئن لم تأتني بمن يشهد لك بذلك لأقتلنك.

فقال: أخرجني إلى الناس لعلي أجد من يشهد لي! فأخرجه، وقد وكل به الأعوان، فوجد رجلاً، فقال: يا سيدي، أنشدتك بالله إن كنت سمعت عطاسي يوماً فلعلك تشهد لي به عند الملك !

فقال: نعم: أنا أشهد لك. فنهض معه، وقال: أيها الملك: أنا أشهد أن هذا الرجل عطس يوماً فطار ضرس من أضراسه !

فقال له الملك: عُدْ إلى حديثك ومجلسك [2].

وكانوا في الجاهلية يعتقدون أن العطاس داء، ويكره أحدهم أن يعطس، ويود لو أنه لم يصدر منه ذلك لما في ذلك من الشؤم، وكان العاطس يحبس نفسه عن العطاس، ويمتنع عن ذلك جهده من سوء اعتقاد جهالهم فيه.

---

(١) حياة الحيوان ٢/ ٢٥٣ .

(٢) مفتاح دار السعادة: ٢/ ٢٦٢.

وكانوا إذا عطس من يحبونه قالوا له: عمراً وشباباً، وإذا عطس من يبغضونه قالوا له: وريًا وقحاباً.

والورى كالريّ: داء يصيب الكبد فيفسدها.

والقحاب: كالسعال وزناً ومعنى.

فكان الرجل إذا سمع عطاساً يتشاءم به ويقول: بك لا بي.. إنى أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لا بي. وقال امرؤ القيس:

وقد أغتدى قبل العطاس بهيكل   شديد مشيد الجنب فعم المنطق [1]

أراد أنه كان يخرج للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم لئلا يسمع عطاساً فيتشاءم بعطاسه ويخيب في مسعاه.

وقال رُؤْبة بن العجّاج يصف فلاة:

قطعتها ولا أهاب العطاسا.

وقد أبطل الإسلام التشاؤم بالعطاس وبيّن أحكامه وآدابه. إلا أن بعض الجهلة من الناس لا يزالون يتشاءمون به إلى وقتنا الحاضر! ويعتقدون أنه دليل على قرب حدوث المرض، فيشيحون بوجوههم عن العاطس، وأحياناً إذا عطس من يحبونه قالوا له: « الستر »! أي يدعون له بالستر، بينما أرشدنا الإسلام إلى كيفية التصرف السليم في مثل هذه الأمور وغيرها وبين لنا حقيقة كل شيء ومنها العطاس.

* * *

سادساً: التطير بمواقع النجوم ومنازلها:

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله: « التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية » [2].

ونقل ابن القيم رحمه الله عن الفلاسفة قولهم: « إن الموجودات في العالم

---

(١) بلوغ الأرب: ٣٦٦/٢.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج١ / ٣٩٠.

السفلي مركبة في تأثير الكواكب والروحانيات، وفي اتصالها سعود ونحوس يوجب أن يكون في آثارها حسن وقبح في الأخلاق والأعمال يدركه كل ذى عقل سليم» [١].

والمنجمون ينسبون ما يصيب أهل الأرض من حوادث مختلفة إلى الكواكب والنجوم ومنازلها، ويتطيرون بمواقعها إن كانت على عكس ما يشتهون، ومثال ذلك ما ذكره القزويني فى عجائب المخلوقات :

فعُطارد: يسمونه منافقاً ـ على زعمهم! ـ لكونه مع السعد سعداً، ومع النحس نحساً.

والزُهْرة : يسمونها السعد الأصغر، لأنها في السعادة دون المشترى، وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو، فزعموا أن النظر إليها يوجب فرحاً وسروراً، وإذا كان بالناظر إليها حرارات السل تخف عنه.

والمريخ: يسمونه النحس الأصغر! لأنه دون زحل في النحوسة، وأضافوا إليه البطش والقتل والقهر والغلبة.

والمشترى: فقد سماه المنجمون السعد الأكبر، لأنه فوق الزهرة في السعادة، وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة والسعادات العظيمة.

وزحل: فقد سماه المنجمون النحس الأكبر، لأنه في النحوسة فوق المريخ، وأضافوا إليه الخراب والهلاك والهم والغم، وزعموا أن النظر إليه يفيد غماً وحزناً كما أن النظر إلى الزهرة يفيد فرحاً وسروراً.

والدبران: وهو كوكب أحمر يتلو الثريا ، وسمى دبراناً لاستدباره الثريا، والعرب تتشاءم به، ويزعمون أن نوءه غير محمود.

ونوء القلب « قلب العقرب » تتشاءم به العرب، ويكرهون السفر إذا كان القمر نازلاً في العقرب.

وسعد السعود: وهو ثلاثة كواكب، والعرب تتيمن به، ولهذا سمى بهذا الاسم.

---

(١) مفتاح دار السعادة ج٢ / ١٢٥.

وسعد الأخبية: وهو أربعة كواكب، والعرب تتشاءم منه وتقول: إذا طلع سعد الأخبية خلت الناس من الأبنية [1].

وهذا كله باطل محرم، عُلم فساده بالتجربة، وبالعقل، والشرع.

فاعتقادهم في مواقع النجوم ما هو إلا حدوس وتخمينات تصيب تارة وتخطيء تارات، وإنما غرهم في ذلك أنهم ينظرون في مواقع النجوم ويخمنون بما سيحصل لهم فيصادف « القضاء والقدر »، وذلك لحكمة من الحكم العظيمة التي يريدها الله تعالى، فينخدعون بأنفسهم وبالنجوم، وبنحو ذلك مما يتطيرون به ويسترسلون في أوهامهم الباطلة أعاذنا الله منها.

ذكر ابن خلّكان في وفيات الأعيان:

«إن جعفر* بن يحيى البرمكي لما بنى قصره، وتناهى بنيانه، وكمل حسنه، وعزم على الانتقال إليه: جمع المنجمين لاختيار وقت ينتقل فيه إليه، فاختاروا له وقتاً في الليل، فخرج في ذلك الوقت والطرق خالية، والناس هادئون، فرأى رجلاً قائماً يقول:

يُدَبِّر بالنجوم ولست يَدْري ... وربُّ النجم يفعل ما يريدُ

فتطير، ووقف، ودعا الرجل، وقال له: أعِدْ ما قلتَ. فأعاده، فقال: ما أردت بهذا ؟!

قال: ما أردتُ به معنًى من المعاني، ولكنه شيء عرض لي وجاء على لساني فأمر له بدينار ومضى لوجهه وقد تنغص سروره وتكدر عيشه! فلم يكن إلا قليلاً حتى أوقع بهم الرشيد» [2].

---

(1) عجائب المخلوقات للقزويني ج1/ 25 - 90 بتصرف.

(*) هو أبو الفضل جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك بن جاماس بن يشتاسف البرمكي وزير هارون الرشيد (وفيات الأعيان 1/328 - 346).

(2) وفيات الأعيان: 1/ 339، 340.

التنبؤ بالمستقبل ووسائل الإعلام الحديثة :

والتنجيم واستطلاع الغيب والتنبؤ بالمستقبل أصبح في هذه الأيام بضاعة رائجة جداً، ومنها على سبيل المثال: قراءة الفنجان .. فالنساء اللواتي يشغلن أوقات فراغهن بتبادل الزيارات فيما بينهن غالباً ما ينهين تلك الزيارات بشرب القهوة التركية.. ثم تقلب كل واحدة منهن فنجانها وتنتظر حتى يجف قليلا.. ثم تقدم كل واحدة فنجانها إلى واحدة من الجالسات تدعى أنها تعرف (البخت) والمسطور في الغيب من قراءة الخطوط في فنجان القهوة.. فإذا صادف كلام قارئة الفنجان الحقيقة أو شيئاً منها اشتهرت تلك القارئة بين الناس.. وربما وضعت تسعيرة لقراءة كل فنجان .. وهكذا تكون قد أضافت إلى حرمة ادعاء علم الغيب حرمة أخرى هى أكل أموال الناس بالباطل وتضليلهم وتضييع أوقاتهم.

ولا أظن أن أحداً يجهل الأغنية التي هى من آخر أغنيات ـ الموصوف بالمطرب ! ـ عبد الحليم حافظ .. والتى هى بعنوان : « قارئة الفنجان » ! والتي اختارها من ديوان شعر للشاعر نزار قبانى، والأغنية تصف قارئة الفنجان وما تدعيه من معرفة المخبوء والمسطور في علم الغيب.. والأغنية وإن كانت من وحي الشعراء وأوهامهم إلا أنها تعتبر دعاية لقراءة الفنجان ساهم في نشرها كلّ من القلم والإذاعة والتلفزيون والفرق الموسيقية.. كما أعطت هذه الأغنية وحدها صورة لما يسود مجتمعنا الحاضر من جاهلية وضياع.

والأغنية كسائر غيرها من الأغنيات مسجلة على شريط يباع في الأسواق.. ويستغرق سماعها ساعة كاملة .. لأنها مسجلة من الحفل الذى يقام خصيصاً لتضييع وقت شباب الأمة ورجالاتها .. باسم الفن .. والطرب .. والكلمة .. ونحو ذلك من الدعايات التي يقصد بها التمويه على العامة .. وصرفهم عما فرض عليهم من واجبات دينية ودنيوية.

وهذه بعض أغنية قارئة الفنجان :

جلستْ والخوف بعينيها تتأمل فنجاني المقلوب
قالت يا ولدى لا تحزن الحب عليك هو المكتوب

ثم قال:

بصّرت ونجّمتُ كثيراً لكني لم أقرأ فنجاناً يشبه فنجانك
بصّرت ونجّمتُ كثيراً لكني لم أعرف أبداً أحزاناً تشبه أحزانك
مقدورك أن تمضيَ أبداً فى بحر الحب بغير دموع
وتكون حياتك طول العمر كتاب دموع

..... ثم تقول القارئة ...

ستفتش عنها يا ولدى في كل مكان وستسأل عنها موج البحر وتسأل فيروز الشطآن
وسترجع يوماً يا ولدي مهزوماً مكسور الوجدان وستعرف بعد رحيل العمر بأنك كنت تطارد خيط دخان

قراءة البخت في الأماكن العامة :

كثيراً ما يصادف المرء في الأماكن العامة والاستراحات التي يرتادها السياح نساء يدعين قراءة البخت ومعرفة الحظ لقاء مبلغ صغير من المال.

وكثيراً ما يستجيب الناس لهؤلاء الكاذبات، وهدفهن كثيراً ما يكون التسلية والضحك.. غير مدركين لخطورة العمل الذى يعملونه.

وقراءة البخت قد يقوم بها (المدعي لعلم الغيب) بطرق مختلفة، فهناك من يخبرك عن مستقبلك بواسطة ورق اللعب (الكوتشينة) ، أو بواسطة قراءة الكف، أو بواسطة الخط في الأرض، أو بواسطة الأحرف الأبجدية، أو بقراءة الأبراج والنجوم، أو استحضار الجن والشياطين، أو غير ذلك، وكل هذه الطرق ثبت بطلانها.

وتحريمها ثابت بنص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى عند الكلام على حكم الطيرة.

معرفة الحظ من الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية :

علمنا أن معرفة الحظ له في وقتنا الحاضر مصادر مختلفة، إلا أن أسوأ تلك المصادر وأخطرها هى الصحف والجرائد اليومية، ويأتي خطر ذلك من كون هذه الصحف والجرائد في متناول الجميع .. فلا تكاد تفتح صحيفة أو جريدة حتى يطالعك حظك في الأبراج.. وكثيراً ما يبحث الناس في تلك الصحف عن أبراجهم لمعرفة حظهم بدافع التسلية فيقعون في المحظور.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن تلك الصحف والجرائد قد أضاعت مساحات في صفحاتها لكتابة الحظ كان يمكن استغلالها لتوجيه الناشئة لما يفيدهم في الدنيا والآخرة.

أمثلة من مجلة « ألوان » الأسبوعية :

وهى مجلة أسبوعية تصدر من بيروت ـ لبنان ونرى ما بداخلها من سموم .. فبالإضافة إلى أنها مليئة بأخبار الممثلين وصورهم المغرية... وأخبار غرامياتهم، وفضائحهم فطالع الأبواب الآتية : من وجوههم ... أوروسكوب ... فراسة

أما موضوع « من وجوههم » :

فهو يحتل ثلاث صفحات في المجلة .. ويرد على تساؤلات القراء بما يختص حظهم وما يتمتعون به من مزايا من خلال صور وجوههم.. فالقارئ يرسل صورته ويتفرس فيها أحد موظفى المجلة ـ المدعو محمد حجازى ـ ثم ينشر الصورة فى المجلة مع التعليق عليها !

مثلاً أحد هذه الوجوه المنشورة في المجلة كان رسماً لامرأة اسمها « كوكب قاسم » وقد اخترتها لتكون (مثلاً) لأنها تضع الحجاب الشرعى على رأسها مما يضاعف خطورة الموقف.

وقد جاء في التعليق على صورتها كما يلى :

ـ مزاجية، ونادرون هم من يفهمونك فى محيطك، وأنت شديدة الحرص على

ما تملكينه، وإذا حدث وأُسيء إليك فأنت ثائرة مدمرة.

– العينان فيهما معنى الحسم وعدم الخوف من أي مواجهة، وهما تدلان على شعور دائم بأنك الأفضل، وعلى ذهن مخطط يجيد رسم مجسمات كثيرة لكل المشاريع.

– الأنف: يدل على أن حقيقتك لا يعرفها حتى من يتعامل معك لأنها تتطلب غوصاً عميقاً إلى ذاتك المتلونة بألف صفة ولون وهذا مرده إلى كثير من مواهبك.

– الفم :

يوحى بأنك ترفضين الإفصاح عن مشاعرك مهما كانت متقدة أمام الآخرين إيماناً منك بأن ما فيك من لواعج هى ملكك وحدك وحسب.

– الذقن والخدان: فيهما إشارة إلى ارتباطك الوثيق ببيئتك، والمغامرة إحدى صفاتك البارزة، فأنت راغبة في تجربة كل شيء لأنه ما تملكينه من مقدرات يهيئك لهذا العمل.

ولا ينسى المشرف على هذه الصفحة أن يستجدى القراء فيكتب فى أعلى الصفحة بجانب العنوان ما يلى :

« لمعرفة ما يوحى به وجهك عزيزي القارئ من معان وصفات وخصائص أرسل لنا صورة واضحة لوجهك مع ذكر اسمك كاملاً واسم الوالدة الأول وتحديد البرج الذي تنتمى إليه.

ولتكن مطمئناً إلى أن رسمك يلقى كل رعاية واهتمام وسينشر عندما يحين دوره وفقاً لتاريخ وروده إلينا. ولا حاجة بك لأن تعتب أو تلوم إذا وصل وتأخر نشره بعض الوقت بسبب تكدس الرسائل عندنا !!

ثم كتب العنوان.

كما أن كل موضوع مزود بقسيمة ليملأها كل من يريد معرفة ما يوحي به وجهه ويرسلها على عنوان المجلة، وتهمل كل رسالة لا تحمل تلك القسيمة..

والهدف واضح طبعاً! ألا وهو ضمان بيع المجلة وتصريفها ورواجها بهذه الطريقة الخبيثة.

أما موضوع « أوروسكوب »:

فهو عبارة عن صفحة كاملة تحتوى على اثنى عشر برجاً هى: برج الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والعذراء، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدى، والدلو، والحوت.

وتحت كل برج يكتب حظ المواليد التابعين لذلك البرج، والذي يحدد هذه التابعية هو تاريخ ميلادهم، فمثلاً جميع المواليد من (٢١ آذار_ ٢٠ نيسان) هم أصحاب (برج الحمل)، وحظهم واحد في جميع بقاع العالم كما يدّعى كتاب أولئك الأبراج _ مما يستحيل ذلك في العقل والشرع.

وهذه الأبراج تحظى بالاهتمام في كثير من الصحف والمجلات إذ أنها لا تقتصر على مجلة ألوان بل إنك لا تكاد تفتح جريدة يومية أو مجلة أسبوعية إلا وتجد فيها زاوية للبخت وللأبراج، وهذا يستدعى تداركه من المسئولين والقائمين على أمور الأمة ومقدراتها، كبيرهم وصغيرهم، وليكن تثقيف الأمة وتهذيبها وحسن توجيهها لما هو أقوم هو المقصود الأول لكل مسئول في الهيئة الإعلامية العربية والإسلامية، اللهم هل بلغت ؟ اللهمّ فاشهد!.

وأما موضوع « فراسة »:

أحد الأبواب الثابتة في هذه المجلة؛ ويخصص لهذا الباب أربع صفحات كاملة في كل أسبوع، وهذه الصفحات مليئة بالصور وبالكلام (الفارغ).

وكاتب المقال/ محمد حجازي .. يختار لكل عدد أسبوعى من أعداد مجلة ألوان وجهاً معروفاً لممثلة من الممثلات المشهورات.. ثم يتفرس في وجه تلك الممثلة، وفي كفيها، ويعرف طالعها من برجها.. فبالنسبة للوجه .. يتفرس في كل معالمه! من أنف، وفم، وذقن، وخدين، وعنق، وأذن، وعينين.. إلى آخر ما هنالك..

ويستدل بواسطة كل عضو من أعضاء الوجه على صفة أو ميزة تتميز بها تلك الممثلة.. التى غالباً ما تظهر إعجابها وتصدق لكل ما يقول ذلك الرجل.

وإذا انتهى من الوجه تناول (الكف) وتفرس في خطوطها.. فخط يدلّه على العاطفة، وخط للقلب، وآخر للعمر .. إلخ، وهكذا، مما يتنافى مع الشرع والعقل في أكثر من ناحية.

ثم لا ينسى الكاتب أن يزين موضوعه بمجموعة من الصور لتلك الممثلة في أوضاع مختلفة مغرية.. مع بطاقة مرفقة بالمقال سماها البطاقة الفلكية.. يكتب في تلك البطاقة اسم الممثلة بالكامل، واسم أمها واسم أبيها واسم برجها، ويذكر في تلك البطاقة يوم سعدها، ورقمها الفلكى، وشهرها المفضل، وعلاماتها الفارقة المستوحاة من برجها، والأشخاص الذين يمكن أن تنسجم معهم منسوبين إلى الأبراج المختلفة.

فلنفكر قليلاً .. ولنسأل أنفسنا عن تأثير هذا المقال وأمثاله على مجتمعنا الإسلامى..؟

لاشك أن الغالبية العظمى من الشباب والشابات في الوقت الحاضر يتأثرون إلى درجة كبيرة بالممثلين والممثلات، ويقلدونهم بدون وعي أو إدراك منهم، وذلك لعدة أمور هامة.. يطول الكلام لو تعرضنا لها، وبالإضافة: فإن وسائل الإعلام المختلفة تحيط الممثل بهالة عظيمة من الدعاية والأكاذيب التى تجعله محطاً للأنظار وشاغلاً للقلوب ومدعاة للتقليد، ومن هنا فقد أصبح خطر الممثل عظيماً جداً.. إذ يكفى أن يفعل الممثل شيئاً حتى يبادر الشباب إلى تقليده ومحاكاته تماماً كما تفعل القردة... والعياذ بالله. وهذا واقع في جميع بلاد العالم، إسلامية أو غير إسلامية.

ولقد استغل أصحاب القلوب المريضة هذه الظاهرة الحقيرة الخطيرة لتنفيذ أغراضهم الخبيثة، حيث استغلوا حب الناس للممثلين .. والممثلات... فأصدروا المجلات المختلفة، وملأوها بأخبار هؤلاء وصورهم الخليعة.. ولقّبوهم بالنجوم ..

والكواكب... والفنانين، وأحاطوهم بالاحترام والتبجيل والتكريم المادى والمعنوى ... ثم استخدموهم لتخريب المجتمع وتقويض أركانه بكل سبيل مباشر أو غير مباشر.. وهذا الأمر مع الأسف لا تكاد تخلو منه مجلة أو جريدة عربية أو أجنبية.

مجلة الحوادث اللبنانية والتنجيم والرد عليها

في عددها رقم (١٢١٥) موضوعاً مثيراً يحتل صفحة كاملة بعنوان (بمليون دولار فقط تردون الأذى عنكم !)

والعنوان لا شك غريب ومثير .. وهو في نفس الوقت متوج بثلاث صور مختلفة للإنسان (الشهم) الذى تكفل بدفع الأذى عن كل من يدفع له مبلغاً زهيداً من المال.. ألا وهو مليون دولار فقط .. أي ما يعادل أربع ملايين ريال سعودي.

وهذا الشخص الذي يدّعى أنه يرد الأذى عن الناس هو (منجم) وحائز على شهادة الدكتوراه ..!

وقد أجرت معه مجلة الحوادث مقابلة صحفية نشرتها في العدد (١٢١٥) جاء فيها ما يلي :

تعريف بالمنجم، وزبائنه، ودخله من التنجيم ـ أو (التبصير) كما جاء في المجلة ـ، وكيفية مقدرته في دفع الأذى عن الناس، ومدى تعلق الزبائن به، وطريقته في التنجيم، إلى غير ذلك من الاستفسارات التي نلخصها فيما يلي :

١ – إن زبائنه من كبار الشخصيات والحكام العرب!!! يأتون إليه طالبين استقراء طوالعهم من النجوم واستكشاف حاضرهم، ويطلبون منه العون والحماية.

٢ – إن هؤلاء الشخصيات الكبيرة يغدقون عليه الأموال بلا حساب، ومن ذلك أن أحد زبائنه وهبه مرة مليون دولار لقاء حجر سحري يضعه الآن كفص خاتم يزين إصبعه، وأن هذا الحجر يمنع عن حامله الضرر ـ كما زعم ـ حتى لو أطلق عليه النار.

٣ – إن هذا الرجل (المنجم) لديه المقدرة على حل جميع مشاكل العالم، وفي جميع المجالات! المحلية، أو الدولية، أو الاقتصادية، أو الاجتماعية.. إلخ، ومع ذلك

فهو عاجز ـ كما اعترف ـ أن ينفع نفسه بنفسه.

٤ ـ اعترافه بأنه ساحر، ودفاعه عن السحر، وأنه حقيقة ثابتة، وأنه جائز شرعاً، واستدل على ذلك بأن موسى عليه السلام عندما ولد أعلم السحرة والمنجمون فرعون بذلك وزعم أن الله سبحانه وتعالى قال في سورة البقرة: « إن هاروت وماروت يعلمان الناس السحر في بابل » [1]،كما استدل على ثبوت السحر من الناحية العلمية بتأثير القمر على البحر في المد والجزر.

٥ ـ ذكره لأعظم السحرة الذين يعرفهم في العالم، والذين استطاعوا أن يستخدموا عقولهم بنسبة خمسين في المائة، ومن هؤلاء (فرعون)! ثم إثبات تفوقه على (فرعون) بدليل أنه يستخدم عقله بنسبة ستين في المائة بزيادة عشرة في المائة على فرعون .. بينما سائر البشر لا يستخدمون عقولهم إلا بنسبة ثلاثين في المائة. وإنه لو وجد خمسة أشخاص على هذه الأرض يستطيعون استعمال ٦٠٪ من عقولهم لتغير وجه التاريخ.

٦ ـ اعترافه أن (فرعون) ـ وهو ساحر عظيم!! قد علم بمولد موسى عليه السلام عن طريق السحرة، وهذا يدل على صدق التنجيم ـ في رأيه ـ ووجوده.

والجواب على هذه الحقائق التي أتت في تقرير المنجم هو ـ بتوفيق الله ـ ما يلي:

١ ـ أما ما جاء في كلامه من أن زبائنه من كبار الشخصيات والحكام العرب ... فنحن لا نصدق ذلك، ولكن إن صح كلامه فهذا يدل على أسباب التردى والانحطاط التى يعاني منها العالم العربى.. حيث صار طعمة لأعداء الله .. ولا شك أن « من تعلق شيئاً وُكِلَ إليه » ـ الحديث؛ فمن تعلق بالله نصره الله تعالى وأخذ بيده وقهر أعداءه.. وأما من تعلق بغير الله تعالى تركه الله وخذله ولا يبالي.. فالله سبحانه وتعالى غني ونحن الفقراء إليه .. والله يمهل ولا يهمل ﴿ **فليحذر الذين**

---

(١) هكذا وردت (هذه الآية وبنفس النص وبالحرف الواحد) وهي كما ترى محرفة وسيأتى تصحيحها إن شاء الله تعالى عند الرد على هذا الدجال.

يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنةٌ أو يصيبهم عذابٌ أليم ﴾ [النور: ٦٣].

٢- وأما أن هذا الرجل لديه المقدرة - كما يدّعي - على حل جميع مشاكل العالم!
فلماذا لا يتفضل ويحلها؟ وما المانع من ذلك؟
ومع ذلك فهو لا يستطيع أن ينفع نفسه؟
يا سبحان الله! لقد صدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول:
﴿ ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ [طه: ٦٩].

٣- وأما اعترافه بأنه ساحر: فهذا يحلل قتله، وقتل أمثاله [١]، وأحرى به أن يتوب ويرجع إلى الله سبحانه وتعالى قبل فوات الأوان؛ لأن الله سبحانه وتعالى قال متوعداً السحرة: ﴿ ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كان يعلمون ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد روى البخارى ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التى حرّم الله قتلها إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» [٢].

وروى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» [٣].

---

(١) قال في «منهاج المسلم» لأبي بكر الجزائرى ص ٤٦٠: حكم الساحر أنه ينظر في عمله: فإن كان ما يأتيه من الأعمال أو ما يقوله من الأقوال يكفر به فإنه يُقتل، وإن كان ما يفعله أو يقوله ليس فيه ما يكفر به فـإنه يُعَزّر ويُستتاب، فإن تاب وإلا قُتل؛ لأنه لا يخلو من فعل أو قول مما يكفر به، لعموم قوله تعالى: ﴿ وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، وأخرجه مسلم - بشرح النووى - ٨٢/٢، ٨٣ باب الكبائر وأكبرها، وأخرجه أبو داود في سننه ١٠٥٤/٣ كتاب الوصايا باب ما جاء من التشديد في أكل مال اليتيم (١٠) رقم الحديث ٢٨٧٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ج ٤ رقم الحديث ٣٩٠٥، و ورد في كتاب الطب ١٤٨١ باب في النجوم =

وروى النسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِلَ إليه » [1].

والأحاديث في التخويف من السحر والتحذير منه كثيرة، وكذلك الآيات القرآنية عديدة.. ولكن نكتفى بهذا القدر لأنه يحقق المراد بإذن الله تعالى.

وأما دفاعه عن السحر وأنه حقيقة ثابتة.. فنقول ــ وبالله التوفيق ــ :كون السحر حقيقة ثابتة فهذا لا ينكره أحد من أهل السنة والجماعة، لأن القرآن الكريم ذكر السحر، وذكر أنه حقيقة، وأمر بالتعوذ منه؛ كما جاء في سورة الفلق ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾، والنفاثات: هن السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن وينفثن في عقدهن، ولولا أنّ للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه، ولو أنكر المسلمون ذلك لكانوا كافرين ببعض القرآن ــ والعياذ بالله ــ، والكافر بالبعض كافر بالكل بنص القرآن الكريم؛ حيث أنكر على اليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون بالبعض الآخر في قوله تعالى:

﴿ **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** ﴾ [البقرة: ٨٥].

ولقد روى البخاري رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ سُحر حتى إنه ليُخيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وأنه قال لها ذات يوم: « أتاني ملكان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: مَنْ طبَّهُ؟ قال: لَبِيد بن الأعصم في مشط ومشاطة في جُفِّ طلعة ذكر في بئر ذي أروان » [2].

= (٢٢)، وأخرجه ابن ماجه ج٢/ ١٢٢٨، ٣٣ كتاب الأدب، باب تعلم النجوم، رقم الحديث ٣٧٢٦، وأخرجه أحمد بن حنبل ج١ / ٣١١

(١) أخرجه النسائي ١١٢/٧ في كتاب تحريم الدم باب الحكم في السحرة.

(٢) متفق عليه

ومن هذا يتضح أن المسلمين السنّيين يعترفون بوجود السحر، وأنّ منه ما هو تخييل، ومنه ما له حقيقة.

ولكن هل يجوز تعاطى السحر من الناحية الشرعية ؟

كافّة الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة تدل على تحريم السحر.

وأما (دليله) الذى ذكره بأن هاروت وماروت يعلمان الناس السحر فهذا الدليل حجة عليه وليس حجة له، فإنّ مجرد ذكر الشيء في القرآن الكريم لا يدل على جوازه، وهذا معلوم بالبداهة ولا يحتاج إلى تدليل.

وأما آية (هاروت وماروت) فالأحرى بالدكتور الأزرى أن يتأكد من صحة ما ينقل عن القرآن الكريم قبل أن يستشهد بالآيات الكريمة لأنه حرّف في القرآن الكريم عندما استشهد بآية (هاروت وماروت) وصحة الآية الكريمة كما يلي:

قال الله تعالى: **﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين على مُلْك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يُعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يُفرّقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارّين به من أحدٍ إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة مِن خَلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ﴾** [البقرة: ١٠٢]. فالآية الكريمة لا تدل على جواز تعاطى السحر، بل تذمه وتذم المشتغلين به، ولقد فصّل علماء المسلمين القول في السحر وفي حكمه مستدلين بالأدلة الشرعية.

وحيث إنه ليس هنا موضع تفصيل الكلام على السحر وأنواعه وما يتعلق به فإني أكتفي بتفسير الآية الكريمة ـ آنفة الذكر ـ بما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره، فأقول ـ وبالله التوفيق ـ :

﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ عملوا بما كتبت الشياطين **﴿ على ملك**

سليمان ﴾ في ذهاب ملك سليمان أربعين يوماً من السحر والنيرنجات [1]**﴿ وما كفر سليمان ﴾** ما كتب سليمان السحر والنيرنجات **﴿ ولكن الشياطين كفروا ﴾** كتبوا **﴿ يعلمون الناس ﴾** يعنى الشياطين ويقال: اليهود **﴿ السحر وما أنزل على الملكين ﴾** ولم ينزل على الملكين السحر والنيرنجات. ويقال: يعلمون ما ألهم الملكان أيضاً **﴿ ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد ﴾** وما يصفان يعنى الملكين لأحد **﴿ حتى يقولا ﴾** أولاً **﴿ إنما نحن فتنة ﴾** ابتلينا بهذه الدعوة ندعوا بها لكن لا نشد العذاب على أنفسنا [2] **﴿ فلا تكفر ﴾** فلا تتعلم ولا تعمل به **﴿ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه ﴾** ما يأخذ به الرجل على المرأة **﴿ وما هم بضارين به ﴾** بالسحر والفُرقة **﴿ من أحد ﴾** لأحد **﴿ إلا بإذن الله ﴾** إلا بإرادة الله وعلمه **﴿ ويتعلمون ﴾** يعني الشياطين واليهود والسحرة بعضهم من بعض **﴿ ما يضرهم ﴾** في الآخرة **﴿ ولا ينفعهم ﴾** في الدنيا والآخرة **﴿ ولقد علموا ﴾** يعني الملكين ويقال اليهود في كتابهم ويقال الشياطين **﴿ لَمن اشتراه ﴾** لَمن اختار السحر والنيرنجات **﴿ ما له في الآخرة ﴾** في الجنة **﴿ من خلاق ﴾** نصيب **﴿ ولبئس ما شروا به أنفسهم ﴾** ما اختاروا به السحر أنفسهم يعنى اليهود **﴿ لو كانوا يعلمون ﴾** ولكن لا يعلمون. ويقال: وقد كانوا يعلمون في كتابهم [3].

ولقد فسّر ابن كثير رحمه الله تعالى هذه الآية في خمس عشرة صفحة، ونقل أقوال العلماء فيها، وتكلم عن أنواع السحر، وحقيقته، والحكم على الساحر، و حَدّه الشرعي.

ونكتفي منه بما يلي:

---

(١) النيرنجات: أخذٌ كالسحر وليس به.

(٢) أجمع المسلمون على أن الملائكة معصومون بنص قوله تعالى: ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ الآية، ومنهم هاروت وماروت.

(٣) من كتاب تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ص ١٥.

قال ابن كثير: وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله تعالى في كتابه (الإشراف على مذاهب الأشراف) باباً في السحر فقال:

أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة فإنه قال لا حقيقة له عنده، واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك. ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلّمه ليتقيه أو ليجتنبه فلا يكفر، ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه يكفر، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعي رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صِفْ لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر.

قال ابن هبيرة: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟

فقال مالك وأحمد: نعم.

وقال الشافعي وأبو حنيفة: لا.

فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد، وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين، وإذا قتل فإنه يقتل حداً عندهم إلا الشافعي فإنه قال: يقتل والحالة هذه قصاصاً.

قال: وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟

فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنهم: لا تُقبل.

وقال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى: تقبل.

وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة أنه يقتل كما يقتل الساحر المسلم. وقال مالك وأحمد والشافعي: لا يُقتل - يعنى لقصة لَبيد بن الأعصم. واختلفوا في المسلمة الساحرة: فعند أبى حنيفة أنها لا تقتل ولكن تحبس. وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل. والله أعلم.

وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزى قال: قرأ على أبي عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ عمر بن هارون أخبرنا يونس عن الزهرى قال: يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها.

وقد نقل القرطبي عن مالك رحمه الله أنه قال في الذمي: يُقتل إن قتل سحره.

وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر.

إحداهما: أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل. والثانية: أنه يقتل وإن أسلم.

وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفراً كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى: ﴿ وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾.

لكن قال مالك: إذا ظهر عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائباً قبلناه، فإن قتل سحره قتل.

قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطئ تجب عليه الدية [1].

وهكذا فالسحر منهيٌ عنه ولا يجوز تعاطيه، وهو كغيره من الأشياء التى أوجدها الله سبحانه وتعالى لابتلاء الناس وامتحانهم، وأما ثبوته من الناحية العلمية فهذا تأييد للقرآن الكريم وأن دين الإسلام دين العلم والحق والعدل.. وأنه لا توجد حقيقة علمية إلا ويصدقها القرآن الكريم .. وكون القرآن الكريم صدق ما أثبته العلم، كما أن كون العلم يصدق ما جاء به القرآن الكريم.. فهذا يدعونا إلى المبادرة بالإيمان بالله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له .. واتباع شرعه الذى أرسل به رسله، والمبادرة إلى التوبة والإقلاع عن ذنوبنا قبل فوات الأوان، فعسى الله أن يرحمنا ويغفر لنا إنه هو الغفور الرحيم.

٤ – وأما استشهاده (بفرعون) خاصة وبغيره من السحرة عامة فهذا يدل على مبلغ ضلال الرجل .. نسأل الله لنا وله الهداية .. وإني أسأله بدوري: أين فرعون..؟!

---

(١) تفسير ابن كثير ج١/ ١٤٨، ١٤٩.

ألم يكن طاغية عصره .. ألم يدّعي الربوبية والألوهية..! وكيف كانت نهايته؟؟! فإن قلنا أنه كان ساحراً، وأن الساحر ـ كما جاء على لسان الدكتور المنجم ـ لا يستطيع أن ينفع نفسه.. فأين سحر تلاميذه وهم كثيرون؟!

لقد ذكر الله سبحانه وتعالى فرعون في القرآن الكريم أربعاً وسبعين مرة وذكر قصته مع موسى عليه السلام وذكر تجبره وتكبره واستعلاءه في الأرض بغير الحق.. وذكر هزيمته على يد موسى عليه السلام بتأييد وبنصر من الله .. ثم ذكر سبحانه وتعالى تخلّي السحرة عنه بعد أن استبان لهم الحق وأراد الله سبحانه وتعالى لهم الهداية.. فآمنوا بالله العزيز الحكيم.. طامعين في مغفرته ورضوانه، متبرئين من فرعون وسحره، ثم ذكر الله سبحانه وتعالى كيف أهلك فرعون وقومه بالغرق بعد أن عطّل ناموساً كونياً وسُنّةً طبيعية، فشق البحر لموسى عليه السلام ولمن آمنوا معه .. واستدرج فرعون وقومه.. فلما أصبحوا في وسط الطريق .. انطبق عليهم البحر وأغرقهم أجمعين.

فأين بالله كان سحر فرعون؟ وأين كانت شياطينه؟ ولماذا لم يهتد على الأقل لما ينتظره من الغرق والعذاب لو سلك الطريق الذي سلكه موسى عليه السلام..؟ أليس في هذا كله دليل على فساد السحر والتنجيم.. وما إلى ذلك من التخرّص على الله بغير علم؟

ألا نستمع لما قصَّهُ الله سبحانه وتعالى من أمر فرعون على رسول الحق والهدى فنتعظ ونرعوي قبل فوات الأوان ؟ قال الله تعالى: ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه فاتَّبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد * يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود * وأتبعوا في هذه لعنةً ويوم القيامة وبئس الرفد المرفود** ﴾ [هود: ٩٦- ٩٩].

ألا نتدبر آيات القرآن الكريم ونتعظ بها؟ ثم يدّعي الدكتور (الأزري) بعد ذلك أنه لو كان هناك خمسة يستخدمون عقولهم ـ لتغير وجه التاريخ .. !

وأنا أقول لهذا الدكتور ـ المسكين ـ ولجميع أتباعه: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه إنه كان توابًا.. وانتهزوا الفرصة قبل أن يحل بكم ما حل بفرعون وقومه وقبل أن تصبحوا لهم قرناء في نار جهنم ـ والعياذ بالله ـ.

٥- وأما عدم استحياء هذا الدكتور من استغفال الناس، وذلك بذكر أنَّ (فرعون) قد عَلِمَ بواسطة السحرة والتنجيم بمولد موسى عليه السلام فإن هذا من أعجب العجب!

وذلك لأن قصة موسى عليه السلام مع (فرعون) عدو الله من أعظم الرواد ع عن السحر.. فإن علم فرعون بالسحر والتنجيم واستعانته بمجموعة كبيرة من السحرة على تدبير شئون ملكه، وعلى خداع الناس وتضليلهم لَم يُمكِّن فرعون ولا سحرته من موسى ولا من الذين آمنوا معه.. وإن قصة موسى عليه السلام مع فرعون لأبلغ دليل على عجز جميع الطواغيت.. وهزيمتهم، وعلى وجوب التعلّق بالله سبحانه وتعالى وحده .. لأنه هو وحده النافع الضار الهادي إلى سواء السبيل.

ألا نستمع إلى قول الله تعالى وهو يخاطب موسى عليه السلام ممتنًا عليه في قوله تعالى: **﴿ قال قد أُوتيتَ سُؤْلَك يا موسى * ولقد مَنَنَّا عليك مَرةً أخرى * إذْ أوحينا إلى أمِّك ما يُوحى * أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليمِّ فليلقه اليمُّ بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له وألقيتُ عليك محبة مني ولتصنعَ على عيني * إذْ تمشي أختُك فتقول هل أدلُّكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلتَ نفسًا فنجَّيناك من الغمِّ وفتنَّاك فتُونًا فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ﴾** [طه: ٣٦- ٤٠].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآيات الكريمة :

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكير له بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أُمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لأن كان وُلد في السنة التي يقتلون فيها الغلمان فاتخذت له تابوتًا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر، وهو النيل، وتمسكه إلى

منزلها بحبل، فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من الغم والهم ما ذكره الله عنها في قوله: ﴿ **وأصبح فؤاد أم موسى فارغًا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها** ﴾ فذهب به البحر إلى دار فرعون ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوًا وحزنًا** ﴾ أي قدراً مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الغلمان من بنى اسرائيل حذراً من وجود موسى، فحكم الله ـ وله السلطان العظيم والقدرة التامة ـ أن لا يُربَّى إلا على فراش فرعون ويُغَذَّى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجته له، ولهذا قال تعالى: ﴿ **يأخذه عدو لي وعدو له وألقيت عليك محبة مني** ﴾ أي عند عدوك جعلته يحبك قال سلمة بن كُهيل: ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ قال حببتك إلى عبادي ﴿ **ولتصنع على عيني** ﴾ قال أبو عمران الجوني: تربى بعين الله وقال قتادة تغذى على عينى وقال معمر بن المثنى ﴿ **ولتصنع على عينى** ﴾ بحيث أرى، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يعنى أجعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة. وقوله: ﴿ **إذ تمشى أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها** ﴾ وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأباها ـ قال الله تعالى: ﴿ **وحرّمنا عليه المراضع من قبل** ﴾ فجاءت أخته وقالت: ﴿ **هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون** ﴾ تعني: هل أدلكم على من يرضعه لكم بالأجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فنالها بسببه سعادة ورفعة وراحة في الدنيا، وفي الآخرة أعظم وأجزل. وقال تعالى ﴿ **فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن** ﴾ أي عليك ﴿ **وقتلت نفساً** ﴾ يعنى القبطي ﴿ **فنجيناك من الغمّ** ﴾ وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هارباً حتى ورد ماء مدين، وقال له ذلك الرجل الصالح: ﴿ **لا تخف نجوت من القوم الظالمين** ﴾ ا.هـ.

وقال في الجلالين: ﴿ **وفتناك فتونًا** ﴾ أي اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك

وخلصناك منه» .

وحديث الفتون نقله ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره واستغرق ذلك ست صفحات وفيه بيان ابتلاء الله تعالى لموسى عليه السلام وإنقاذه من جميع أعدائه بفضل الله ورحمته، فليرجع إليه من أراد استقصاء المزيد من جهل فرعون وضلاله وعجزه، وبالتالي عجز جميع السحرة؛ إذ لو كان السحرة يعلمون الغيب لما خفات عليهم وجود موسى عليه السلام بين ظهرانيهم طوال تلك المدة المديدة... !

ولو شئنا أن نفضح كذلك السحرة من خلال قصة موسى عليه السلام مع فرعون بمزيد من التفصيل لفعلنا، ولكن نكتفي بما قرّرناه آنفًا لحصول المراد.

وأسأل الله تعالى أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة وأن يُحسِن ختامنا... إنه سميع مجيب.

وأما نشاط الدكتور الأزرى فإنه لا يقتصر على ما ورد في مجلة الحوادث، بل يتعداه إلى مجالات أخرى، على سبيل المثال يحرر صفحة الحظ بمجلة الوطن العربي الأسبوعية التي تصدرها في باريس مؤسسة الوطن العربي، وهي شركة فرنسية، بالتعاون مع مؤسسة هشام أبو ظهر الصحفية ـ بيروت.

والحظ في مجلة الوطن العربي يحسب بطريق الأبراج المعروفة فى معظم المجلات والجرائد اليومية.. وهي في هذه المجلة بعنوان يوم لك .. يوم ؟ إلى غير ذلك من الفساد والإفساد في الأرض بغير الحق.. وتحت التستر على الضلال بالألقاب العلمية التي لا تغني عنه من الله شيئًا لا في الدنيا ولا في الآخرة .. والعياذ بالله.

هذا وللعلامة ابن القيم رحمه الله تعالى كلام طويل في كتابه (مفتاح دار السعادة) الجزء الثاني [1]، وقد ضمّنه أبحاثًا عن التنجيم والمنجمين وإبطال أقوالهم أن في اتصالات الكواكب سعود ونحوس، كما أبطل احتجاجهم بالقرآن الكريم، وذكر

(١) انظر مفتاح دار السعادة / ج٢ من ص ١٢٦ – ٢٣٣.

كثيراً في قصصهم وأكاذيبهم وألاعيبهم بعقول الناس، كما ذكر شهادة بعض المنجمين على أنفسهم ببطلان علمهم وعدم الجدوى منه.

وهى أبحاث عظيمة يرجع إليها من أراد التوسع في موضوع التنجيم والمنجمين وأضرابهم من العرّافين والكهنة ... إلخ.

كما عالج علماء المسلمين ـ جزاهم الله خيراً ـ هذا الموضوع بما فيه الكفاية، ومنهم ـ على سبيل المثال ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتاويه [1] وكتبه، والشيخ محمد بن عبد الوهّاب رحمه الله تعالى في رسائله [2]، وغيرهم كثيرون.

فلا معنى لاعتناء وسائل الإعلام العربية ـ وهى التي تُوجَّه للمسلمين باسمهم ـ فلا معنى لاعتناء هذه الوسائل بالتنجيم والمنجمين، وترويج أفكارهم بين الناشئة والخاصة والعامة.

ولابد من وضع الضوابط والرقابة على كل ما يُنشر ويقدم للعرب وللمسلمين حتى لا يرتدّ المسلمون ارتداداً كاملاً إلى الجاهلية الأولى وهم لا يشعرون.

الصحف والمجلات المعاصرة وموقفها من التنجيم :

ومن هذه المجلات التى تحرص على كتابة الحظ والبخت والأبراج في صفحاتها ما يلي:

١ – مجلة أسرتي: وهى مجلة أسبوعية تصدر في الكويت.

٢ – الحسناء: وهي مجلة أسبوعية تصدر في بيروت، وتصدر عن شركة عشتروت للطباعة والنشر، وفى صفحاتها (٦٨، ٦٩) تحت عنوان «الأيام السبعة» تحرص المجلة على إبراز صورة إحدى الممثلات في زاوية (أبراج النجوم) وتضع في هذه الزاوية: اسم برجها ثم تكتب في هذه الزاوية الخصائص التى يمتاز بها مواليد ذلك البرج ـ على زعمهم ـ وذلك كدعاية للإقبال على التصديق بالنجوم والسحر.. وبالتالي الابتعاد عن منهج الله سبحانه وتعالى والعياذ بالله.

---

(١) انظر الفتاوى الكبرى لابن تيمية : ج١ (٣٨٦ – ٣٩٥).

(٢) مجموعة التوحيد لأحمد بن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة للمجلات العربية المختلفة؛ لأن الغرض هو الاستنكار، والإشارة إلى ضرورة الحرص على كل ما يقدم للناشئة من أفكار ومعلومات ـ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ـ تقريباً ـ جميع الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية في جميع البلاد العربية ـ عدا المملكة العربية السعودية ـ تخصص زوايا للبخت والحظ في أحشائها.

وأما وجه إدراج التنجيم ضمن الكلام عن الطيرة فذلك لأن العرب كانوا يتطيرون بالنجوم وبمواقعها كما قررنا في أول الكلام عن التنجيم.. فيقودهم هذا إلى السحر والضلال والاستعانة بغير الله .. والخوف من مخلوقاته فيما هو من خصائص الله تعالى.

ومن هنا ناسب الإشارة إلى بطلان التنجيم وغيره حتى يكون الدين خالصاً لله تعالى وحده، والقلب متعلقاً به وحده عز وجل دون سواه.

* * *

سابعاً : التطير بأزمنة معينة

هذا والجاهليون يتطيرون بأزمنة وأيام، وليال معينة، ومثال ذلك فقد كانوا قديماً يتطيرون بشهر صفر فيحرمون فيه القتال ويجعلونه بدلاً من شهر الله المحرم .. كما كانوا يكرهون البناء بالأزواج في شهر شوال، أو السفر في أيام معينة كيوم الاربعاء أو الخميس أو السبت، أو يكرهون التفصيل أو الخياطة أو الغزل في هذه الأيام.

أو يكره الجماع في ليلة من الليالى ويخافون على الولد ..

ولا تزال بعض هذه العادات إلى اليوم متداولة بين الناس رغم أن الإسلام أبطلها جميعاً.

كما أن البعض أيضاً يتطير من يوم الجمعة ويكرهون الاستحمام فيه، ويقولون: إن بها ساعة منحوسة ـ والعياذ بالله ـ! والعكس هو الصحيح؛ إذ أن يوم الجمعة هو أفضل أيام الأسبوع، ويُسنُّ فيه الاغتسال، وفيه ساعة مباركة يستجاب فيها الدعاء وقد ورد في ذلك أحاديث نبوية كثيرة.

* * *

ثامناً: الطيرة بأماكن معينة :

ومن الناس من يتطير بأماكن معينة .. وغالباً ما تكون من اختراع خيالهم، فمثلاً يتطيرون من المكان الذي تصيبهم المصائب فيه، كأن يُقتل فيه أحدٌ ما أو غير ذلك فيتركونه، ومن الناس من يتشاءم ببيت سكناه، ويقولون المثل المعروف: (أعتاب وكعاب ونواصي) يعنون بالأعتاب: بيت السكنى، وبالكعاب: الزوجة، والنواصي: الدابة.

والحقيقة أن هذه الثلاث لها حكم في الإسلام سيأتي بيانه إن شاء الله، ولكن ليس لأيٍّ منها تأثير ذاتي في دفع شر أو جلب خير.

ومن الذين تشاءموا ببيت سكناه هو الشاعر الشهير بابن الأعمى، وقد قال شعراً طويلاً يذم فيه بيت سكناه ويبين عيوبها .. ومما قال فيها :

دار سكنت بهـا أقل صـفـاتهـا	أن تكثر الحشرات في حجراتها
الخيـر عنهـا نازح متبـاعـد	والشر وافٍ من جميع جهـاتهـا
شـاهدت مكتوباً على أرجـائهـا	ورأيت مسطوراً على عتبـاتهـا
لا تقـربوا منهـا وخـافـوها ولا	تلقـوا بأيديكم إلى هلكاتهـا
أبداً يقـول الداخلون ببـابهـا	يا ربِّ نجِّ الناس من آفـاتهـا

* * *

تاسعاً: الطيرة بأشخاص معينين :

مر بنا في هذا الباب أنهم كانوا في الجاهلية يتطيرون بذوي العاهات والمرضى .. إلا أنه يوجد من يتطير بأشخاص سالمين من العاهات ولكن حدث بسببهم بعض الحوادث... كأن يصادف امرأة ما تتزوج فيموت أزواجها بقضاء الله وقدره فيلقبونها بـ (قبّارة) ؛ أي أنها شؤم على الزوج ولو تزوجها أحد فإنه سيموت .. وهذا الظن باطل قطعاً لأن الأعمار بيد الله، ولأنه لكل أجلٍ كتاب.

وسيأتي في باب حكم الطيرة الكلام بالتفصيل عن مثل هذا الحال.

ولقد كتبت المجلة العربية في زاوية لقطات طريفة تحت عنوان: امرأة شؤم تزوجت ٢٥مرة !

قال: عاشت في هولندا في القرن السابع عشر امرأةٌ تزوجت ٢٥ مرة وتوفي أزواجها، ومع أنه لم يكن لها يد في وفاتهم فقد حظرت الحكومة عليها الزواج للمرة السادسة والعشرين، فقضت بقية حياتها منفردة في كوخ حقير في قرية هاريج [١].

وفى أمثال العرب وأشعارهم نجد أن روح التشاؤم بالأشخاص قد بلغت حداً كبيراً، وقد أثبتُّ من ذلك الكثير في الأمثال العربية، إلا أن أسوأ ما في الأمر أن تشاءم الإنسان من نفسه ويرى أنه قد أصبح هو بذاته شؤماً على الحياة !

لعل الشاعر محمود أبو الوفا [٢] من أكثر شعراء العصر الحديث تشاؤماً، حتى بلغ به التشاؤم حد اليأس، وهذا أسوأ درجات التشاؤم؛ لأنه جمع مع كبيرة الطيرة كبيرة اليأس، وقد قال تعالى: ﴿ **ومن يقنطُ من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾ [الحجر: ٥٦]، وقال عز وجل: ﴿ **وإن مسه الشر فيئوس قنوط** ﴾ [فصلت: ٤٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون** ﴾ [الروم: ٣٦].

نسأل الله تعالى أن يهدينا الطريق المستقيم، وأن يغفر لنا ويرحمنا نحن وجميع المسلمين.

ومن شعر محمود أبو الوفا الذى يصوّر تشاؤمه يخاطب حبيبته :

لن أسيء الظن فيك أبداً ... فإذا شئت عطاء فامنعي
إنما اللوم على النحس الذى ... كلما أذهب ألقاه معي
لو خلعت الثوب أبغي غسله ... أقسمت شمس الضحى لم تطلع
لو طلبت النهر أروى ظمأ ... لاشتكى النهر جفاف المنبع [٣]

---

(١) المجلة العربية مجلة شهرية تصدر بالسعودية. العدد الرابع ص ١٠٩.

(٢) الشاعر محمود أبو الوفا ولد سنة ١٩٠٠ وفصل عن المعهد الدينى في دمياط سنة ١٩١٩ بسبب نظمه لشعر فلسفي لا يرضى عنه المعهد، وكان مقطوع الساق يمشي على عكازين، غير مقبول الطلعة، عاصر شوقى ولكن شوقي كان ينتقده. مات ١٩٧٩.

(٣) ديوان محمود أبو الوفا من قصيدة « لن أسيء » ص ١١٩.

ومثل هذه الروح تجدها أيضاً في قصيدته إلى « فيكتور هوجو » التي يخاطب فيها صاحب « البؤساء » بقوله :

يا صاحب البوساء جاء شاعر — يشكو من الزمن اللئيم العاتي
لم يكفه أني على عكازة — أمشي فحط الصخر في طرقاتي
ثم انثنى يزجى عليّ مصائباً — سحباً كقطعان الدجى جهمات [1]

إلى أن قال في نهاية القصيدة :

خففت يا « هوجو » عليك فلم أطِلْ — وبعثتها فَصلَين من مأساتي
ولو أنني أعطيت بؤسي حقه — وصفاً لصور معرض النكبات

ولم تكن روح التشاؤم الذى يبلغ حد اليأس مقصور على الشاعر محمود أبو الوفا... فهذا الشاعر أحمد الجندي يقول فى قصيدة بعنوان « اليأس توأم عمري » !:

لقد كبرت سنى ولم تكبر النفس — ومر شبابي والهوى ظل والحس
أطاول أيامى عسى ينقضى الأسى — وهل ينقضى والهم حولى والبؤس
كأنى والدنيا محب مولد — يراوده في حبه الحزن واليأسِ
أمد لها كفى فتنأى بعيدة — وأرنو لها شوقاً فيحجبها النحسُ

فالشاعر متشائم من الحياة يرى أن النحس يلازمه أينما حل وينغص عليه حياته.

وهذا شاعر آخر يقلب المعنى فيجعل اليأس راحة له من ساخر الأمل ـ كما يقول ـ فقد كتب الشاعر أنور العطار في قصيدة بعنوان « اليأس إحدى الراحتين »[2] يقول:

---

(١) ديوان : محمود أبو الوفا ص ١٣١ إلى ص ١٣٢.

(٢) من رباعيات أنور العطار جمعها فى ديوان سماه: « علمتني الحياة »، وتنشر هذه الرباعيات المجلة العربية السعودية العدد ٣ سنة ١٣٩٧هـ/ ص ٣٥.

علمـــتنى الحـيـــاة: أنَّ مِنَ اليــأ س نجـاة من ســاخــرات الأمــاني

فــإذا مــا انتــهى الفــؤاد إليــه لاذ بالمســـعــد المريح الهـــاني

هــو روح وراحــــــة وانـطـلاق من عـــذاب وحــيـــرة وهوانِ

فــارم باليـأس مـهـجـة الأمل الخـا دع تأمن طوارق الأشـــجـــانِ

فالشاعر في قصيدته يقرر أنه لم ير فى حياته خيراً! حتى أنه يجد عذابه في الأمل وراحته في اليأس! وهذا والعياذ بالله سوء ظن بالله تعالى، وجحود لنعمه الكثيرة علينا، وينبغي علينا كمسلمين أن نتنزه عن مثل هذه الأخلاق المذمومة.

وبعض الناس يتطير بالنساء جملة. قال الشاعر:

إن النساء شياطين خُلِقن لنا نعوذ بالله من كيد الشياطين [1]

وبعضهم يتطير بالرجال جملة.

قال الشاعر :

مَشائيمُ ليسوا مُصْلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بشؤمٍ غرابُها

وذكر أبو حيان التوحيدي عن « البديهي » شعراً قاله في « أبي سليمان المنطقي*» في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » :

أبو سليـــمـــان عـــالم فطن مــا هو في علمـــه بمنتـــقص

لكن تطيـــرت عند رؤيتــــه من عـــور مـــوحش ومن برص

وبابنه مــــثـل مــا بوالده وهذه قــصـــة من القــصــص

---

(١) منتخب الكلام ج٢/ ١٩٦.

(*) أبو سليمان هو محمد بن طاهر بن بهرام المنطقي السجستاني أكبر علماء بغداد في عصر أبي حيان في المنطق والحكمة والفلسفة. مات على أغلب الظن في السنوات العشر الأخيرة من القرن الرابع الهجرى. (الإمتاع والمؤانسة ج١/٢٩).

فهذه العاهة في أبي سليمان كانت تمنعه من غشيان مجالس الأمراء وتمنع الأمراء من استدعائه إلى مجالسهم كما قال أبو حيان [1].

كما ذكر أبو حيان في كتابه الإمتاع والمؤانسة أن أبا عمرة صاحب شرطة المختار ابن عبيد كان يعتبر مثلاً لكل شؤم ـ قال أبو حيان: « أبو عمرة: صاحب شرطة المختار ابن عبيد، كان لا ينزل بقوم إلا اجتاحهم، فصار مثالاً لكل شؤم وشر .

ويقال أيضاً: إن أبا عمرة اسم الجوع. هكذا حدثني به أبو الحسن البصرى » ا.هـ [2].

وممن غلبت على نفسه روح التشاؤم حتى ظن أنه شؤم على الحياة «أبو الشمقمق»* ومعنى الشمقمق: الطويل، ويقال: أنه كان قبيح المنظر، وأضاف إلى قبح شكله خبث لسانه، فتحاماه الناس ولم يفتحوا له أبوابهم إلا قليلاً، فعاش فقيراً محروماً.

وكثيراً ما كان يصور سوء حظه في شعره، وأنه أينما اتجه لم يكسب شيئاً، بل يقعد به العدم الذى تعوّده، ويقعد به سوء البخت الذى يلازمه في حِلّه وترحاله، حتى ليجف البحر الذى يخوضه، وحتى ليستحيل الدّرّ في يده حصى وزجاجاً، والماء العذب ملحاً لا يسوغ شرابه، وفي ذلك يقول:

لو ركبتُ البحار صارت فجاجاً ... لا نوى في متونها أمواجاً
ولو أنى وضعت ياقوتة حمـ ... ـراء في راحتى لصارت زجاجاً
ولو أنى وردت عذباً فراتاً ... عاد لاشك فيه ملحاً أجاجاً [3]

وهو فى هذه الناحية يشبه الشاعر: « محمود أبو الوفا »، « وطويس » الذى

(١) ، (٢) الإمتاع والمؤانسة ج١/ ٣١، ج٢/ ٥٣.

(*) أبو الشمقمق هو مروان بن محمد، بصرىّ المنشأ والمربى، خراسانى الأصل، من موالى الأمويين، وهو من شعراء العصر العباسي الأول. (انظر تاريخ الأدب ص ٤٣٦).

(٣) تاريخ الأدب – العصر العباسي الأول ص ٤٣٩.

سيجيء ذكره في الأمثال العربية.

*　*　*

عاشراً : ألوان من التطير في العصر الحاضر :

هذا وإن التطير ليس له حدود عند من فقد ثقته بالله تعالى، أو ضعف إيمانه، ومثال ذلك:

١- المرآة المكسورة :

فإنها دليل شؤم فيتوقع المتطير طول المصائب إذا كُسرت المرآة أمامه .. وهى تدل عندهم على حدوث مصيبة، وإذا رأى مِقصاً مفتوحاً فهذا يدل على أن شِجاراً وخصومة ستقع.

٢- اللون الأسود:

بعض الناس يرى في اللون الأسود نذير شؤم، فيتجنبون لبس اللون الأسود، أو استعمال هذا اللون، لأنه في اعتقادهم ينذر بحلول مصيبة أو موت أحد أحبابهم. ولعل السبب ـ والله أعلم ـ أن أكثر الناس يلبسون الملابس السوداء عند الإحداد على الميت.

٣- التعثر في الطريق:

فإذا خرج بعض الناس في مهمة ما تخصه وحدث أن تعثرت رجله في الطريق أو التوت أو وقع أثناء خروجه .. تشاءم وجزم أن المهمة التى خرج من أجلها لن تنقضى، ورجع من حيث أتى.

٤- المرأة المعتدة:

بعض الناس يظنون أن الجان يسكنون المرأة المعتدة، ولذا فإنهم ـ أي الناس ـ يحبسون المعتدة في غرفة ويغلقون عليها الباب أثناء مدة العدة ويقولون بأنها لابدّ وأن تُجلَدَ أربعين جلدة حتى يخرج منها الجانّ! وأنها إن لم تجلد في الدنيا فستجلد في الآخرة!!

وقد رد فضيلة الشيخ على الطنطاوي في برنامج (نور وهداية) الذي يُبث من المملكة العربية السعودية ـ فقد رد عليه بالإنكـار وأن هذا الاعتـقاد في المرأة باطـل لا أصل له.

قلت: والصحيح أنه كذلك لأن ليس عليه دليل من كتاب ولا سنة.

٥- المرأة الحائض :

كذلك يتشاءم البعض من المرأة الحائض، ويزعمون أنها تضرهم فيعتزلون عنها.

وبعض الناس يرفضـون أكل شيء مما تمسه المرأة الحـائض، ويتطيـرون منهـا لو تخطّت أعناقهم بطريق الصُّدفة، كـما يتشـاءم البعض لو دخلت المرأة الحائض على النفساء ويزعمون أن النفساء لن تحمل مرة ثانية بسبب دخول المرأة الحائض عليها، كما يعتقـدون أن المرأة الحائض كذلك لو دخلت على عروس حال دخلتها على عريسـهـا لأول مرة فإن تلك العروس لن تحـمل ولن تلد، وقد ثبت بطلان ذلك بالتجربة.

٦- قشر البيض والملح :

زعموا أن من يمر من فوق الملح أو قشر البيض المطروح أرضاً فإنّ ذلك سيصيبه بالضرر.. وسيكون هذا الضرر ذا مفعول أقوى من مفعول السحر على المسحور! فيتطيرون لو صادفهم قشر البيض في الطريق ويتجنبون المرور من فوقه.

٧- البومة:

لا يزال بعض العامة يتشاءمون من البومة، وأحيانًا يصاب الطفل بمرض معين له أعراض معينة ـ اصفرار الوجه والعينين، فيعتقدون أن سبب هذا المرض من البومة.. كيف؟!

يقولون: هذا الطفل رأته بومة فمرض هذا المرض ولذا فعلاجه يكون كما يلي:

يحضرون ريشاً من ريش البومة ويضمّون منه عدة ريشات على هيئة « السيجار » ويحزمون تلك الريشات بخيط ثم يحرقون طرف تلك الحزمة ويقربونها من أنف

الطفل المريض ليستنشق الدخان المتصاعد منها، وبعد ذلك يطمئنون إلى أنه سيشفى من نظرة البومة إليه لأنه استنشق دخان ريشها !

وقد رأيت ذلك بنفسي عند بعض الناس !

٨- الغراب :

لا زال بعض العامة يتشاءمون من صياحه، فإذا سمعوه ينعق نظروا إليه بقلق وقالوا: (خير يا طير) !

٩- إنفاق المال صباحاً :

إذا تصادف عند بعض الناس المتطيرين أن تعرضوا للإنفاق منذ الصباح الباكر أو قال لهم أحد كلمة (هات) قبل أن يدخل جيبه شيء من النقود تشاءم وتوقع الخسارة طوال ذلك اليوم، وقال بغضب : « يا فتاح يا عليم، يا رزّاق يا كريم ».

وكم من زوج تخاصم مع زوجته وتشاجر معها لأنها تبدأ نهارها معه بكلمة «هات».

وفي كتاب بعنوان (أعجب الرحلات في التاريخ) بقلم الكاتب المصرى «أنيس منصور» ذكر المؤلف في كتابه عبر ما أورده من وصف لبعض الرحلات بعض ما يتشاءم منه المتشائمون فى شتى أنحاء المعمورة: فمثلاً بعض الغربيين يتشاءمون من اللون الأخضر، وفي تركيا أسطورة تقول: « إن الذى يلقى ورقة زرقاء في الماء لا يسقط في الماء ».

وقبائل البوشمان ــ وهم أقزام يعيشون في مجاهل أفريقيا ــ يتشاءمون لو ارتدى أحدهم جلد الأسد بالمقلوب، ويعتقدون أن هذا يجلب عليهم النحس.

وبعض الغربيين يتشاءمون من الخنزير إذا رفع رجله اليمنى عند الذبح، ويعتبرون ذلك نذير شؤم للجميع. وكما أن بعضهم يتشاءم من يوم الجمعة [1].

---

(١) أعجب الرحلات في التاريخ ص ٣٢٤، ٣٨٣.

الفصل الثالث

من أمثال العرب في الطير والطيرة

إن الأمثال تلعب دوراً خطيراً في حياة الناس؛ إذ أنها مرآة نفوسهم.. وانعكاسات خواطرهم... وسجل لجميع أنواع حياتهم، وقد بيّن الزمخشري رحمه الله تعالى في كتابه «المستقصى» أن للأمثال مكاناً راسخاً في الأدب العربي، كما أن عامة الناس يستعملونها في أثناء كلامهم على ما تقتضي الأحوال، كذلك والكُتّاب يستعملون الأمثال في إنشائهم ورسائلهم، فيكون لها تأثير بليغ في النفوس، إذ كانت الأمثال قرائض أفكارهم ونتاج تجاربهم.

فلذلك تعطى الأمثال فكرة الأشخاص الذين كانوا يستعملونها، وتصور لنا أخلاق الناس، وعاداتهم، سواء كانوا متمدينين أم غير متمدينين، وإنها أيضاً تدل على ما كانت العرب يعرفون من عادات الحيوان والطيور وغيرها.

وصحيح ما قيل: «إن الشعر ديوان العرب».

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر، وكانوا يحفظون أنسابهم ومآثر أسلافهم في الشعر، ولا شك أن الشعر كان مخزن علمهم ومنتهى حكمتهم، به يبدؤون أمورهم وبه يختمون.

وكان الشاعر في الجاهلية يتصور أنه المدافع للذود عن حياض القبيلة، والمحافظ لمكانتهم وكرم عنصرهم، وكذلك الأمثال لعبت دوراً خطيراً في حياة العرب، إذ كانت مرآة أحوال الناس الاقتصادية والذهنية، فهي ميزان يُوزن بها رُقيّ الشعوب وانحطاطها[1].

وفيما يلي مجموعة من الأمثال العربية في الشؤم والتفاؤل والعدوى تبين ما كان عليه العرب من جهل، وتوضح اعتقادات العرب التى أصلحها الإسلام، وبيّن صحيحها من سقيمها، وغثها من سمينها.

---

(١) المستقصى ج١/ ٤، ٥.

١ – (أشأم من أحمر عاد):

هو قُدار بن قديرة وهى أمه وأبوه سالِف، عقر ناقة صالح عليه السلام فهلكت بفعلها ثمود. قال زهير:

فَتُنْتَجْ لكم غلمانَ أشأمَ كلُّهم كأحمرِ عادٍ ثم تُرْضِعْ فتَفْطِمِ [1]

٢ – (أشأم من الأخيل):

هو الشقراق، طائر تغلبه الخضرة، مشرب حمرة، ويسمى الشاهين، وأيضاً: الأخيل، لا يقع على دبرة بعير إلا جزل ظهره، ويقال للبعير مخيول، وسئل عنه رؤبة فقال: هو الطائر الأخضر.

وإنما يتطيرون منه للظهر ويُسَمّونه مُقَطِّع الظهور، فإذا وقع على بعير وكان سالمًا فقد يئسوا منه، وإذا لقى المسافر تطير منه وأيقن بعقرٍ إن لم يكن موت في الظهر خاصة، ولا يتطيرون منه لأنفسهم، قال الفرزدق يخاطب ناقته:

إذا قَطنَا بلّغْتنيه ابنَ مُدْرِكٍ فلاقَيْتِ مِنْ طيرِ العراقيبِ أخْيلا

وفي مجمع الأمثال: «إذا عاين أحدهم شيئاً من طير العراقيب قالوا: أتيح له ابنا عيان كأنه قد عاين القتل أو العقر، وإذا تكهن كاهنهم أو زجر زاجرهم طيرهم أو خط خاطهم ورأى في ذلك ما يكره قال: ابنا عيان أظهرا البيان، ويروى أسرعا البيان، وهما خطان يخطهما الزاجر، يقول هذا اللفظ كأنه بهما ينظر إلى ما يريد أن يعلمه، ويروى ابنى عيان أظهرَا البيان ـ على النداء؛ أي: يا ابنى العيان أظهرا البيان» ا.هـ[2].

٣ – (أشأم من البسوس)[3]:

هى بسة (وفي بعض النُسخ بوس) بنت منقذ التميمية، زارت أختها أم جَسَّاس بن مُرّة

---

(١) المستقصى رقم ٧٢٢، مجمع الأمثال ٢٥٦/١، جمهرة الأمثال ٢١/٢.

(٢) مجمع الأمثال: ج١/ ٢٥٩.

(٣) المنجد ص ٩٥٥، وحياة الحيوان ج٢/ ٤١٠ نقله عن الأصمعى فى ابتلاء الأخيار بالنساء الاشرار، المستقصى رقم المثل ٧٢٤ ومجمع الأمثال ج١/ ٢٥٤.

البكرى ومعها جار لها اسمه سعد بن شمس ومعه ناقة فدخلت في حِمَى كُلَيْبِ وائلٍ التغلبي فرمى ضرعها فأقبلت ترغو وضرعها يشخب دماً ولبنا، فصاحت البسوس: واذلاه، واغربتاه، وانشأت تقول :

لعمرى لو أصبحت في دار منقذ	لما ضيم سعد وهو جار لأبياتى
ولكننى أصبحت فى دار غربة	متى يعد فيها الذئب يعد على شاتى
فيا سعد لا تغرر بنفسك وارتحل	فانك فى قوم عن الجار أموات
ودونك أذوادى فخذها فإننى	لراحلة لا يغدروا ببنياتي

والعرب تسمى هذه الأبيات أبيات الفنا، فسمعها جساس فقال لها: أيتها الحرة اهدئي، فوالله! لأقتلن كليباً، فطعن كليباً طعنة فمات منها، فقام المهلهل أخو كليب كأنه رئيس تغلب، وطلب بثأر كليب، فاتقدت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة، فضرب المثل بالبسوس فى الشؤم [1].

٤- (أشأم من الزرقا) [2]:

هي الناقة التى زرقت عينها وإنها تكون نافرة، وفي مجمع الأمثال (أشأم من ورقاء) يعنون الناقة وهى مشئومة، وذلك أنها ربما نفرت فذهبت في الأرض، وهذا المثل ذكره أبو عُبيد القاسم بن سَلاَّم .. وقال الميداني : قلت: روى أبو الندى: «أشأم من زرقاء» وقال: هى اسم ناقة نفرت براكبها فذهبت في الأرض.

٥- أشأم من الزُمَّاح - وفى نسخة الزَماح [3]:

طائر كان يقع على آطام يثرب كل عام أيام التمر يصيب منه ويطير ولا يتعرض له أحد وكان يقول: خرَّب خرَّب، فرماه رجل فقتله وقسم لحمه في الناس فلم يمتنع

---

(١) انظر حرب البسوس من كتاب (تاريخ الأدب العربي فى العصر الجاهلي) لشوقى ضيف .

(٢) المستقصى رقم المثل ٧٢٥، ومجمع الأمثال ج١/ ٢٦٠، وجمهرة الأمثال ج٢/ ٢٢.

(٣) المستقصى رقم المثل ٧٢٦، ومجمع الأمثال ج١/ ٢٦٤، وجمهرة الأمثال ج٢/ ٢٢.

منه إلا رفاعة ابن يسار، فهلك كل من أكل منه، قال قيس بن الخطيم الأوسي:

أَعَلَى العهد أصبحت أمُّ عَمْرٍو ليت شِعْرِى أم غالها الزُّمَّاحُ

٦- (اشأم من الشّقراء على نفسها) [١]:

قيل هى فرس لقيط بن زرارة التى ركبها يوم جبلة، وكان يقول: أشقراء إن تقدم تنحر، وإن تأخر تعقر، وقيل: هى فرس رمحت راكبها فأصابت فلوّها فشقت بطنه.

وقيل: كانت لثور بن هدية (وفى نسخ هدبة) وبينه وبين بنى خميس شيء لأنهم قتلوا أخاه، فطلب منهم ديتين فأبوا عليه، فقال: والله لا أزال أغير عليكم ما بقي للشقراء سنبك، فغزاهم غير مرة وهو لا ينال منهم، فضرب بفرسه المثل.

٧- أشأم من خميرة [٢]:

هى فرس شيطن (وفى نسخة شيطان) بن مدلج الجشمى وقد خرج قومه طالبين المرعى، فأفلتت خميرة، فطلبها شيطن (شيطان) بياض نهاره حتى أخذها وخرج بنو ذبيان غازين فرأوا آثارهما فقافوهما حتى أغاروا على الحى، فقال شيطن (شيطان) :

جاءت بما تسرى الدهيم لأهلها خميرة بل مسرى خميرة أشأم

وبينا أُرجى أن أوفى غنيمه أتتنى بألفى دارع ينتقم

٨- (أشأم من خوتعة) [٣]:

قيل: مات أبوه يوم علقت أمه، وأمه يوم وضعته، وأخته يوم فُطم، وأخوه يوم احتلم، وعمه يوم تزوّج، وهو أحد بني عقيلة بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة. والقصة بطولها في مجمع الأمثال.

---

(١) المستقصى رقم المثل ٧٢٧، وجمهرة الأمثال ٢١/٢.

(٢) المستقصى رقم المثل ٧٣٠، ومجمع الأمثال ٢٥٧/٢، وفيه: (أشأم من حُميرة) بالحاء المهملة، وجمهرة الأمثال ٢١/٢.

(٣) المستقصى رقم المثل ٧٤٠ ومجمع الأمثال ٢٥٨/١ وجمهرة الأمثال ٢١/٢.

٩- (أشأم من داحس) (١).

هو فرس قيس بن زهير العَبسي، وقعت الحرب على رأسه بين عبس وذبيان أربعين سنة، وقال العبسي :

إن الرباط النكد من آل داحس	أبين فما يفلحن يوم رهان
جلبن بإذن الله مقتل مالك	وطرّحْن قيساً من وراء عمان

١٠- (أشأم من رغيف الحولاء) (٢):

هي امرأة خبازة كانت في بني سعد بن زيد بن مناة فمرت بخبز (تحمله على رأسها) فخطف رجل رغيفاً عن رأسها فقالت: والله ما أردت بهذا إلا إهانة فلان ـ لرجل كانت في جواره ـ فثار القوم فقتل بينهم ألف إنسان.

١١- (أشأم من سراب) (٣):

هي ناقة جَسّاس.

١٢- (أشأم من طُويس) (٤):

كان طويس يقول: ولدت يوم مات الرسول ﷺ، وقال الجوهري: هو مخنّث كان بالمدينة، قال: يا أهل المدينة توقعوا خروج الدجال ما دمت حياً بين ظهرانيكم، فإذا مت فقد أمنتم، لأني ولدت في الليلة التي مات فيها النبي ﷺ، وفُطمت في اليوم الذي مات فيه أبو بكر، وبلغت الحلم في اليوم الذي قتل فيه عمر، وتزوجت في اليوم الذى قتل فيه عثمان، وولد لي في اليوم الذي قُتل فيه عليّ.

قال في حياة الحيوان: وكان طويس اسمه طاوس فلما تخنّث جعلوه طويساً، ويسمى

---

(١) المستقصى رقم المثل ٧٣٢، والمنجد ص ٩٥٥، ومجمع الأمثال ٢٥٦/١، وجمهرة الأمثال ٢٠/٢.

(٢) المستقصى رقم المثل ٧٣٣، ومجمع الأمثال ٢٥٨/١، ٢١/٢، والمنجد ص ٩٥٥.

(٣) المستقصى رقم المثل ٧٣٤، ومجمع الأمثال ١/ ٢٦٤.

(٤) المستقصى رقم المثل ٧٣٥، مجمع الأمثال ١٧٣/١، ٢٦٤، المنجد ص ٩٥٥، حياة الحيوان ج٢/ ٩١.

بعبد النعيم، وقال في نفسه:

إنني عبـد النعـيم أناطاوس الجحـيم   أنا أشأم من يمشي على ظهر الحطيم
أنـا حـــاء ثـم لام   ثم قـاف حـشـو مـيـم

يقول عنى بقوله: حشو ميم: الياء، لأنك إذا قلت وقعت بين الميمين ياء يريد أنه حلقى، وأراد بالحطيم الأرض، فكأنه قال: أنا أشأم الناس. وقد توفى طويس في سنة اثنتين وتسعين من الهجرة.

١٣- (أشأم من طير العراقيب) [١]:

هي طير الشؤم عند العرب، وكل طائر يتطير منه العرب للإبل فهو عرقوب؛ لأنه يعرقبها، وإذا رأى أحدهم شيئاً منها قيل: أتيح له ابنا عيان، كأنه قد عاين القتل أو العقر، وإذا تكهن الكاهن أو زجر الطير أو خط فرأى ما يكره قال: ابنا عيان أظهرا البيان.

١٤- (أشأم من غراب البين) [٢]:

ليس في الأرض بارح، ولا نطيح ولا قعيد ولا أعضب ولا شيء مما يتشاءمون إلا والغراب عندهم أنكد! واشتقوا من اسمه الغربة، ويقولون إن من عادته أنه لا يعترى منازلهم إلا عند البين، فيقع فيها ويتلمس ويتقمم، وزعموا أن نعيبه يتطير منه وهو أن يقول: غيق غيق، يقال: نَعَبَ بشر، ونعيقه يتفاءل به، وهو أن يقول: غاق غاق، يقال: نعق بخير، قال جرير:

ليت الغراب غداة ينعب دائمـاً   كان الغراب مقطع الأوداج

وفى رواية (دائباً) بدلاً من (دائماً) ...

وقال آخر:

تركت الطير عاكفة عليهم   وللغربان من شبع نغيـق

(١) المستقصى رقم ٧٣٦، مجمع الأمثال ٢٥٩/١، جمهرة الأمثال ٢٢/٢.

(٢) المستقصى رقم المثل ٧٣٧، المنجد ص ٩٥٥، مجمع الأمثال ٢٥٩/١، ٢٦٠. وجمهرة الأمثال ٢٢/٢.

١٥- (أشأم من قاشر) [1]:

هو فحل كان لبني عوافة (وفي نسخة عراقة) بن سعد بن زيد مناة، ولهم إبل مذكرة فاستطرقوه رجاء أن يؤنث (وفي نسخة تؤنث) فهلكت الأمهات والنسل، وقيل: هو قاشر بن مرة أخو زرقاء اليمامة، حمل الخيل إلى جو حتى استأصل أهله.

١٦- (أشأم من قدار):

هو أحمر عاد [2].

١٧- (أشأم من منشم) [3]:

ويروى مشأم، ويروى من عطر منشم، وهي امرأة عطّارة غمسوا أيديهم في عطرها، وتحالفوا بالاستماتة في الحرب، وقيل: كانت امرأة تبيع الحَنوط؛ وسموه عطراً لأنه طيب الموتى، وقيل: هي امرأة افترعها زوجها صبيحة عرسها فأدماها. فقيل لها: بئس ما عطرك زوجك! وقيل: المنشم شيء يكون في سنبل العطر يسمى قرون السنبل، وهو سم، قالوا: هو البيش، وقيل: المنشم الشر بعينه مأخوذ من نشم في الشر إذا أخذ فيه، قال زهير:

تَدَارَكْتُمُ عَبْساً وذبيان بعدما ... تَفَانَوْا ودقُّوا بينهمْ عِطْرَ مَنْشِمِ

١٨- (أنكد من أحمر عاد) [4].

١٩- (أنكد من تالي النجم) [5].

٢٠- (أشأم من حفار): أي حفار القبور [6].

٢١- (أشأم من براقش) [7]:

---

(١) المستقصى رقم المثل ٧٣٨، وجمهرة الأمثال ٢٠/٢ .

(٢) المستقصى رقم المثل ٧٣٩، ومجمع الأمثال ٢٥٨/١، وجمهرة الأمثال ٢١/٢.

(٣) المستقصى رقم المثل ٧٤٠، ومجمع الأمثال ٢٥٨/١، وجمهرة الأمثال ٢١/٢.

(٤) المستقصى رقم المثل ١٧٠٣.

(٥) المستقصى رقم المثل ١٧٠٤.

(٦) المنجد ص ٩٥٥ .

(٧) المنجد ص ٩٥٥.

وبراقش اسم كلبة نبحت جيشاً كانوا قصدوا قومها وخفي عليهم مكانهم، فلما نبحتهم عرفوه فعطفوا عليهم واجتاحوهم، فقالت العرب: أشأم من براقش.

٢٢- (أيمنُ شؤماً من زحل) [١].

٢٣- (كأحمر عاد أو كليب لوائل): يضرب في الشؤم [٢].

٢٤- (كالأرقمِ إنْ يُقتلْ ينقَمْ، وإن يُتركْ يَلقَمْ) [٣]: يضرب للمكروه من جهتين.

٢٥- (كالأشقر إن يتقدم يُنحر، وإن يتأخر يُعقر) [٤].

ويروى : إن تَقدّم نُحر، وإن تأخّر عُقر.

هم يتشاءمون في الحرب بالفرس الأشقر، قال الشاعر :

كموقف الأشقرِ إن تقدّما باشر منّحُوضَ السنان لَهْذَما
والسيف من ورائه إن أحجما

وقال الفرزدق :

فأصبح كالشقراء تنحر إن مضت وتضرب ساقاها إذا هي ولّت

٢٦- (الرُّغب شؤم) [٥]:

يعني أن الشّرَه يعود بالبلاء، يقال رغب رغباً فهو رغيب، والرغيب أيضاً الواسع الجوف، وأكثر ما يستعمل في ذم كثرة الأكل والحرص عليه.

٢٧- (أشأم كل امرئ بين فكّيه) [٦]:

ويروى لحييه، وهما واحد، وأشأم: بمعنى الشؤم، كقوله: فتنتج لكم غلمان أشأم.. أي

---

(١) المستقصى رقم المثل ٩٧.
(٢) المستقصى رقم المثل ٦٧٨.
(٣) المستقصى رقم المثل ٦٩٢.
(٤) المستقصى رقم المثل ٦٩٣.
(٥) مجمع الأمثال ١/٣٠٤.
(٦) مجمع الأمثال للميداني ج١/ ٣٥٠.

غلمان شؤم، يراد أن شؤم كل إنسان في لسانه، وهذا كما رُوي عن النبى ﷺ أنه قال: «أيمن امرئ وأشأمه بين لحييه»، وكما قيل: مقتل الرجل بين فكيه، قال أبو الهيثم : للعرب أشياء جاؤوا بها على أفعل وهى كالأسامى عندهم في معنى فاعل أو فعيل أو فعل، كقولهم: أشأم كل امرئ بين لحييه بمعنى شؤم.

٢٨- (أشأم من شَوْلة الناصحة) (١):

يقال إنها كانت أمة لعدوان رعناء، وكانت تنصح مواليها فتعود نصيحتها وبالاً عليهم لحمقها.

٢٩- (صبحناهم فغدوا شأمة) (٢):

أى أوقعنا بهم صبحاً فأخذوا الشق الأشأم أي صاروا أصحاب شأمة وهى ضد اليمنة.

٣٠- قال الكسعى (٣) **يندب حظه :**

يا أسفى للشؤم والجد النكد	أخلف ما أرجو لأهل وولد
فيها ولم يغن الحذار والجلد	فخاب ظن الأهل فيه والولد (٤)

٣١- (من شؤمها رغاؤها) (٥):

يضرب عند الأمر يعسر ويكثر الاختلاف فيه.

٣٢- (لاقيت أخيلا) (٦):

قال ابن الأعرابي: الأخيل: الشقراق، ويتطيرون منه للطمة، ويسمّونه مقطع الظهور، يقال: إذا وقع على بعير وإن كان سالماً يئسوا منه، وإذا لقي المسافر الأخيل

---

(١) مجمع الأمثال ٢٦٣/١.

(٢) مجمع الأمثال ٢٧٢/١.

(٣) الكسعى: رجل من كسعة اسمه محارب بن قيس .

(٤) المستقصى ج١/ ٣٨٨.

(٥) مجمع الأمثال ١٨٥/٢ .

(٦) جمهرة الأمثال ٨٦/٢.

تطير وأيقن بالعقر، وإن لم يكن موت في الظهر، قال الفرزدق :

إذا قَطَنَا بلّغتنيه ابنَ مُدْركٍ فلاقيْتِ مِنْ طيرِ العراقيبِ أخْيَلا

وكل طائر تتطير منه العرب فهو طير العراقيب، وهذه لفظة يتكلم بها عند الدعاء على المسافر.

قلب المعنى للتفاؤل :

٣٣- رأيته بأخى الخير (١):

أي بشر. و (رأيته بأخى الشر) أي بخير!

٣٤- (خير ليلة بالأبد ليلة بين الزبانا والأسد) (٢):

هذه الليلة تراها العرب من ليالى السعود، وذلك عند طلوع الشرطين وسقوط الغفر.

ومن أمثالهم فى العدوى

٣٥- الوقس يعدى فَتَوَقَّ :

الوقس: هو أول الجرب: يضرب فى النهى عن صاحب السوء، قال:

الوقْسُ يُعْدِي فتوقَّ الوقْسا من يذق الوقس يلاقِ تعسـا (٣)

٣٦- أعدى من الثُّؤَبَاء - من العدوى -

تبع شظاظ اللص رجلاً فتثاءب، فتثاءبت ناقته، فتثاءب الرجل وقال:

أعديتنى فمن ترى أعداك لا حل من عفا ولا عـــداك

فالتفت فرأى شظاظاً في طلبه فأفلت (٤).

٣٧- (أعدى من الجرب):

يقال: إن الريح تجرى من الجربى على الصحاح فتعديها (٥).

---

(١) المستقصى ٩١/٢ رقم المثل ٣٢٢.

(٢) المستقصى ٢/ ٧٨ رقم المثل ٢٨٤.

(٣) المستقصى ٣٥٥/١، ٣٥٦ رقم المثل ١٥٣٣.

(٤) المستقصى رقم المثل ١٠٠٨، مجمع الأمثال ٣٣١/١، جمهرة الأمثال ٩٠/٢.

(٥) المستقصى رقم المثل ١٠٠٩، مجمع الأمثال ٣٣١/١، جمهرة الأمثال ٩٠/٢.

٣٨- (أعديتنى فمن أعداك).

أصل هذا أنّ لصاً تبع رجلاً معه مال وهو على ناقة له، فتثاءب اللص، فتثاءبت الناقة، فتثاءب راكبها، ثم قال للناقة: أعديتنى فمن أعداك ؟! وأحس باللص فحذره وركض ناقته يضرب فى عدوى الشر، والعرب تقول: (أعدى من الثؤباء) - من العدوى [1].

* * *

(١) مجمع الأمثال ٣٠٩/١.



الباب الثاني

حقيقة الطيرة وأدلة فسادها

الفصل الأول : الطيرة وكونها غريزة مكتسبة

الفصل الثاني: فساد الطيرة وبطلانها من خلال عالم الطيور

الفصل الثالث: فساد الطيرة وبطلانها من خلال الشواهد المختلفة



الفصل الأول

الطيرة وكونها غريزة مكتسبة

بحثنا عن أصل الطيرة ونشأتها في أشعار الجاهلية وأمثالها وأقاصيصها لأن الطيرة من بدع الجاهلية وضلالاتها، وعلمنا أن المتطيّر هو الإنسان، لذا فلابد لنا من الرجوع إلى الآيات الكريمة التي تتحدث عن جنس ذلك الإنسان ليقودنا ذلك إلى معرفة المزيد عن الطيرة ..

قال الله تعالى في سورة العصر : **﴿ والعصر * إنّ الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصَوْا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾** .

فى هذه السورة العظيمة قسّم الله تعالى الجنس الإنساني إلى فئتين لا ثالث لهما، الأولى خاسرة هالكة لا محالة ـ والعياذ بالله ـ، والثانية المستثناة من الجنس الإنساني كله ناجية بإذن الله تعالى .

ومن هذا المنطلق الذى يحدد لنا مصير بني الإنسان، فإما نجاة وإما هلاكاً سنبحث عن أصحاب الطيرة، وفي أي الفريقين هم ؟ لنكون على بيّنة من أمرنا في جميع ما نأتي وما نَدَع .

فلنتدبر مثلاً قول الله تعالى : **﴿ ويدْعُ الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً ﴾** [الإسراء : ١١] وقول الله تعالى : **﴿ خُلق الإنسانُ من عَجَل سأُوْريكُم آياتى فلا تستعجلون ﴾** [الأنبياء : ٣٧] .

فالإنسان في هذه الآيات الكريمة يستعجل حدوث ما يشتهي ويريد، ولا يتحلى بالصبر .... وقد يكون فيما يريده الشر والمصائب من حيث لا يعلم، فهو يحتاج دائماً إلى مَنْ يأخذ بيده ويهديه إلى الصراط المستقيم، ولن يكون له ذلك إلا إذا استمدّ العون والهداية والتوفيق من الله عز وجل وحده، ورجع إلى شرعه فطبقه

كما يريده الله تعالى لا كما تأمره به نفسه. ولقد تحدثت سورة المعارج بشيء من التفصيل المعجز عن الإنسان وصفاته التى تقوده إما إلى الخير والنجاة أو إلى الشر والهلاك، فقال الله تعالى: ﴿ **إنَّ الإنسان خُلِقَ هَلُوعًا * إذا مسه الشر جزوعًا * وإذا مسه الخير منوعًا * إلا المصلّين * الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين فى أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم * والذين يُصَدّقون بيوم الدين * والذين هم من عذاب ربهم مشفقون * إن عذاب ربهم غير مأمون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون * والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلاتهم يحافظون * أولئك فى جنات مكرمون** ﴾ [المعارج: ١٩-٣٥]

فهذه الآيات الكريمة من سورة المعارج تلقى سراً كاشفاً على سرِّ الطيرة وماهيتها وأنها من طبيعة جنس الإنسان وجبلّته، فالجنس الإنساني كله مجبول على الخوف والجبن، وتوقع الشر والأذى، إلا أنه سبحانه وتعالى قد استثنى من هذا الجنس الإنساني فئة لها أوصاف معينة عظيمة ترضي الله عز وجل، فيكرم أصحابها بالخلود في جنات النعيم؛ تلك الفئة المستثناة هى الفئة المؤمنة بالله واليوم الآخر، الملتزمة بشرعه، والمحافظة على عهده، والمصدّقة بوعده، تقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، ولا تخشى إلا الله، ولا تشفق إلا من عذابه، ولا ترهب إلا يوم لقائه .

وبالتأمل الدقيق فى آيات سورة المعارج يتضح لنا أن الطيرة غريزة [١] أودعها الله تعالى نفس الإنسان البشرية ضمن ما أودعه من الغرائز والشهوات الكثيرة، بحيث يتحكم فيها صاحبها وفق ما يشاء، فالنفوس العامرة بالتقوى الغنية بالإيمان لامكان فيها لطيرة أو أوهام، إنما تتسرب الطيرة والأوهام إلى النفوس الضعيفة، وذلك بتسرب الإيمان منها، حتى إذا هيمن الظلام على تلك النفوس وحل الشك فيها محل

(١) الغريزة: هي الطبيعة والقريحة، والغرائز منها ما هو طبيعي ومنها ما هو مكتسب. مختار الصحاح، مادة غرز، ص٤٧٢.

اليقين تخبطت فى أمرها، وضلّت في سعيها، وصارت تبعًا للشيطان، عدوة للرحمن، لضلالها تتشاءم مما هو خير أو سبيل للخير، ولشقائها تطمئن لما يوردها موارد الخسران والهلاك، ولا تتعلق إلا بأوهام ما أنزل الله بها من سلطان .

ويشهد لقولنا هذا – بأن الطيرة غريزة في نفس كل إنسان ـ الحديث الصحيح : «ثلاث لا يسلم أحدٌ منهن : الطيرة والحسد والظن » . قيل: فما نصنع ؟ قال : « إذا تطيرتَ فامضِ، وإذا حسَدتَ فلا تَبْغِ، وإذا ظننت فلا تُحَقِّق» [١] .

ومنه ما روى عن ابن مسعود – رضى الله عنه – مرفوعًا : الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل. رواه أبو داود[٢] .

قال ابن الأثير ـ رحمه الله ـ: هكذا جاء فى الحديث مقطوعًا ولم يذكر المستثنى، أى: وقد يعتريه التطير وتسبق إلى قلبه الكراهةَ، فحذف اختصارًا واعتمادًا على فهم السامع.

قال: وقيل إنَّ قوله « وما منا إلا » من قول ابن مسعود؛ أدرجه فى الحديث [٣] .

ومنه ما أخرجه مسلم – رحمه الله – عن معاوية بن الحَكَم السُّلمى – رضى الله عنه ـ قال : قلت : يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله تعالى بالإسلام، وإنّ مِنّا رجالاً يأتون الكهّان؟ قال : « فلا تأتهم» قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال : « ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم » الحديث [٤] .

قال ابن القيم – رحمه الله – في المراد بقوله « ذلك شيء يجدونه فى صدورهم فلا يصدهم » : (أخبر الرسول ﷺ أنّ تأذي الإنسان وتشاؤمه بالتطير إنما هو فى نفسه وعقيدته، لا فى المتطير به ... فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذى يطيره ويصده لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ لأمته الأمر وبيّن لهم فساد الطيرة.) ا.هـ [٥] .

---

(١) انظر النهاية : جـ١٥٢/٣، وأخرجه بنحوه فى مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى ١٣٦/١ حرف الثاء.

(٢) سيأتى ذكره مخرجًا فى الفصل الثالث من الباب الثالث من هذا البحث ص ٢٤٢ .

(٣) النهاية جـ ١٥٢/٣ .

(٤) رياض الصالحين ص ٥٣٢، ٥٣٣، رقم الحديث ١٦٧٠.

(٥) مفتاح دار السعادة : جـ٢٣٤/٢.

نخلص مما سبق أن الطيرة شرك [١]، وأنها غريزة من الغرائز الإنسانية .

ولكن لما كان الناس مفطورين [٢] على التوحيد الذى هو ضد الشرك، وذلك بدليل قوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفًا فِطْرَتَ الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [الروم : ٣٠] ـ : فالطيرة إذن من الغرائز المكتسبة المقابلة للغرائز الفطرية المتأصلة فى النفس الإنسانية، بدليل الحديث الصحيح الذى أخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما، ومالك فى الموطأ والترمذى وأبو داود عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مولودٍ إلا يُولد على الفطرة» ، ثم يقول : اقرؤوا: ﴿ **فِطْرَتَ الله التى فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾ ـ كذا عند مسلم.

وزاد البخارى : « فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها مِنْ جَدْعَاء» ، ثم يقول أبو هريرة: ﴿ **فِطْرَتَ الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم** ﴾. وهو عند مسلم أيضاً من رواية أخرى.

وفى رواية لهما قال : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، كما تنتجون الإبل، فهل تجدون فيها جَدْعاء، حتى تكونوا أنتم تجدعونها» . قالوا : يا رسول الله، أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال:« الله أعلم بما كانوا عاملين » .

وفى أخرى لمسلم: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويشركانه » . فقال رجل: يا رسول الله، أرأيت لو مات قبل ذلك؟ قال: « الله أعلم بما كانوا عاملين» . وفى أخرى : « ما من مولود يولد إلا وهو على المِلّة» ، زاد في أخرى: «على الملة، حتى يبين عنه لسانه» [٣].

(١) فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو داود عن ابن مسعود فى الصفحة ٢٦١ من هذه الرسالة .

(٢) الفطرة لغةً: الخلْقة، والمراد بها فى أشهر الأقوال : الإسلام . قال ابن عبد البر: وهو المعروف عند عامة السلف، وأجمع أهل العلم بالتأويل على أن المراد بقوله تعالى :« فطرة الله التى فطر الناس عليها » الإسلام. (انظر حاشية جامع الأصول ٢٦٧/٧).

(٣) جامع الأصول : ٢٦٨/٧.

الفصل الثاني

فساد الطيرة وبطلانها من خلال عالم الطيور

عرفنا مما سبق أن الطيرة غريزة من الغرائز البشرية التى يتحكم فيها صاحبها، فكلما قوى إيمانه بالله تعالى وصدق اعتماده عليه تخلص منها، و العكس بالعكس، وهذا فى حد ذاته دليل على فساد الطيرة وبطلانها .

وعرفنا أنّ أصل التطير من الطير إذا مر بارحاً أو سانحاً أو رآه يتفلى أو ينتف، ثم تَعَدّوه إلى غير الطير من الحيوان، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث فى الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك ... وعرفنا أنّ أكثر ما عوّلوا عليه من ذلك الغراب، فإذا ثبتت براءة الغراب مما نسب إليه من جلْب للشؤْم فقد ثبت بشكل مبدئي فساد الطيرة وبطلانها من أساسها، وبالتالى يثبت جهل الجاهلين وبعدهم عن الحقيقة والواقع فى كل تصوراتهم وادعاءاتهم عن الطيرة بجميع أشكالها وألوانها .

وليس لدينا مرجع نعتمد عليه أصح وأصدق من القرآن الكريم، فقد جاء ذكر الغراب في القرآن الكريم فى سياق قصة آدم عليه السلام حيث قتل أحدهما الآخر ظلماً وعدواناً.... قال الله تعالي : ﴿ **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قَرَّبا قربانًا فَتُقُبِّلَ من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إليّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يديَ إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إني أريد أنْ تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أ صحاب النار وذلك جزاء الظالمين * فطوّعتْ له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين * فبعث الله غرابًا يبحث فى الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلَتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواريَ سوءة أخي فأصبح من النادمين** ﴾. [المائدة:٢٧-٣١] .

والغراب هنا ليس له يد من قريب أو بعيد فيما حصل لولديْ آدم عليه السلام من القتال أو القتل! إذ أنه لم يبرز على مسرح الأحداث إلا بعد إسدال الستار وانتهاء

كل شيء... ووقوف الأخ القاتل عاجزاً نادماً لا يعرف كيف يصنع بجثة أخيه، ولا يهتدي سبيلاً... فبعث الله له الغراب ليريه كيف يواري سوءة أخيه، فكان الغراب أهدى سبيلا من ذلك الإنسان ... وكانت القصة القرآنية دليلاً وتقريراً على براءة الغراب مما يُنسب له من الشؤم والتشاؤم ... ومع ذلك فالقصة لا تخلو من الحِكَم العجيبة المدهشة .. ومنها حكمة إرسال الغراب من دون سائر الطير والحيوان لابن آدم!

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله– : وتأمل الحكمة فى إرسال الله تعالى لابن آدم الغراب المؤذن اسمه بغربة القاتل من أخيه، وغربته هو من رحمة الله تعالى، وغربته من أبيه وأهله واستيحاشه منهم، واستيحاشهم منه، وهو من الطيور التى تنفر منها الإنس، ومن نعيقها، وتستوحش بها، فأرسل إليه مثل هذا الطائر حتى صار كالمعلّم له والأستاذ، وصار بمنزلة المتعلم والمستند...-

قال: لا ننكر حكمة هذا الباب وارتباط المسميات بأسمائها، فقد قال ﷺ: « إذا بعثتم بريداً فابعثوه حسن الاسم، حسن الوجه» وكان يسأل عن اسم الأرض إذا نزلها، واسم الرسول إذا جاء إليه، ولما جاءهم سُهيل بن عمرو يوم الحديبية قال : «قد سهل أمركم» ، ولما أراد تغيير اسم حزّن بسَهْل : قال : لم يزل معنى اسمه فيه وفي ذريته، ولما سأل عمر بن الخطاب الرجل عن اسمه واسم أبيه وداره ومنزله فأخبره أنه جمرة بن شهاب، وأن داره بالحرقة، وأن مسكنه منها ذات لظى، قال له: أدرك بيتك فقد احترق، فكان كما قال، وشواهد هذا الباب أكثر من أنْ نذكرها هنا . وهذا باب لطيف المنزع شديد المناسبة بين الأسماء والمسميات، وكثيراً ما أولع الناس قديماً وحديثاً بنعيق الغراب واستدلالهم به على البين والاغتراب، وينسبونه إلى الشؤم، وينفرون منه وينفر منهم، فكان جديراً أنْ يُرسل هذا الطائر إلى القاتل من ابنى آدم دون غيره من الطيور، فكأنه صورة طائره الذى ألزمه فى عنقه، وطار عنه من عمله، ولا نظن أنّ إرسال الغراب وقع اتفاقاً خالياً من الحكمة، فإنك إذا خفى عليك وجه الحكمة فلا تنكرها، واعلم أنّ خفاءها من لطفها وشرفها، ولله تعالى فما يخفى

وجه الحكمة فيه على البشر الحكم الباهرة المتضمنة للغايات المحمودة [1]» اهـ.

قلت: أما مناسبة ارتباط الأسماء بمسمياتها فنحن أيضاً لا ننكرها، ومنها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ: الشيطان الرجيم ـ أعاذنا الله تعالى منه ـ فإنه لما استنكف عن أمر ربه وتكبر ورفض السجود لآدم كما أمره الله تعالى مع باقي الملائكة... ﴿ **فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ [البقرة :٣٤] فطرده سبحانه وتعالى من رحمته، ولقّبه بعدة ألقاب كلها صارت له كالاسم، وعليه كالمَعْلَم، ولمعصيته كالدلالة ...وأشهرها : « إبليس » و« الغرور» و« الشيطان »، ووصفه سبحانه وتعالى بأنه الرجيم مع أن اسمه كان عزازيل[2] ـ والله أعلم ـ؛ (فإبليس) مِنْ أبلس من رحمة الله، أي يئس منها، و(الإبلاس) أيضاً الانكسار والحزن، يقال أبلس فلان إذا سكت غماً. وأما (الشيطان) فهو كل عات متمرد من الإنس والجن والدواب [3]، (والغرور) الشيطان، ومنه قوله تعالى: ﴿ **ولا يغرنكم بالله الغرور** ﴾ [لقمان :٣٣] و[فاطر : ٥].

كما أنّ عبد المطلب جد النبي ﷺ لما بشروه أنّ (آمنة) ولدت غلاماً سماه (محمداً) فلما سُئل عن ذلك قال: أردت أن يكون محموداً في الأرض وفي السماء.

فنحن نسلّم بأن اختيار الغراب في هذا الموضع بالذات لم يقع اتفاقاً خالياً من الحكمة، ولم يأت مصادفة؛ بل إنّ الله عز وجل جعل الحرف من القرآن الكريم والكلمة والجملة والفصلة وكل ما في الذكر: حكمة... حتى أن الله سبحانه وتعالى وصفه بالحكمة؛ فقال عز وجل : ﴿ **ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم** ﴾ [آل عمران :٥٨]، فقصة ابنيْ آدم عليه السلام كلها غريبة، وأحداثها غريبة، ونهايتها أغرب، إلا إنّ الحكمة– على ما يبدو لي ـ يمكن استنتاج شيء منها بقليل من التفكير، ذلك أن القرآن الكريم نزل ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن أشد

---

(١) مفتاح دار السعادة : جـ١ / ٢٣٩ ، ٢٤٠.

(٢) مختار الصحاح . مادة (بلس) ص ٦٣.

(٣) مختار الصحاح . مادة شطن ص ٣٣٨.

الظلمات التى كانت تهيمن على عقول الجاهليين اعتقاداتهم الباطلة، ومنها التطير، وخاصةً التطير بالغراب، وقد عرفنا أنه المقدّم في باب الشؤم عندهم! حتى أنه ما في الأرض من شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أكثر شؤماً منه! وحتى كثرت حوله الأقاصيص، وشاع اسمه ووصفه في الأشعار، بل وظل الناس يتشاءمون به إلى عصرنا الحاضر! فجاءت هذه القصة القرآنية العظيمة شاهداً لا يقبل الشك على براءة الغراب مما نسب إليه من الشؤم، إذ أنّ الشؤم في هذه القصة أتى من النفس الظالمة، وذلك بنص القرآن الكريم .

ألا تتأمل معى قول الله تعالى وهو يتحدث عن الأخ الظالم القاسى فيقول فيه: ﴿ **فَطَوَّعَتْ له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين** ﴾ [المائدة :٣٠]، ألا ترى أنه موافق لقول رسل الله عز وجل الذي صححوا به عقيدة أهل القرية الذين ظنوا أن رسل الله عز وجل سبب الشؤم والمصائب فرد عليهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بقولهم : ﴿ **...طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ [يس : ١٩]، وموافق لقوله تعالى : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾ [الإسراء :١٣]، وموافق لقوله تعالى في منشأ الحسنات والسيئات ـ وقد تطير أعداء الله سبحانه وتعالى بمحمد ﷺ ودينه ـ وظنوا أن المصائب إنما تصيبهم بسبب ذلك فأمره الله سبحانه وتعالى أنْ يوضح لهم حقيقة الأمر بقوله : ﴿ **قل كلٌ من عند الله** ﴾ [النساء:٧٨].

وعلى هذا فسبب المصائب والكوارث لا يرجع لأي كائن أو مخلوق، وإنما هو مقدّر من الله سبحانه وتعالى على عباده لحكم عظيمة لا يعلمها إلا هو، ومن هذه الحكم الجليلة معاقبة الظالم فى الدنيا والآخرة، ومنها الابتلاء بالشر كما يبتلى بالخير، ومنها تخويف العباد في الحياة الدنيا ليتوبوا ويرجعوا إلى الطريق المستقيم كما قال تعالى : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾ [السجدة : ٢١]، وغير ذلك، كما أنّ الغراب لم يذهب للقاتل من تلقاء نفسه، بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذى بعثه أو أرسله : ﴿ **فبعث الله غرابًا يبحث**

في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه ﴾ مما ينفي عن الغراب معرفته الغيب كما يظن بعض الجهلة ويتوجسون منه ومن صوته و من مرآه، بل ويقول له بعضهم: « خير يا طير »!!.. فمن أين يعرف الغراب خير أو شر وهو مخلوق عاجز مسخّر بأمر الله؟!

وكما أن الغراب كان بمثابة المرشد والمعلم والمنقذ لابن آدم من مأزق حرج وضع فيه نفسه وكشف عن جهله وقلة حيلته وسوء تصرفه؛ فهو لم يعرف ماذا يصنع بجثة أخيه، بل ظلت عبئاً عليه حتى أرسل الله سبحانه وتعالى ذلك الغراب يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوءة أخيه، وعندها أقرّ القاتل بعجزه وجهله، فقال ﴿ ... يا ويلَتى أعجزت أنْ أكون مثل هذا الغراب فأواريَ سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ [المائدة : ٣١]، فكان في وجود الغراب راحة للقاتل وللمقتول، راحة للقاتل حيث عرف كيف يتخلص من جثة أخيه، وراحة للمقتول لأن في دفنه راحة وستراً له... وقد ظل الدفن للأموات سنة متبعة إلى يومنا هذا، وفي صحيح الجامع الصغير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أسرعوا بالجنازة، فإن تكُ صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم »[١].

وكما ظهر بالبرهان أن التشاؤم بالغراب لاوَجْه له؛ حيث أن الغراب لا يعلم الغيب، ولا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً: كذلك لا وجه للتشاؤم بغيره.

وقد تشاءم بعض الناس بطيور وحيوانات وظواهر كثيرة.

ومن ذلك مثلاً مما جاء ذكره في القرآن الكريم: الجراد! فقد تشاءم بعض الناس بالجراد لأن فيه معنى الجرد[٢] ولأنه ذو ألوان[٣].

وقد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز أنه أرسل الجراد على فرعون وقومه ضمن ما أرسل من الآيات: لإنذارهم من جهة، ولبيان قدرته عليهم من جهة ثانية،

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٣٢٥/١ رقم ٩٧٥.

(٢) حياة الحيوان الكبرى : جـ١ /١٨٦.

(٣) كتاب الحيوان : ٣ /١٣٦.

وعقوبة لهم على إعراضهم عن الحق من جهة ثالثة، قال الله تعالى : ﴿ **فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قومًا مجرمين**﴾ [الأعراف: ١٣٣] كما شبه الله تعالى خروج الناس من قبورهم وبعثهم للحساب والجزاء بالجراد المنتشر، قال عز وجل : ﴿ ... **يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر** ﴾ [القمر :٧]، قال في حياة الحيوان : « أى فى كل مكان، وقيل وجه التشبيه : أنهم حيارى فزعون لا يهْتَدون، ولا جهة لأحدٍ منها يقصدها، والجراد لا جهة له، فيكون أبدًا بعضه على بعض »[1].

وقد ذكر ابن كثير ـ رحمه الله ـ أن ابن أبى حاتم روى عن أبى هريرة رضى الله عنه ـ بسنده، مرفوعًا ـ قال: لما عافى الله أيوب أمطر عليه جرادًا من ذهب، فجعل يأخذ منه بيده ويجعله فى ثوبه.. قال : فقيل له: يا أيوب، أما تشبع ؟ قال: يا رب ومن يشبع من رحمتك؟ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: أصله فى الصحيحين[2]. ا.هـ.

قلت : فالآيتان الكريمتان والخبر الوارد عن رسول الله ﷺ ليس في أى منهم ما يشير إلى الجراد فى جلب خيرٍ، أو دفع ضرٍ، أو علم غيب، فهو مخلوق مسخر بأمر الله سبحانه وتعالى، أرسله ليعذب به الطغاة من آل فرعون، ولم يرسله عليهم إلا بعد ما تمادوا فى طغيانهم وقالوا لموسى عليه السلام: ﴿ ...**مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين** ﴾ [الأعراف :١٣٢]، كما أرسله الله سبحانه وتعالى فضلاً ورحمة منه لعبده أيوب عليه السلام، وبالإضافة إلى ذلك فقد أشار الله إلى حيرة الجراد وتخبطه فى أمره عندما شبه حال الناس لدى خروجهم من القبور بالجراد...وهذا التشبيه من شأنه أن ينفى عن الجراد معرفته بعلم الغيب بطريق غير مباشر !

---

(١) حياة الحيوان الكبرى : جـ١ / ١٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير : جـ٣ /١٨٩.

وعلى هذا فلا أصل ولا حقيقة لما ينسبه بعض الناس إلى الغراب أو إلى الجراد من شؤم أو تطير.

ولما كان الغراب هو المقدم في باب الشؤم عند من يتطير: فنفي الشؤم عن غيره يكون من باب أولى .

هذا وإنّ جميع الطيور مربوبة مسخرة بأمر الله تعالى لا تعلم الغيب ولا تقدر على جلبِ خير أو دفع ضر من غير الله تعالى ـ كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى ـ.

وبهذا يكون قد ثبت فساد الطيرة وبطلانها من خلال دراسة عالم الطيور المخلوقة فى هذا الكون المربوب لله رب العالمين .

* * *

الفصل الثالث

فساد الطيرة وبطلانها من خلال الشواهد المختلفة

مما سبق تحققنا أنّ الطيرة غريزة مكتسبة وعرفنا أنها تتسرب إلى النفوس التي يضعف إيمانها بالله عز وجل، وهذا دليل وشاهد على فسادها، كما تحققنا من خلال دراستنا لعالم الطيور على ضوء القرآن الكريم بأن الطيور مخلوقات مربوبة مسخرة عاجزة عن جلب خير أو دفع شر، وهى بالتالى لا يمكن أنْ تتسبب في جلْب شؤم لأحد من الناس.

وهناك شواهد عديدة سنتعرض لها فيما يلي – إن شاء الله تعالى – وهذه الشواهد تنص على بيان فساد الطيرة وذمها وذم من يشغل بها نفسه، وهذه الشواهد من القرآن الكريم، ومن السنة الشريفة، ومن إجماع المسلمين .

فالقرآن الكريم يبين أنّ الأقدار كلها من خير أو شر أو بقاء أو فناء أو نحو ذلك إنما هى بيد الله تعالى وحده يتصرف فيها كيف يشاء وقت يشاء، كما أن علم الغيب من اختصاص الله تعالى وحده، وكذلك فقد مدح الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المتوكلين على الله، وذم المتطيرين، وبين فساد عقيدتهم، كما بين الرسول الكريم ﷺ بسنته القولية والفعلية أنّ الطيرة باطلة، ونهى عنها، وأرشد أمته إلى ما ينبغي أن يكون عليه المسلم الذى يرجو رحمة ربه عز وجل، وبيّن ﷺ ثواب الذين يتوكلون على الله ولا يتطيرون، كما أنّ الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم كانوا مجمعين على عدم التطير وتحريمه.

وأما الذين آثروا التجربة وتحكيم عقولهم فقد وجدوا هم أيضاً أنّ الطيرة على مَنْ تطير، وأنّ السوانح و البوارح من الطيور وغيرها لا تعلم الغيب ولا تجلب الخير ولا تدفع الشر، وأنّ قضاء الله وقدره نافذ لا محالة .

وفيما يلي سأتعرض لهذه الأدلة بالتفصيل راجية أنْ ينفعنا الله سبحانه وتعالى بها

وينفع المسلمين، فلا نعتمد إلا على الله وحده، ونرضى ونُسلّم بقضائه وقدره فينا؛ راجين منه سبحانه وتعالى أنْ لا يزغ قلوبنا بعد أنْ هدانا، وأنْ يثَبت قلوبنا على الإيمان به إنه سميع مجيب .

أولاً : القرآن الكريم وحقيقة الطيرة:

١ - النافع الضار هو الله تعالى وحده :

يُبيّنُ القرآن الكريم بأن الطيرة لا أصل لها، فلا يمكن لأحد غير الله تعالى أنْ يجلب لك النفع أو يدفع عنك الضرر؛ كما قال تعالى: ﴿ **وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يُردْك بخير فلا رادَّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفورالرحيم** ﴾ [يونس :١٠٧]، فبيّن الله سبحانه وتعالى أنّ الخير والشر مُقدّران على الإنسان من الله تعالى وحده، ولا رادّ إلا بمشيئته تعالى، والنصوص الشرعية التي تتناول هذا المعنى كثيرة .

كما بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ سيدنا محمداً ﷺ وهو أكرم خلق الله على الله لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً؛ فكيف بغيره؟ قال تعالى: ﴿ **قل لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء الله** ﴾[يونس :٤٩] كما قال الله تعالى: ﴿ **قل إني لا أملك لكم ضرًا ولا رشدًا** ﴾[الجن :٢١]، وكذلك فقد ذم الله تعالى الذين يلجأون إلى غيره بالدعاء والتوسل لجلب الخير أو دفع الضر، حيث أنهم عاجزون عن ذلك؛ فقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً** ﴾ [الإسراء:٥٦] .

٢ - علم الغيب من اختصاص الله تعالى وحده :

وأما علم الغيب فلا يعلمه إلا الله تعالى وحده كما هو منصوص على ذلك فى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، فإنْ كان المتطير يعتمد فى تطيره على أوهام يظنّ أنّها تدله على طرق الخير والشر فهو مخطيء واهم، ظالم لنفسه، حيث أنه يظن أنّ غير الله تعالى يمكنه أنْ يخبره بما سيحدث له فى الحال أو الاستقبال من خير أو شر. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز أنّ علم الغيب من اختصاصه

وحده، وأنه عالم الغيب والشهادة، وعلام الغيوب، وأنه لا تغيب عنه غائبة لا فى السموات ولا في الأرض، ولا يَعزُبُ عنه مثقال ذرة فى السموات ولا في الأرض، وعنده مفاتح الغيب. وقد ورد لفظ الغيب وما يشتق منه فى القرآن الكريم سبعاً وخمسين مرة [1].

كما نفى الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم أنْ يكون لأحد غيره علم بالغيب إلا بإذنه ومشيئته؛ كما قال تعالى: ﴿ **عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا** ﴾[الجن : ٢٦ -٢٧]، وقال الله تعالى : ﴿ **قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلا اللهُ** ﴾ [النمل:٦٥]، فنفى بذلك علم الغيب عن الملائكة وغيرهم من الخلق في السموات والأرض، كما نفى علم الغيب عن الجنّ، فقال عز وجل: ﴿ **فلما خرّ تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين** ﴾ [سبأ :١٤]، ونفى رسول الله ﷺ علم الغيب عن نفسه فيما بلغه من وحي ربه عز وجل، حيث قال الله تعالى: ﴿ **قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ [الأنعام :٥٠]، وقال تعالى: ﴿ **ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب** ﴾ [هود :٣١]، وقال تعالى: ﴿ **ولو كنتُ أعلم الغيب لاستكثرت من الخير** ﴾ [الأعراف:١٨٨]، وبيّنَ الله سبحانه وتعالى أنّ الغيب من العلوم التي حجبها الله عن خلقه لحكم عظيمة، وفوائد جليلة؛ فقال تعالى : ﴿ **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** ﴾ [آل عمران : ١٧٩]، ثم بيّنَ سبحانه وتعالى أنّ مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو؛ فقال عز وجل : ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر؛ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبةٍ فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ [الأنعام : ٥٩].

فإنْ كان التطير مبنياً على رؤية شيء أو سماعه، أو تنجيم أو كهانة، أو زجر للطير أو عيافة: فقد أبطله القرآن الكريم بما قرره من أنّ علم الغيب من اختصاص

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٠٧.

الله تعالى وحده لا يُطْلِعُ عليه أحداً من خلقه إلا من يشاء من الرسل، وذلك لحكم عظيمة وفوائد جمّة، فالعاقل هو الذى يفوّض أمره إلى الله تعالى وحده، ولا يعتمد إلا عليه سبحانه وتعالى، ويترك الظنّ والطيرة والأوهام حيث أنه لم ينزل بشأنها من سلطان.

٣ - المصائب مقدّرة على الإنسان من الله تعالى منذ الأزل:

قرر القرآن الكريم أنّ المصائب مقدرة على الإنسان منذ الأزل، وأنّ هذه المصائب مقدرة لحكمة عظيمة، من ضمن هذه الحكمة أنْ يعلم الإنسان أنّ هذه المصيبة مقدرة عليه بقضاء الله تعالى وقدره، فيصبر ويحتسب ما أصابه عند الله تعالى فينال بذلك الأجر العظيم في الدنيا والآخرة .

قال الله تعالى فى سورة الحديد : **﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور﴾**[الحديد :٢٢-٢٣] وقال الله تعالى فى سورة التغابن: **﴿ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يَهْدِ قلبه والله بكل شيء عليم ﴾** [التغابن :١١] ، وقال الله تعالى فى سورة التوبة : **﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾** [التوبة :٥١].

فَبَيّنت الآيات الكريمة وأضرابها الكثيرة في القرآن الكريم أنّ المصائب مقدرة على الإنسان قبل أنْ يُخلَقَ، ولا يمكنه الفرار منها إلا بإذن الله تعالى .

٤ - لا يمكن الفرار من قضاء الله إلا إلى الله :

بيّن الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أنه لا يمكن الفرار من قضاء الله تعالى وقدره إلا إليه، فلا معنى إذاً للطيرة والحال كذلك، ولا يجب أنْ يكون لها مقام فى حياة أحد، لأن الإنسان لا يمكنه الفرار من الله تعالى ولا من قضائه إلا إلى الله تعالى وحده، ولهذا قال الجنّ عندما تبيّن لهم الحق: **﴿ وأنّا ظننا أن لن نعجز الله في**

الأرض ولن نعجزه هربًا ﴾ [الجن : ١٢]، وقال تعالى منددًا بالمنافقين ـ الذين نكلوا عن الجهاد في سبيل الله وكرهوه – وموبخًا لهم ومقررًا أنّ المصائب المقدرة عليهم تصيبهم أينما كانوا ولنْ يستطيعوا الفرار منها: **﴿ أينما تكونوا يدرككُم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾** [النساء : ٧٨] وقال سبحانه وتعالى ردًا على المنافقين الذين ظنوا أنهم قُتلوا بسبب خروجهم مع النبي ﷺ في معركة أُحُد فقالوا: **﴿ لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ها هنا ﴾**، فرد الله عز وجل عليهم بقوله : **﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتِبَ عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾** [آل عمران :١٥٤]، وقال الله تعالى في سورة البروج: **﴿ بل الذين كفروا في تكذيب * والله من ورائهم محيط ﴾** [البروج :١٩-٢٠] أي لا عاصم لهم منه، وقال الله تعالى في سورة القيامة : **﴿ يقول الإنسان يومئذ أين المفر * كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر﴾** [القيامة : ١٠-١٢].

فلا ملجأ ولا منجا من عذاب الله إلا إلى الله تعالى وحده، ولا يمكن الفرار من قضائه لا في الدنيا ولا في الآخرة، كما جاء في الحديث الصحيح من أذكار النوم أن الرسول ﷺ قال للبراء بن عازب رضي الله عنه: « إذا أتيْتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل : اللهمَّ أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضْتُ أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت. فإنْ مت من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهنّ آخر ما تتكلم به [1] ».

لذا لابد من الاعتماد على الله تعالى وحده، وتفويض الأمر إليه، والرضا بقضائه وقدره، واتباع شرعه، والوقوف عندحدوده، والمداومة على ذكره، وطلب ما عنده. وقد أخرج أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – عن

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١ /١٣٦ رقم ٢٧٣ – ١٠٣ ، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٣ /٢٩٧ رقم ١٧٣٤.

رسول الله ﷺ قال: «لن ينفع حَذَر من قدر، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم بالدعاء عبادَ الله» [1]، وأخرج ابن ماجه عن ثوبان رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها» [2]، وفى صحيح الجامع الصغير عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه» [3].

وهكذا فإنّ قضاء الله وقدره نافذ لا محالة، ولا يرده إلا الله تعالى وحده إذا شاء .... فلنفوض أمرنا إليه وندعوه إنه هو البرّ الرحيم.

٥ - الخير والنعم لا يكونان إلا من عند الله تعالى :

وكما مر بنا من أنّ المصائب مقدّرة على الإنسان من عند الله تعالى وحده وأنه لا يمكن الفرار منها، وأنها تصيبنا حيثما كنا، كذلك فإنّ الأرزاق والنعم لا تكون إلا من عند الله تعالى وحده.

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهنّ سبع سموات وهو بكل شيء عليم** ﴾ [البقرة : ٢٩]، وقال أيضاً في سورة البقرة: ﴿ **يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون * الذي جعل لكم الأرض فراشًا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون** ﴾[البقرة :٢١ -٢٢]، أى أنّ الله تعالى وحده الخالق الرزاق المدبر، وهذا يقتضى عبادته وحده، وعدم الشرك به .

وذم الذين يدعون أحداً غيره بقوله تعالى فى سورة النحل: ﴿ **و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقًا من السموات والأرض شيئًا ولا يستطيعون** ﴾ [النحل : ٧٣] .

---

(١) مسند أحمد ٥ /٢٣٤.

(٢) سنن ابن ماجه ١ /٣٥ باب فى القدر . وقال فى الزوائد حديث حسن.

(٣) صحيح الجامع الصغير ١ /٢٢١ رقم ٦٠٥- ٢٧٠.

كما قرر سبحانه وتعالى أنّ جميع ما يدب على الأرض من مخلوقات لا يرزقها إلا الله تعالى؛ فقال فى سورة العنكبوت: **﴿ و كأيّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴾** [العنكبوت :٦٠] وقال فى سورة هود: **﴿ وما مِن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ﴾** [هود: ٦] .

وبيّن سبحانه وتعالى أنّ رزقه لا ينفد مع كثرة الإنفاق؛ فقال تعالى فى سورة ص: **﴿ إنّ هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾** [ص:٥٤]، وقال تعالى: **﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾** [الذاريات :٥٨]، وقرر الله سبحانه وتعالى أنه سخّر لنا جميع ما فى السموات والأرض و أوسع علينا نعَمَهُ، وأتمها، ظاهرة وباطنة؛ فقال فى سورة لقمان: **﴿ ألم تروا أنّ الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾** [لقمان :٢٠]، وبيّن سبحانه وتعالى أنّ نعمه على خلقه لاتُعَدُّ ولا تُحصى، فهي كثيرة؛ مما يستوجب على الخلق شكرها، وعدم الكفر بها، فقال الله تعالى فى سورة النحل: **﴿ وإن تَعُدُّوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الله لغفور رحيم ﴾** [النحل :١٨].

٦ – جميع المخلوقات مربوبة مسخرة بأمر الله :

بيّن الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنّ جميع المخلوقات قد سخرها الله سبحانه وتعالى وذلّلها لنا، فضلاً من عنده ونعمة، فهى مربوبة عاجزة ضعيفة لا تستطيع أنْ تحيد عن سنة الله التى وضعها فيها، ولا تعمل إلا بأمره، يتصرف فيها كيف يشاء، ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً، ولا تستطيع عن أمر الله تحويلاً ولا تبديلاً، ومن كان هذا شأنه من التسخير والتذليل فهو لا يستحق الاشتغال به عن الله تعالى، ولا الانقياد له من دون الله تعالى، ولا الالتجاء له من غير الله تعالى.

قال الله تعالى فى سورة الجاثية: **﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾** [الجاثية :١٢-١٣]، فبيّن سبحانه وتعالى أنّ جميع ما فى السموات والأرض من ظواهر كونية على اختلاف أشكالها

وأنواعها وألوانها هي مسخّرة ومذلّلة لمصلحة الناس، ينتفعون بها مادياً ومعنوياً.

فمن الناحية المادية أحلّ الله سبحانه وتعالى أنْ نتصرف فى أمورنا كيفما نشاء في حدود ما شرع الله لنا، فأحل لنا الطيبات من أكلٍ وشربٍ ولبسٍ وصناعة وتجارة ونحو ذلك مما نحتاج إليه في أمور حياتنا، وحرّم علينا الخبائث التى تضرنا ولا تنفعنا، وجعل لنا فى كل شيء خلقه منفعة ومصلحة لنا، سواء علينا جهلناها أم علمناها.

ومن الناحية المعنوية جعل الله مخلوقاته آيات وعلامات دالّة على قدرته تعالى، ومرشدة إلى عبادته ووحدانيته، ولله درّ الشاعر حيث قال:

تأمل سطور الكائنات فإنها	إلى الملك الأعلى إليك رسائل
وقد خط فيها لو تأملت خطها	ألا كل شيء ما خلا الله باطل

وقال آخر:

فواعجباً كيف يُعْصَى الإله	أم كيف يجحده جاحد
ولله فى كل تحريكة	وتسكينة أبداً شاهد
وفى كل شيء له آية	تدل على أنه واحد

فكل ما في السموات والأرض من ظواهر ومظاهر سواء أبصرناها أم عجزنا عن معرفتها أو رؤيتها يقرر كمال ربوبية الله تعالى ووحدانيته وتفرده بالخلق والإبداع، وكمال قدرته تعالى، وشمول علمه، وتمام عظمته.

قال سبحانه وتعالى في سورة الرعد: ﴿ **الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾ [الرعد: ٢]، فبعد أن بيّن الله سبحانه وتعالى قدرته وعظمته في خلق السموات والأرض ورفعها بغير أعمدة على هذا النحو من القوة والكمال وذكر استواءه على العرش استواء يليق بجلاله – ونؤمن به نحن أهل السنة – من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل: ذكر سبحانه وتعالى تسخيره للشمس

والقمر، وأنهما يجريان لمدة معينة، وأجَل مضروب ينقطع دونه سيرهما؛ ذلك هو يوم القيامة؛ حيث تتكور الشمس، وتنكدر النجوم، وتتناثر الكواكب، ويجرى عليها حكم الله تعالى بما يشاء، وأنه هو وحده سبحانه وتعالى المدبر لأمر ملكوته من الإيجاد والإعدام، والإحياء والإماتة، وغير ذلك : ﴿ **يفصل الآيات** ﴾ أي ينزلها ويبينها مفصلة، أو يحدث الدلائل واحداً بعد واحد، ﴿ **لعلكم بلقاء ربكم توقنون** ﴾، أي لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته، فتعلموا أنَّ من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء.

فإذا كانت الشمس والقمر - وهما أظهر النجوم والكواكب بالنسبة لنا - مسخرين بأمر الله تعالى، ويجرى عليهما قضاء الله وقدره بما يشاء سبحانه وتعالى: فإنَّ سائر الكواكب والنجوم تدخل فى هذا التسخير بطريق الأولى! كما قال ابن كثير[1] رحمه الله تعالى: وذكر الشمس والقمر لأنهما أظهر الكواكب السيارة السبعة التي هي أشرف وأعظم من الثوابت، فإذا كان قد سخر هذه فلأن يدخل فى التسخير سائر الكواكب بطريق الأولى والأحرى؛ كما نبه بقوله تعالى: ﴿ **لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهنّ إن كنتم إياه تعبدون** ﴾[فصلت :٣٧]، مع أنه قد صرّح بذلك بقوله : ﴿ **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين** ﴾[الأعراف :٥٤] ا.هـ.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى تسخيره لمخلوقاته كبيرها وصغيرها فى أكثر من موضع في القرآن الكريم؛ ليبين لنا عظيم قدرته وكمال رحمته ووحدانيته فى ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فقال جل شأنه فى سورة إبراهيم : ﴿ **الله الذى خلق السموات و الأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقًا لكم وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخرلكم الليل والنهار** ﴾ [إبراهيم :٣٢، ٣٣]، وقال في سورة النحل: ﴿ **وسخر**

(١) تفسير ابن كثير: جـ٢/ ٤٩٩.

لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إنَّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [النحل : ١٢] وقال في سورة النحل أيضاً: ﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمًا طريًا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ [النحل: ١٤]، وقال في سورة الحج: ﴿ ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض والفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إنَّ الله بالناس لرءوف رحيم ﴾ [الحج : ٦٥]، وقال في سورة العنكبوت : ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنّى يؤفكون ﴾ [العنكبوت : ٦١] وقال عز وجل في سورة لقمان: ﴿ ألم تروا أنّ الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [لقمان:٢٠]، وقال الله تعالى في سورة لقمان أيضاً : ﴿ ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى وأنّ الله بما تعملون خبير ﴾ [لقمان:٢٩]، وقال في سورة فاطر : ﴿ يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ﴾ [فاطر : ١٣]، وقال سبحانه وتعالى في سورة الزمر: ﴿ وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾ [الزمر: ٥] وقال سبحانه وتعالى في سورة البقرة : ﴿ إنَّ في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [البقرة : ١٦٤]، وقال عز وجل في سورة النحل : ﴿ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [النحل: ٧٩].

والآيات الدالة على ذلك كثيرة، فنكتفي بهذا القدر المبارك منها.

وهكذا نرى أنَّ كل ما في الكون من مخلوقات وظواهر ومظاهر ما هو إلا

مربوب لله رب العالمين، مسخر بأمره تعالى، لم يوجد ولا يتحرك ولا يعمل إلا بمشيئته سبحانه وتعالى، وأنه ما من شيء يستقل وحده بالفعل إلا الله تعالى وحده، وكل ما سواه لا يفعل شيئاً إلا بمشارك ومعاون، وله ما يعاوقه ويمانعه ويسلبه تأثيره، فتارة يسلب سبحانه النار إحراقها ويجعلها برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وتارة يمسك بين أجزاء الماء فلا يتلاقى كما فعل بالبحر لموسى وقومه، وتارة يشق الأجرام السماوية كما شق القمر لمحمد ﷺ وفتح السماء لمصعده وعروجه، وتارة يقلب الجماد حيواناً كما قلب عصا موسى ثعباناً؛ مما يدل أبلغ الدلالة على وجود الخالق المدبر المالك المتصرف، وأنّ كل شيء قد وجد لحكمة، وأن الطبيعة لم تصنع نفسها والمخلوقات لم تطور حياتها وتتكيف مع بيئتها هكذا استقلالاً بذاتها ووفقاً لما يسمى بقوانين النشوء والارتقاء والانتخاب الطبيعي! ونحو ذلك من الأباطيـل .

فكلٌ ما فى السموات والأرض عبد لله، يتصرف فيه كما يشاء ، ويسخره كما يريد، فلا نجم يدلك على ما يصلح بالك، ولا طائر يقودك إلى ما ينجيك، فكل شيء بإذن الله وإرادته، وكل أمر بقضائه وقدره، مما يستوجب تفويض الأمر إليه وحده والاعتماد عليه فى كل الأمور، والصبر على قضائه وقدره لنفوز ونسعد فى الدنيا والآخرة بإذن الله سبحانه وتعالى.

٧ – الابتلاء بالخير والشر :

الابتلاء والامتحان والافتتان بمعنى واحد، والابتلاء سنة من سنن الله في خلقه؛ كما قال تعالى: ﴿ **أَحَسِبَ الناسُ أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ [العنكبوت : ٢]، وقال تعالى: ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزُلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إنّ نصر الله قريب** ﴾[البقرة : ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿ **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** ﴾ [آل عمران ١٤٢]، وقال تعالى

فى سورة التوبة: ﴿ **أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون** ﴾ [التوبة : ١٦] وقال الله تعالى فى سورة المؤمنين: ﴿ **أفحسبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا تُرجعون** ﴾ [المؤمنون : ١١٥].

وقد بين الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز أسباب الابتلاء لخلقه، وذلك ليظهر الحق ويبطل الباطل، وليميز الخبيث من الطيب، وليمحّص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين.. وغير ذلك من الأسباب الكثيرة، كما قال تعالى: ﴿ **إنا جعلنا ما علي الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً** ﴾ [الكهف:٧]، وقال تعالى: ﴿ **ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوَ بعضَكم ببعض** ﴾ [محمد:٤]، وقال عز وجل في سورة المائدة: ﴿ **ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم** ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم** ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى فى سورة هود: ﴿ **وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً** ﴾ [هود:٧]، وقال الله تعالى: ﴿ **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور** ﴾ [الملك : ٢].

وهكذا فالابتلاء سُنّة أزلية كتبها الله سبحانه وتعالى على خلقه ليُمحّصَهم، ويُظهر الصالح، ويُذلَّ الطالح.. وليقيم عليهم الحُجة يوم القيامة بما كسبوا، ويجعل عليهم شهوداً من أنفسهم، ومن المؤمنين، ومما يشاء من خلقه : ﴿ **ليهلك مَنْ هلك عن بيّنة ويحيى من حيَّ عن بيّنة** ﴾[الأنفال :٤٢] .

ولكن الذى يعنينا هنا من الابتلاء هو أنواع هذا الابتلاء... هل هو بالخير أم بالشر؟ وهل إقبال الدنيا علينا وتحقق كل ما نصبوا إليه فيها هو دليل خير لنا أم شر علينا؟

لقد قرر القرآن الكريم أن الابتلاء يكون بالخير والشر على السواء؛ كما قال تعالى: ﴿ **وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون** ﴾[الأعراف : ١٦٨]، وقال عز وجل فى سورة الأنبياء: ﴿ **ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون** ﴾ [الأنبياء : ٣٥].

ولكن بعض الناس يظنون أنّ من يوسع الله له فى رزقه ويبارك له فيه ويعطيه المال والولد ويسبغ عليه الصحة والعافية ويفتح عليه أبواب الدنيا ـ يظن هذا الصنف من الناس أنه محبوب من الله سبحانه وتعالى، مَرضِيٌّ عنه! كما قال الله تعالى حكاية عن الإنسان : ﴿ **فأما الإنسانُ إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن** ﴾ [الفجر : ١٥، ١٦].

ولكن الإسلام يُبيِّن للناس أنّ مقياس رضوان الله وسخطه ليس كما يظنون؛ بل هو من نوع آخر بعيد عن إدراكهم ومفاهيمهم المادية، فبين سبحانه وتعالى أنّ أكرم الناس عند الله هو أكثرهم تقوى.. كما قرر الله سبحانه وتعالى ذلك فى سورة الحجرات حيث قال : ﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير** ﴾ [الحجرات :١٣].

وقال عز وجل فى سورة الزمر: ﴿ **إنما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [الزمر: ١٠]، ومعلوم أنّ الصبر لا يكون إلا على المكاره، سواء أكان ذلك يشمل فعل الطاعات واجتناب المحرمات أم كان يشمل الصبر على مصائب الحياة الدنيا وهمومها، كما جاء فى الأثر: « أشد الناس بلاءً الأنبياءُ ثم الأول فالأول». وفى رواية « ثم الأمثل فالأمثل » [١] .

فالإنسان يُبتلى حسب دينه، فقد أخرج البخارى رحمه الله تعالى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع، من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة؛ صمّاء معتدلة، حتى يقصمها الله إذا شاء [٢]».

وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال: رسول الله ﷺ : « من يرد الله به

---

(١) صحيح البخارى ١٤٩/٧ في الطب باب أشد الناس بلاء الأنبياء ، وهو بنحوه في صحيح الجامع الصغير ٤٨/٢ رقم ١٥٥٨.

(٢) صحيح البخارى ج ٧ /١٤٩.

خيراً يُصب منه »[1]، فإقبال الدنيا على الإنسان لا يكون دوماً دليلاً على رضوان الله تعالى، بل قد يكون تعجيلاً للحسنات، وقد يكون استدراجاً للكافر والمنافق، وقد يكون غير ذلك، حتى إذا أخذ الله الناس بظلمهم كان أخذه أخذ عزيز مقتدر، كما قال الله تعالى: ﴿ **فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيءٍ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون * فقُطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾[الأنعام :٤٤-٤٥].

وقد جاءت قصص الأنبياء ... وعباد الله الصالحين، وما تحفل به من أنواع البلاء، جاءت تصديقاً لهذه الحقيقة..

فالمتأمل في قصص الأنبياء عامة وقصة سيدنا محمد ﷺ خاصة يأخذه العجب من شدة ما عانى أولئك النبيون صلوات الله عليهم وسلامه ..

وعلى العكس من قصص الأنبياء نجد قصص أعداء الله في القرآن الكريم، وعلى رأسهم فرعون، والنمروذ، قد أملى لهم ربهم في حياتهم الدنيا وأعطاهم مالاً وقوة، حتى ازدادوا طغياناً وغروراً وادعوا الربوبية، فكان لإقبال الدنيا أسوأ الأثر عليهم في الدنيا والآخرة ... وأمثالهم في الحياة الدنيا كثيرون، فقد أعطى الله قارون [2] من الأموال والكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة .. حتى كان يثير حسد الجهال من قومه فيتمنون أن يكون لهم مثل ما أوتى قارون ويقولون : ﴿ **إنه لذو حظ عظيم** ﴾ [القصص : ٧٩]، ولكن قارون بغى واستكبر بغير حق، وظنَّ أنه إنما أُوتي ذلك المال بمقدرته ومهارته الشخصية، فمنع حق الله فيه واستخدمه للتكبر على الناس والتباهي بنفسه بينهم، فلم يمهله ربنا، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر وخسف به وبداره الأرض، وجعله عبرة لغيره ﴿ **وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن مَّن الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون** ﴾

---

(١) صحيح البخارى ج ٧ /١٤٩.

(٢) رجل من قوم موسى.

[القصص : ٨٢] ...... وكذلك كان عدو الله الوليد بن المغيرة المخزومى حيث افترى على الله سبحانه وتعالى وعلى الرسول ﷺ، ووصف القرآن الكريم بأنه سحر منقول عن السحرة، مع تيقنه أنّه من عند الله تعالى .... وما حمله على ذلك إلا ما أعطاه الله إياه من نعيم الدنيا، فاغترّ بنفسه وتكبر عن شرع الله عز وجل ..... وفى هذا يقول الله عز وجل فى سورة المدثر: ﴿ **ذرني ومن خلقتُ وحيدًا * وجعلتُ له مالاً ممدودًا * وبنين شهودًا * ومهدت له تمهيدًا * ثم يطمع أنْ أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيدًا * سأرهقه صعودًا * إنه فكر وقدر * فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر * ثم نظر * ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر * فقال إنْ هذا إلا سحر يؤثر * إنْ هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر** ﴾ [المدثر : ١١-٢٦] ..

فالابتلاء كما يكون بالشر يكون أيضًا بالخير، وليس هناك أحد يعلم في أيهما تكون المصلحة للعبد إلا الله تعالى وحده، وليس أدل على ذلك وأكثر إيضاحًا من قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح فى سورة الكهف، حيث أتى العبد الصالح بثلاثة أفعال مختلفة على مرأى من موسى عليه السلام الذى لم يستطع صبرًا، بل استنكرها كلها الواحدة تلو الأخرى، مع تعهده فى كل مرة بالصبر وعدم التدخل فيما يفعله العبد الصالح .. لكنّ الأفعال التى قام بها العبد الصالح أمام موسى - عليهما السلام - كانت مثيرة جدًا لدرجة أن موسى عليه السلام كان ينسى ما تعهد به للعبد الصالح عليه السلام؛ إذ أنّ العبد الصالح أتلف سفينة قوم مساكين، وقتل غلامًا بدون ذنب، وقام في إحدى القرى بترميم جدار فيها يريد أنْ ينقض مع اتصاف أهل تلك القرية بالبخل الشديد، وامتناعهم عن قراهم .

ولم يترك العبد الصالح موسى - عليهما السلام - إلا بعد أنْ وضح له سبب ما قام به من أعمال؛ فقال العبد الصالح: ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أنْ أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبًا * وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانًا وكفرًا * فأردنا أنْ يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاةً**

وأقرب رُحْمًا * وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحًا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرًا ﴾ [الكهف : ٧٩ -٨٢] .

فالإنسان لا يمكنه أنْ يعرف الخير الحقيقى أهو في السراء أم في الضراء ؟ وأمام هذه الحقيقة نرضى ونُسلِّم بقضاء الله وقدره، ونقنع بما ينعم به الله علينا، فلا حاجة بنا إلى استكناه المجهول، بل نرضى ونُسلِّم بكل ما يعطينا إياه رب العالمين، فإنْ أصابتنا سراء شكرنا، وإن أصابتنا ضراء صبرنا، وإذا أذنبنا استغفرنا وتبنا وأنبنا، وبهذا نكون من المؤمنين حقًا بقضاء الله وقدره، السعداء برضوانه ورحمته، والمستغنين به عَمن سواه ...

٨ – فناء العالم بأمر الله تعالى :

خلق الله سبحانه وتعالى السموات والأرض وما فيهن، وخلق الإنسان وسخر له كل شيء إلى أجل مسمى: ﴿ **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾ [الأعراف : ٣٤، والنحل: ٦١] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها** ﴾ [المنافقون : ١١]، هذا وإنَّ الله سبحانه وتعالى يتصرف في الكون كما يشاء، فالزلازل والبراكين والكوارث الطبيعية التى يقدرها الله سبحانه وتعالى على هذا العالم يقف الإنسان أمامها عاجزًا لتدل أبلغ دلالة على وجود إله قادر قاهر هو وحده المقصود في كل الحوائج ..

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أن جميع هذا العالم وما فيه إلى فناء في يوم معلوم هو يوم القيامة، والآيات الواردة بشأنه فى القرآن الكريم كثيرة،كما وردت أحاديث كثيرة عن الرسول ﷺ تخبر عن أشراط الساعة وعلاماتها، وقد تحقق الكثير منها مما يدل على صدق سيدنا محمد ﷺ وأنه لا ينطق عن الهوى . ولقد اجتمع جماعة من الكبراء والفضلاء يومًا فقرأ قارىء: ﴿ **إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيِّرت** ﴾ [التكوير :١-٣]، حتى بلغ: ﴿ **علمت نفس**

ما أحضرت ﴾ [التكوير ١٤]، وفي الجماعة أبو الوفاء بن عقيل، فقال له قائل : يا سيدى هب أنه أنشر الموتى للبعث والحساب، وزج النفوس بقرنائها للثواب والعقاب، فما الحكمة فى هدم الأبنية، وتسيير الجبال، ودك الأرض، وفطر السماء، ونثر النجوم، وتخريب هذا العالم، وتكوير شمسه وخسف قمره ؟ فقال ابن عقيل على البديهة: إنما بنى لهم هذه الدار للسكنى والتمتع، وجعلها وما فيها للاعتبار والتفكر والاستدلال عليه بحسن التأمل والتذكر، فلما انقضت مدة السكنى وأجلاهم عن الدار وخرّبها لانتقال الساكن منها فأراد أنْ يُعْلمَهُم بأنَّ في إحالة الأحوال وإظهار تلك الأهوال وإبداء ذلك الصنع العظيم بياناً لكمال قدرته ونهاية حكمته وعظمة ربوبيته وعز جلاله وعظم شأنه، وتكذيباً لأهل الإلحاد وَ زَنادقة المُنَجِّمين وعُبَّاد الكواكب والشمس والقمر والأوثان، ليعلمَ الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين، فإذا رأوا أنَّ منار آلهتهم قد انهدم وأنَّ معبوداتهم قد انتثرت والأفلاك التى زعموا أنها وما حوته هى الأرباب المستولية على هذا العالم قد تشققت وانفطرت ظهرت حينئذ فضائحهم وتبيَّن كذبهم وظهر أنَّ العالم مربوب مُحْدَثٌ مُدَبَّرٌ له رب يُصَرِّفُهُ كيف يشاء، تكذيباً لملاحدة الفلاسفة القائلين بقدمه . فكم لله من حكمة فى هدم هذه الدار ودلالة على عظيم قدرته وعزته وسلطانه وانفراده بالربوبية وانقياد المخلوقات بأسرها لقهره وإذعانها لمشيئته، فتبارك الله رب العالمين[١] ..

مما سبق يتضح لنا أنَّ زجر الطير وعيافته خاصة والتطير بجميع الظواهر عامة أمر باطل ليس له حقيقة، إذ أنَّ جميع المخلوقات عاجزة عن نفع نفسها وتقرير مصيرها، وأنها جميعها إلى الفناء ، فلا يبقى معها إلا وجوب عبادة الله تعالى وحده، واستخارته في جميع الأمور ـ كما علّمنا رسول الله ﷺ، حتى لا نضل ولا نشقى في الدنيا والآخرة ...

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ /١٦٣ ، ١٦٤.

٩ - الحث على التوكل ومدح المتوكلين على الله :

التوكل على الله سبحانه وتعالى باب عظيم من أبواب العبادة التى يجب أن لا تصرف إلا لله تعالى وحده، وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالتوكل عليه فقال عز وجل في سورة الفرقان: ﴿ **وتوكل على الحيِّ الذي لا يموت** ﴾[الفرقان : ٥٨].

وصرح سبحانه وتعالى بأنه يحب المتوكلين عليه، فقال عز وجل: ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله إنَّ الله يحب المتوكلين** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وجعل الله سبحانه وتعالى التوكل عليه صفة من صفات المؤمنين ومزيَّة من مزاياهم العظيمة، فقال تعالى: ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قلوبهم وإذا تُليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [الأنفال :٢]، ووعد الله سبحانه وتعالى المتوكلين عليه بالنصر وإسباغ الفضل العظيم عليهم، فقال عز وجل: ﴿ **ومَن يتوكل على الله فهو حَسْبُه** ﴾ [الطلاق :٣]، قال فى فتح المجيد: «قال ابن القيم رحمه الله وغيره: حسبه: أى كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه، ولا يضره إلا أذى لابد منه؛ كالحر والبرد والجوع والعطش، وأما أنْ يضره بما يبلغ به مراده منه فلا يكون أبداً، وفرق بين الأذى الذى هو فى الظاهر إيذاء وفى الحقيقة إحسان وإضرار بنفسه، وبيِّن الضرر الذى يتشفى به منه، قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته، فقال تعالى : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾، فلم يقل : فله كذا وكذا من الأجر كما قال فى الأعمال؛ بل جعل نفسه سبحانه كافى عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومَنْ فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه رزقه ونصره » . [1] وعلى كل حال فإن الآيات الكريمة التى ورد فيها ذكر لفظ التوكل وما يتصرف منه كثيرة، إذ أنَّ لفظ التوكل وما يشتق منها نحو: توكلت، توكلنا، نتوكل، يتوكل، يتوكلون، توكل، توكلوا، وكيل، المتوكلون، المتوكلين، ورد ذكرها فى القرآن ثمان وستون مرة...

---

(١) فتح المجيد ص ٣٥٥، ٣٥٦.

أما الأحاديث الحاثة على التوكل فهى كثيرة أيضاً، وقد أثبت منها فى رياض الصالحين أحد عشر حديثاً [1] ـ ومنها ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن ابن عباس رضى الله عنهما في صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: أنهم لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون [2]».

فالذى يتوكل على الله سبحانه وتعالى لا يتطير من شيء، ولأنه يعلم أنّ الله ناصره وكافيه، وعن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو خِماصاً وتروح بطاناً » رواه الترمذي وقال: حديث حسن[3].

والحديث الشريف عبارة عن مثل ضربه الرسول ﷺ للمؤمنين بالطير فى حسن اعتمادها على الله عز وجل في جَلْب قوْتها ورزقها، فهى تخرج في أول النهار جائعة، مفتقرة إلى الله عز وجل، فيرزقها الله تعالى ما تحتاج إليه من غذاء ونحوه من شئون معيشتها، فالطيور لم تقعد عن الكسب معتمدة أن يرزقها الله وهى جالسة فى أوكارها، وإنما أخذت بالأسباب مع صدق التوكل على الله فوفّقها الله إلى مواطن قُوْتِها، وهداها إلى ما يُصلح شأنها، و رزقها ما تقوم به حياتها.

قال في حياة الحيوان الكبرى : « ليس فى هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق، لأنّ الطير إذا غدت فإنها تغدو لطلب الرزق، وإنما أراد – والله أعلم – : لو توكلوا على الله تعالى في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم ورأوا أنّ الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا إلا سالمين غانمين، كالطير تغدو

---

(١) رياض الصالحين – تحقيق محمد بسيس صفحة (٤٢ – ٤٧).

(٢) المرجع السابق ص ٤٣ ، مفتاح دار السعادة جـ ٢ /٢٣٣ ، ٢٣٤، ومشكاة المصابيح ٢ /٦٧٨ رقم ٥٢٩٦ في الرقاق باب التوكل والصبر.

(٣) رياض الصالحين ص ٤٥، مشكاة المصابيح ٦٧٩/٢ رقم ٥٢٩٩ فى الرقاق باب التوكل والصبر، دليل الفالحين شرح رياض الصالحين ٢٧١/١ . وأخرجه الترمذى (٢/ ٥٥ – بولاق) والحاكم ٣١٨/٤، وأحمد ٣٠/١، ٥٢/١ وابن ماجة (٤١٦٤).

خماصاً وتعود بطاناً، ولكنهم يعتمدون على قوّتهم، وجَلَدهم، ويغشون، ويكذبون، ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل » ا.هـ. [1]

وتوكل الطير على الله سبحانه وتعالى في جَلْب رزقه وقُوته يدل على عَجْزه عن منفعة غيره من دون الله تعالى، وبالتالي يدل على ضلال مَنْ يتطيّر أو يتفاءل بالطير وغيره، إذ يجب أنْ يكون الاعتماد على الله وحده لا شريك له، ولذا فقد كان رسول الله ﷺ - فيما يرويه عنه أنس بن مالك - رضى الله عنه - يقول : « إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلتُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيقال له: حسبك، قد هُديت، وكُفيت، ووُقيت، فيتنحى له الشيطان، فيقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هُدِيَ وَكُفِي وَوُقِي؟!» [2].

وفي صحيح الجامع الصغير عن أبي هريرة - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ قال : « إذا خرجتَ من منزلك فصلِّ ركعتين تمنعانك مخرج السوء، وإذا دخلت إلى منزلك فصلِّ ركعتين تمنعانك مدخل السوأ »[3]، وفي صحيح الجامع الصغير أيضاً عن الرسول ﷺ أنه قال : « اعقلها وتوكل » [4] .

والخلاصة : أنّ الواجب هو الاعتماد على الله وحده لا شريك له مع الأخذ بالأسباب المشروعة والمستحبة، وترك التعلق بغيره من طير أو حيوان أو أوهام ما أنزل الله بها من سلطان.

١٠ - ذم المتطيرين بالرسل عليهم السلام :

ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز المتطيرين بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ولكن الله سبحانه وتعالى ذَمّ أولئك المتطيرين، وبَيّن فسادَ عقيدتهم، وكذبَ دعواهم، وأعلن سبحانه وتعالى أنّ ما يصيب الإنسان من خير أو شر إنما هو

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢ /٩٩.

(٢) رياض الصالحين ص ٤٦، صحيح الجامع الصغير ١ /١٩٥ رقم ٥١٣ - ٢٢٧، والمشكاة ٧٥٥/٢ رقم ٢٤٤٣ في الدعوات باب الدعوات في الأوقات.

(٣) صحيح الجامع الصغير ١ /١٩٧ رقم ٥١٨.

(٤) صحيح الجامع الصغير ١ /٣٥٢ رقم ١٠٧٩.

قضاء الله وقدره، وأنزله لحكم عظيمة بيّنها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وأمّا الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام فلا يملكون لأحد ضراً ولا نفعاً، ولم تكن مهمتهم سوى البلاغ عن ربهم، مبشرين ومنذرين، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، فمن اهتدى فلنفسه، ومن ضل فإنما يضل عليها، وما ربك بظلام للعبيد.

ولقد مر بنا أنّ الطِّيَرة ورد ذكرها في القرآن الكريم في أربعة مواضع؛ هي :

أولاً : تطير ثمود بصالح عليه السلام.

ثانياً : تَطير قوم فرعون بموسى عليه السلام .

ثالثاً : تطير أهل القرية بالمرسلين عليهم السلام.

رابعاً : تطير الكفار والمشركين والمنافقين واليهود بالرسول الكريم محمد ﷺ.

وسنتناول فيما يلي موقف الله عز وجل من أعدائه وأعداء رسله الكرام – عليهم الصلاة والسلام–.

١ – أما صالح عليه السلام :

فقد أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قومه الذين كانوا يُدْعَون: قبيلة ثمود، وكانت قبيلة ثمود تسكن الحِجْر – بكسر الحاء – وموقعها بين الحجاز والشام إلى وادى القرى، ولا تزال آثارهم باقية إلى اليوم لتكون عبرة إلى غيرهم، وقد أنعم الله عليهم، ورزقهم من الطيبات، وأعطاهم من القوة و القدرة ما استطاعوا به أنْ ينحتوا بيوتهم في الجبال، ولكنّهم بدلاً من شكر الله على أنعمه عليهم بغوا في الأرض واستكبروا، وانصرفوا إلى عبادة الأصنام يشركونها مع الله في العبادة ويفسدون فى الأرض بغير الحق، فأرسل الله إليهم رسولاً منهم اسمه: صالح ـ عليه السلام ـ، يدعوهم إلى ترك ما كانوا عليه من الشرك والضلال، ويأمرهم بعبادة الله وحده وعدم الشرك به، فطلبوا منه آية تكون دليلاً على صدقه، واقترحوا عليه أنْ تكون تلك الآية ناقة عُشَرَاء تمخض بحيث تخرج تلك الناقة من صخرة صماء يقال لها (الكاتبة) [1]

(١) انظر تفسير ابن كثير جـ ٢ /٢٢٧، ٢٢٩ بتصرف.

كانت منفردة فى ناحية من نواحى الحجْر.

فأخذ عليهم رسولهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق لئنْ أجابهم الله إلى سؤالهم ليؤمننّ به وليتبعنّه، فلما أعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم قام صالح عليه الصلاة والسلام إلى صلاته ودعا الله عز وجل، فتحركت تلك الصخرة، ثم انصدعت عن ناقة جوفاء وبرّاء يتحرك جنينها بين جنبيها كما سألوا، وأمرهم صالح عليه السلام بأنْ لا يمسوها بسوء، وأنْ يقسم الماء بينها وبينهم، فيكون لها يوم تشرب فيه وحدها واليوم الثانى لهم، وكانوا يشربون لبنها يوم شربها، فعند ذلك آمن به فريق منهم بينما ظل فريق آخر على كفرهم وتكذيبهم لصالح عليه السلام وإيذائهم له ولمن آمن معه !

وأظهر المشركون تبرّمهم بصالح عليه السلام وبمن آمن معه وقالوا له : ﴿ **اطيرنا بك وبمن معك** ﴾ [النمل :٤٧]، وقتلوا ناقة الله فانتقم الله سبحانه وتعالى منهم وأهلكهم بالصيحة – والعياذ بالله – .

والذى يعنينا من قصة ثمود هو تماديهم في الضلال وجهلهم، وسوء تفكيرهم، حيث تشاءموا بصالح عليه السلام، وتطيروا به، ونسبوا إليه كل ما يصيبهم من شقاء وبلاء، وكان قد أصابهم القحط، ولكنّ صالحًا عليه السلام رد عليهم بقوله: ﴿ **طائركم عند الله** ﴾ [النمل :٤٧]، فتمادَوْا في طغيانهم وتآمروا عليه بعد أنْ قتلوا ناقة الله، وأرادوا قتله، ولكن الله سبحانه وتعالى انتقم منهم، فأهلكهم في الدنيا بالصاعقة، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

وأما الآيات التي ورد فيها ذكر طيرة ثمود بنبىّ الله صالح عليه السلام فهى : قول الله تعالى في سورة النمل: ﴿ **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحًا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون * قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون * قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ [النمل : ٤٥ –٤٧] .

ففي الآيات السابقة : بعد أن قرر الله سبحانه وتعالى أنه أرسل عبده ورسوله صالحاً إلى قبيلة ثمود ليأمرهم بعبادة الله وحده وعدم الشرك به ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ قبيلة ثمود انقسمت إلى فريقين يختصمان، فريق مصدّق صالح مؤمن به، وفريق مكذّب كافر بما جاء به.

فلم ييأس صالح عليه السلام بل استمر في هدايتهم: ﴿ **قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة** ﴾ [النمل : ٤٦]، قال الطبري [١] و ابن كثير [٢] رحمهما الله تعالى : لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته ؟ وقال النيسابوري رحمه الله : أي أنه تعالى قد مكّنهم من التوصل إلى رحمة الله وثوابه، فعدلوا إلى استعجال عقابه، قال : وفسرَها جار الله بالعقوبة والتوبة، فالسيئة : العقوبة، والحسنة : التوبة [٣]، قال: ﴿ **لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون** ﴾[النمل : ٤٦]، لولا للتحضيض، قال الطبرى رحمه الله: « أيْ قال نبيهم صالح عليه السلام : هلا تتوبون إلى الله من كفركم، فيغفر لكم ربكم عظيم جرمكم، ويصفح لكم عن عقوبته إياكم على ما قد أتيتم من عظيم الخطيئة [٤] ». وقوله: ﴿ **لعلكم ترحمون** ﴾ يقول : ليرحمكم ربكم باستغفاركم إياه من كفركم. وهذا تفسير الطبرى رحمه الله [٥]. وقال النيسابورى ـ رحمه الله ـ: « بأن يكشف العذاب عنكم، وفيه تنبيه على خطئهم، وتجهيل لهم » [٦]. ﴿ **قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ قال في الجلالين: ﴿ **اطيرنا** ﴾ أصله تطيرنا، أُدغمت التاء فى الطاء، واجتُلبت همزة الوصل : أى تشاءمنا بك وبمن معك، أى المؤمنين، حيث

---

(١) تفسير الطبرى جـ ١٩ /١٠٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٣ /٣٦٧.
(٣) النيسابورى ٢٠ / ٤.
(٤) تفسير الطبرى ١٩ /١٠٧.
(٥) تفسير الطبرى ١٩ /١٠٧.
(٦) تفسير النيسابورى ٢٠/٤.

قحطوا المطر وجاعوا. وقال ابن جرير الطبري – رحمه الله – : يقول الله تعالى ذكره: قالت ثمود لرسولها صالح: اطيرنا بك وبمن معك؛ أي تشاءمنا بك وبمن معك من أتباعنا، وزجرنا الطير بأن سيصيبنا بك وبهم المكاره والمصائب، فأجابهم صالح عليه السلام بقوله: ﴿ **طائركم عند الله** ﴾ أي ما زجرتم من الطير لما يصيبكم من المكاره عند الله علمه، لا يدري أي ذلك كائن، أما تظنون من المكاره أو المصائب أم ما لا ترجونه من العافية والرجاء والمحابّ .

قال : وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل، فنقل عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قوله: ﴿ **طائركم عند الله** ﴾ أي مصائبكم، قال قتادة رضى الله عنه – : ﴿ **طائركم عند الله** ﴾ أي علمكم عند الله ا.هـ [1].

وقوله تعالى: ﴿ **بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ قال الطبرى – رحمه الله –: « أي تختبرون، يختبركم ربكم إذ أرسلني إليكم أتطيعونه فتعملون بما أمركم به فيجزيكم الجزيل من ثوابه أم تعصونه فتعملون بخلافه فيحل بكم عقابه » . ا.هـ[2] . وقال ابن كثير رحمه الله : « قال قتادة : تبتلون بالطاعة والمعصية، ثم قال: والظاهر أن المراد بقوله : ﴿ **تفتنون** ﴾ أي تستدرجون فيما أنتم فيه من الضلال » ا.هـ[3] ..

وقال النيسابوري رحمه الله : أي تعذبون أو تختبرون أو يفتنكم الشيطان بوسوسة الطيرة [4].

والنتيجة :– أنّ صالحاً عليه الصلاة السلام، وهو رسول الله المبرّأ من الجهل والضلال، عندما دعا قومه لعبادة الله وحده لا شريك له تطيّروا به وبمن معه من المؤمنين، فحذّرهم، وبيّن لهم أنّ الخير والشر مقدران عليهم من الله تعالى، وأنه لا

---

(١) تفسير الطبرى ١٩ /١٠٧.

(٢) تفسير الطبرى ١٩ /١٠٧.

(٣) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٦٧.

(٤) تفسير النيسابوري ٢٠ /٤.

يعلم الغيب إلا الله تعالى وحده..

وهذا يدل على فساد الطيرة، وضلال المتطيرين ..

٢- وأما موسى عليه السلام :

فقد أرسله الله تعالى إلى فرعون وملئه، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وعدم الشرك به، وكان فرعون قد استكبر وطغى، وادعى الربوبية والألوهية، وأحاط نفسه بالكهنة والسحرة، فاغتر به قومه وأطاعوه، فأوردهم موارد الخسران والبوار.

ولما ازداد آل فرعون إعراضاً عن موسى عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بالقحط والجوع ونقصٍ من الثمرات والأموال والأنفس لعلهم يتّعظون فيؤمنون، ولكنهم - لشقائهم - لم يزدهم هذا الإنذار من الله عز وجل إلا تمادياً في الغَيّ والضلال، فكانوا إذا جاءتهم الحسنة ـ أي الخِصْب والغنى ـ قالوا : لنا هذه، وإن أصابتهم سيئة ـ أي القحط والجدب ـ يطيروا، أى يتشاءموا بموسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، ولكنّ الله سبحانه وتعالى ذَمّهم وتوعدهم بقوله : ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ [الأعراف: ١٣١]، أى أن هذه المصائب التي تصيبهم إنما هي من عند الله، مقدّرة عليهم، لا شأن لموسى ولا لغيره من المخلوقات بها ﴿ **ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾، فَنَفى عنهم العلم، وبذا أثبت فساد عقيدتهم في التطير، وأنّ المصائب التى تصيبهم ما هى إلا جزاء لما قدمت أيديهم لا يستطيعون تجنبها إلا بتقوى الله حق تقاته، واتباع شرعه، واجتناب جميع محرماته ودوام الاعتصام بالله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونَقْص من الثمرات لعلهم يذكرون * فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكنّ أكثرهم لا يعلمون**﴾ [الأعراف :١٣٠ - ١٣١] .

يقول الله تعالى فى الآيتين السابقتين من سورة الأعراف: ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون** ﴾ قال ابن كثير رحمه الله : « أي اختبرناهم وامتحناهم وابتليناهم

﴿ بالسنين ﴾ وهي سنين الجوع بسبب قلة الزروع. .ا.هـ[1].

﴿ ونقص من الثمرات ﴾ قال البيضاوي رحمه الله : « أي بكثرة العاهات. ﴿ لعلهم يذكرون ﴾ أي لكي يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا أو ترقّ قلوبهم بالشدائد فيفزعوا إلى الله ويرغبوا فيما عنده » ..ا.هـ[2].

﴿ فإذا جاءتهم الحسنة ﴾ من الخصب والسعة والرزق. نقل النيسابوري رحمه الله عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قوله فى الحسنة : أي العشب والخصب والثمار. وبذا قال المفسرون .

﴿ لنا هذه ﴾ أي لأجلنا ونحن مستحقوها. قال النيسابورى رحمه الله : ﴿ لنا هذه﴾ أي نحن مخصوصون بذلك ولم نَزَل في الرفاهية والنعمة، وهكذا عادة الزمان فينا. ولم يعلموا أنها من الله فيشكروه عليها ويقوموا بحق نعمته..ا.هـ[3].

﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾ جدب وبلاء وقحط ﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾ قال البيضاوى رحمه الله: أي يتشاءموا بهم ويقولوا ما أصابتنا إلا بشؤمهم، قال: هذا إغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة، فإنّ الشدائد ترقّق القلوب وتذلّل العرائك وتزيل التماسك؛ سيما بعد مشاهدة الآيات، وهى لم تؤثر فيهم، بل ازدادوا عندها عتواً وانهماكاً في الغيّ، وقال : وإنما عرّف الحسنة وذكّرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها، وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات، ونكّر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها إلا بالتبع »[4]. وبنفس هذا المعنى قال النيسابورى – رحمه الله – فى تفسيره[5]. وقال ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: ﴿ فإذا جاءتهم الحسنة

---

(١)تفسير ابن كثير : حـ٢/٢٣٩.

(٢) تفسير البيضاوي ص ٢١٩.

(٣) تفسير النيسابورى : جـ٩ /٢٩.

(٤) تفسير البيضاوى : ص ٢١٩.

(٥) تفسير النيسابورى : جـ ٢٩/٩.

قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ﴾ : يقول تعالى ذكْره : « فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون فى دنياهم **﴿ قالوا لنا هذه ﴾** نحن أولَى بها **﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾** يعنى جدب وقحوط وبلاء **﴿ يطيروا بموسى ومن معه ﴾** يقول : يتشاءموا بهم ويقولوا : ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية منذ جاءنا موسى عليه السلام » ا.هـ[1] قال تعالى: **﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون﴾** قال البيضاوى رحمه الله : أي سبب خيرهم وشرهم عند الله، وهو حُكْمه ومشيئته، أو سبب شؤمهم عند الله و هو أعمالهم المكتوبة عنده، فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم.

قال : وقرىء : « إنما طيْرهم » وهو اسم جمع، وقيل : هو جمع.

﴿ ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أنّ ما يصيبهم من الله أو شؤم أعمالهم . ا.هـ.[2]

وذكر النيسابورى في تفسيره ما يلى: **﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾** : قال الأزهرى : يقال للشؤم طائر وطيرة. وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم. ومنه قول العرب : طار له سهم كذا أى حصل ووقع ذلك فى حظه، قال : وكان النبي ﷺ يتفاءل ولا يتطير، لأن الفأل الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير ..وقال : ومعنى الآية أنّ كلّ ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وبتقديره، ولكنّ أكثرهم لا يعلمون أنّ الكل رهين بمشيئته وتقديره .

فيقولون هذا بيُمْن فلان أو بشؤمه، وقال : وقد تشاءمت اليهود بالنبي ﷺ وآله في المدينة فقالوا : غلت أسعارنا وقلّتْ أمطارنا منذ أتانا . ا.هـ [3].

ونقل عن صاحب الكشاف قوله : ويجوز أن يكون معناه : ألا إنما سبب شؤمهم عند الله، وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوؤهم لأجله،

---

(١) تفسير الطبري جـ٩ /٢٩.

(٢) تفسير النيسابورى : جـ٩ /٢٩، ٣٠.

(٣) الكشاف للزمخشرى ٢ /١٠٦.

ويعاقبون له بعد موتهم، وكما حكى عنهم أنّهم لجهلهم أسندوا حوادث هذا العالم لا إلى قضاء الله وقدره، كذلك حكى عنهم أنهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر، وقالوا لنبيهم: ﴿ مهما تأتنا به من آية لتسحَرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ﴾.

والمقصود: أنّ الله سبحانه وتعالى ذم قوم فرعون؛ لأنّهم نسبوا ما يصيبهم من البلاء والشقاء إلى موسى ومَنْ معه من المؤمنين، وبيّن لهم أنّ طيرتهم بالمؤمنين لا أصل لها ولا حقيقة، لأنّ البلاء مقدّر عليهم من قِبَلِ الله تعالى، ولا يرفعه عنهم إلا هو، وكذلك النعم لا تكون إلا من عند الله تعالى، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في أكثر من موضع، فلا شأن لموسى عليه السلام ولا لغيره من المخلوقات بحوادث العالم، ومجريات أموره، ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون، فنفى عنهم العلم، وبذلك أثبت فساد عقيدتهم في التطير، وبالتالي بيّن حاجتهم الماسة إلى اتباع دين الله الذى جاءت به الرسل تباعاً، والذى فيه الخير والنعيم لكل المخلوقات في الدنيا والآخرة..

٣ - وأما أصحاب القرية المتطيرون برسل الله سبحانه وتعالى:

فقد ذكرهم الله سبحانه وتعالى فى سورة يس حيث قال: ﴿ **واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذْ جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزّزنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون * قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إنْ أنتم إلا تكذبون * قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين * قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ [يس: ١٣-١٩].

هذا مثلٌ طلب الله سبحانه وتعالى من محمد ﷺ أنْ يضربه لقومه، وما أكثر الأمثال التي ضربها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وما أروعها، لعل المنحرف عن الصراط المستقيم يتعظ فيرعوى، ويثوب إلى رشده قبل فوات الأوان.

فأصحاب هذه القرية كانوا كفاراً، كما يدل عليه ظاهر الآيات الكريمة، فأرسل إليهم رسولين يدعوانهم إلى عبادة الله وحده وعدم الشرك به، فبادروهما بالتكذيب،

وحينئذ عزّز الله الرسولين بثالث، أي شد أزر الرسولين وقوّاهما بأن جعل الرسل ثلاثة، فلم يزدد أهل القرية إلا عناداً واستكباراً، وتذرعوا بالحجج الوهمية الأزلية ... التي كان يحتج بها كل كافر منافق، وأولى هذه الحجج أنّ الله لا يمكن أنْ يجعل رسله من البشر، ولو أراد الله أنْ يرسل رسلاً لجعلهم ملائكة ... وعلى هذا الأساس قطعوا بأن الله لم يُنزِلْ من شيء، وأنّ الرسل عليهم السلام كاذبون في دعواهم ..

حينئذ ما كان من الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا أنْ قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وإنا لصادقون فيما دعوناكم إليه، وما علينا إلا البلاغ المُبين، أى ما علينا إلا أنْ نبلغكم رسالة الله التى أُرسلنا بها إليكم بلاغاً يُبيِّنُ لكم أننا أبلغناكموها، فإن قبلتموها كنتم محسنين إلى أنفسكم، وإن أعرضتم عنها فقد أدّينا ما علينا والله يحكم بيننا وبينكم ...

فعند ذلك قال لهم أهل القرية: ﴿ **إنا تطيرنا بكم** ﴾! أى لم نر على وجوهكم خيراً فى عيشنا . وقال قتادة : يقولون : إنْ أصابنا شر فإنما هو من أجلكم، وقال مجاهد: يقولون: لم يدخل مثلكم إلى قرية إلا عُذّب أهلها، وتوعدوا الرسل ـ عليهم السلام ـ بقولهم : ﴿ **لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم** ﴾ أي لئن لم ترجعوا عما ذكرتم من أنكم أُرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عنى بذلك لنرجمنكم بالحجارة، وليصيبنكم منا عذاب موجع شديد.

قال النيسابوري رحمه الله:

وحيث أكد الرسلُ قولهم باليمين عندما قالوا: ﴿ **ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون** ﴾ أكد الكفار قولهم بالتطير ..

فمن عادة الجهال أنْ يتيمنوا بكل ما يوافق طباعهم وهواهم، ويتشاءموا بما كرهوا، وكأنهم قالوا فى الأول كنتم كاذبين وفى الثانى صرتم مصرين على الكذب حالفين بالأيمان الكاذبة التى تدع الديار بلاقع ... فتشاءمنا بكم ولا نترككم [1].

---

(١) تفسير النيسابورى جـ ٢٣ / ١٠، ١١.

قالوا : ﴿ طائركم ﴾ أي سبب شؤمكم.

﴿ معكم ﴾وهو كفركم ومعاصيكم .

﴿ أئن ذكرتم ﴾ أى أتطيرون إنْ ذُكرتم. ومَنْ قرأ أيْنَ ـ على وزن كيف ـ ذُكرتم بالتخفيف فالمراد: شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم فضلاً عن المكان الذى حللتم فيه، ثم إنّ الرسل قالوا لهم : أنحن كاذبون أم نحن مشئومون ...

﴿ بل أنتم قوم مسرفون ﴾ أى فى عصيانكم أو ضلالكم فمِنْ ثَمّ أتاكم الشؤم، أو تشاءمتم بمن يجب التبرك بهم وقصدتموهم بالسوء.

وقد اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية، فقال بعضهم : كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى عليه السلام هو الذي أرسلهم.

وكذلك اختلفوا في القرية .... وقيل : إنها أنطاكية، ولكن ابن كثير رحمه الله تعالى ضعّف احتمال كون الرسل هم رسل عيسى عليهم السلام، كما ضعّف احتمال كون القرية هي قرية أنطاكية، وأيّد وجهة نظره بثلاثة وجوه ذكرها في تفسيره، وحيث أنني أميل إلى الرأى الذى رآه ابن كثير رحمه الله تعالى فإننى سأنقل هنا ما رآه ابن كثير وأثبته فى تفسيره.

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى – : « وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هى أنطاكية، وأنّ هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره، وهو الذى لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، وفى ذلك نظر من وجوه :

أحدها :

أنّ ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عز وجل لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى: ﴿ إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنّا إليكم مرسلون ﴾ إلى أنْ قالوا: ﴿ ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * وما علينا إلا البلاغ المبين ﴾

ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنّهم من عند المسيح عليه السلام ـ والله تعالى أعلم ـ. ثم لوكانوا رسل المسيح لما قالوا لهم: ﴿ **ما أنتم إلا بشر مثلنا** ﴾.

الثانى :

أنّ أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح، ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتى فيهن بتاركة، وهنّ : القدس، لأنها بلد المسيح، وأنطاكية، لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والإسكندرية، لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين، ثم رومية، لأنها مدينة الملك قسطنطين الذى نصر دينهم وأوطده، ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم، كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين، فإذا تقرر أنّ أنطاكية أول مدينة آمنت فأهل هذه القرية ذكر الله تعالى أنهم كذّبوا رسله وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم والله أعلم ..

الثالث:

أنّ قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة، وقد ذكر أبو سعيد الخدرىّ رضى الله عنه وغير واحد من السلف أنّ الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يُهْلِك أُمة مِنَ الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين، ذكروه عند قوله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى** ﴾ [القصص: ٤٣].

فعلى هذا يتعيّنُ أنّ هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أُخرى غير أنطاكية كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً، أو تكون أنطاكية إنْ كان لفظها محفوظاً في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإنّ هذه لم يعرف أنها أهلكت لا فى الملّة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم» . ا.هـ[1].

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ٣ / ٥٦٩ ، ٥٧٠.

قلت : وحيث أنّ الأمثال والقصص في القرآن الكريم إنما تساق لأغراض حكيمة، ومنها على سبيل المثال تسلية الرسول محمد ﷺ بسبب ما يلاقيه مِن إعراض الكفار عن دعوته، ومنها : بيان الإعجاز في كل ما يخبر به من قصص وأمثال وأخبار مما لا يدع مجالاً للشك في كونه عليه الصلاة والسلام نبياً مرسلاً من عند ربه .. ومنها بيان العبرة والعظة.. ومنها فضح شُبَه الكفار والمنافقين والمكذبين، وبيان استنادهم على أوهام وأكاذيب لم ينزل الله بها من سلطان .. ومنها : بيان عاقبة المكذبين المسرفين

وعلى هذا فإن الذى يعنينا هنا من قصة أصحاب القرية هو أنّ الله سبحانه وتعالى ذمهم وبيّن لهم أنّ المصائب التى تصيبهم إنما هى بسبب كفرهم وإعراضهم عن دين الله عز وجل، فطيرتهم ليست فى محلها ... ورسل الله عليهم الصلاة والسلام منزهون عما يدعيه الكفار، وما عليهم إلا البلاغ المبين.

٤ – تطير أعداء الله بمحمد ﷺ :

أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ للناس كافة، بشيراً ونذيراً، وجعل رسالته خاتمة لكُل الرسالات، وشريعته أكمل الشرائع وأوفاها، فقال الله تعالى: ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرًا ونذيرًا ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [سبأ :٢٨] .

وقال في سورة الأعراف: ﴿ **قُل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا الذي لهُ مُلك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبيّ الأُمّيّ الذي يُؤمن بالله وكلماته و اتبعوه لعلكم تهتدون** ﴾[الأعراف :١٥٨].

ولما كان الدعاة إلى الله هم أكثر خلق الله تعرضاً للأذى: لذا فقد أوصاهم الله سبحانه وتعالى بالصبر قائلاً : ﴿ **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ [العصر :٣] فلا عجب إذاً أنْ يكون الرسول الكريم محمد ﷺ هو أكثر الناس تَعَرُّضاً للهجوم من قبل أعداء الله سبحانه وتعالى، وذلك لأنه إنما أُرسل إلى جميع الناس، فتكالب عليه الأعداء؛ من منافقين ومشركين وكافرين، من كُلِّ مِلّة ونِحْلة: ﴿ **يريدون ليطفئوا**

نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ﴾ [الصف : ٨].

والذى يعنينا من الصراع الذى دار بين محمد ﷺ وأعداء الله هو الاتهامات الباطلة التى وُجِّهت للرسول ﷺ، فقد اتَّهم أعداءُ الله محمداً ﷺ بأنه سبب للبلاء والمصائب، وما هو فى حقيقة أمره ﴿ **إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وقد ذَمّ الله سبحانه وتعالى هؤلاء الجهلة، وقرر أنَّ الخير والشر لا يكونان إلا من عند الله تعالى، ولا دخل لأى من البشر فيما يجرى في الكون من حوادث، ولا فيما يصيب الناس من أقدار، فقال الله تعالى فى سورة النساء: ﴿ **وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كلٌّ من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا** ﴾ [النساء : ٧٨]، ثم قال عز وجل: ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيدًا** ﴾ [النساء : ٧٩].

المراد بالحسنة والسيئة :

والذى عليه عامة المفسرين أنَّ الحسنة والسيئة يراد بهما النعم التى تسر والمصائب التى تسوء كما مر بنا . وهذا هو الذى يقتضيه السياق الذى وردت فيه الآية الكريمة .

وقد فسَّر بعض العلماء « الحسنة » و« السيئة » بما يفعله الإنسان باختياره باعتباره من الحسنات أو السيئات، فالطاعة: حسنة، والمعصية: سيئة، ولكنه ليس مراداً هنا ـ والله أعلم ـ.

وقد قطع ابن تيمية رحمه الله تعالى بأنَّ المراد بالحسنة والسيئة هنا: هو النعم التى تسر والمصائب التي تسوء، وأورد أقوال العلماء التى تؤيد هذا الرأى، فقال رحمه الله تعالى:

قال أبو العالية :

﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله** ﴾ قال : هذه في السراء. ﴿ **وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** ﴾ قال : وهذه فى الضراء.

قال السُّدّى :

﴿ **وإنْ تصبهم حسنة يقولوا** ﴾ والحسنة : الخصب، تنتج خيولهم وأنعامهم ومواشيهم ويحسن حالهم، وتلد نساؤهم الغلمان ﴿ **يقولوا هذه من عند الله** ﴾، ﴿ **وإن تصبهم سيئة يقولوا** ﴾: والسيئة : الضرر فى أموالهم، تشاؤمًا بمحمد ﷺ ﴿ **يقولوا هذه من عندك** ﴾ يقولوا: بتركنا ديننا واتباعنا محمد أصابنا هذا البلاء. فأنزل الله: ﴿ **قل كلٌّ من عند الله** ﴾ الحسنة والسيئة ﴿ **فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا** ﴾؟ قال : القرآن .

وقال الوالبى عن ابن عباس :

﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله** ﴾ أي ما فتح الله عليك يوم بدر . وكذلك قال الضحّاك . وقال الوالبى أيضاً عن ابن عباس : ﴿ **من حسنة** ﴾ قال : ما أصاب من الغنيمة والفتح فمن الله. قال : والسيئة ما أصابه يوم أحد؛ إذ شُجَّ فى وجهه، وكُسِرَت رباعيته، وقال: أمّا الحسنة فأنعم الله بها عليك. وأمّا السيئة فابتلاك بها .

وروى أيضاً عن حجاج عن عطية عن ابن عباس ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله** ﴾ قال: هذا يوم بدر. ﴿ **وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ قال: هذا يوم أحد. يقول: ما كان من نكبة: فمن ذنبك، وأنا قدّرت ذلك عليك.

وكذلك روى ابن عيينة عن إسماعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ﴿ **فمن نفسك** ﴾ قال : فبذنبك، وأنا قدرتها عليك . روى هذه الآثار ابن أبى حاتم وغيره.

وروى أيضاً عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير : قال: ما تريدون من القَدَر ؟ وأمَا هذه الآية التى فى سورة النساء : ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** ﴾ أى من نفسك، والله ما وكلوا إلى القدر، وقد أُمروا به، وإليه يصيرون.

وكذلك في تفسير أبى صالح عن ابن عباس : ﴿ **وإنْ تصبهم حسنة** ﴾ الخصب والمطر ﴿ **وإنْ تصبهم سيئة** ﴾ الجدب والبلاء.

وقال ابن قتيبة : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ قال: الحسنة : النعمة، والسيئة : البلية .

وقد ذكر أبو الفرج في قوله : ﴿ ما أصابك من حسنة ﴾ – و: ﴿ من سيئة ﴾ ثلاثة أقوال:

١ – أحدها :

أنّ الحسنة ما فتح الله عليه يوم بدر. والسيئة: ما أصابهم يوم أحد . قال : رواه ابن أبي طلحة – وهو الوالبى – عن ابن عباس .

٢ – الثانى :

الحسنة: الطاعة . والسيئة: المعصية. قاله أبو العالية .

٣ – الثالث :

الحسنة: النعمة والسيئة: البلية . قاله ابن مُنَبِّه . قال: وعن أبى العالية نحوه . وهو أصح. ا.هـ [١].

وقد رَجّح ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ المراد بالحسنة والسيئة هو النعم والمصائب؛ إذ أنّ هذا هو المعنى الذى يدل عليه لفظ الآية وسياقها ومعناها وأقوال السلف .

وقال: أما المعنى الثانى ـ أى الطاعة والمعصية فليس مرادًا دون الأول قطعًا .

قال : ولكنْ قد يقال إنه مراد مع الأول باعتبار أنّ ما يهديه الله إليه من الطاعة هو نعمة فى حقه من الله أصابته . وما يقع منه من المعصية هو سيئة أصابته، ونفسه التى عملت السيئة وإذا كان الجزاء من نفسه فالعمل الذى أوجب الجزاء أولى أنّ يكون من نفسه .

قال : فلا منافاة أنْ تكون سيئة العمل وسيئة الجزاء من نفسه، مع أنّ الجميع مقدّر كما تقدم .

---

(١) شذرات الذهب والبلاتين من ص ١٧١ الى ص ١٧٣ .

قال : وقد رُوي عن مُجاهد عن ابن عباس : أنه كان يقرأ : « فمن نفسك وأنا قدرتها عليك » . ا.هـ [1] .

وعلى هذا فخلاصة أقوال العلماء فى عموم معنى الحسنة و السيئة:

أنّ « الحسنة » يراد بها النعمة أو فعل الطاعة أو الجزاء على العمل .

وأنّ « السيئة » : يراد بها المصيبة، أو المعصية، أو الجزاء .

وجميع المفسرين اتفقوا على أنّ المراد بالحسنة والنعمة في هذه الآية والآية التي بعدها هو النعمة والمصيبة .

وأما المراد بقولهم: ﴿ هذه من عندك ﴾ فى قوله تعالى : ﴿ **وإنْ تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك** ﴾ ذكر ابن تيمية رحمه الله عن ابن عباس والسدى وغيرهما أنهم يقولون هذا تشاؤماً بدينه.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : بسوء تدبيرك، يعنى كما قاله عبد الله بن أُبيّ وغيره يوم أحد، وهم كالذين : ﴿ **قالوا لإخوانهم وقعدوا لوأطاعونا ما قُتلوا** ﴾ .

قال : فبكل حال : قولهم : « من عندك » هو طعن فيما أمر الله به ورسوله عليه الصلاة والسلام من الإيمان والجهاد وجعل ذلك هو الموجب للمصائب التى تصيب المؤمنين المطيعين كما أصابتهم يوم أُحُد وتارة تصيب عدوهم فيقول الكافرون: هذا بشؤم هؤلاء. ا.هـ [2] كما مر بنا من تشاؤم ثمود بصالح عليه السلام، وتشاؤم آل فرعون بموسى عليه السلام، وتشاؤم أصحاب القرية بالمرسلين عليهم السلام .

وقال البيضاوي رحمه الله :

﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من**

---

(١) المرجع السابق : ص ١٧٣.

(٢) شذرات الذهب والبلاتين ص ١٨١ ، ١٨٢.

عندك ﴾ قال : «كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية، فيقعان على النعمة والبلية، وهما المراد في الآية . أيْ إنْ تُصبهُم نعمة كخصب نسبوها إلى الله، وإن تُصبهم بلية كقحط أضافوها إليك وقالوا : إنْ هى إلا بشؤمك؛ كما قالت اليهود: منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها ». ا.هـ [1] .

وهكذا فسرها ابن كثير رحمه الله : ﴿ يقولوا هذه من عندك ﴾ أي مِنْ قِبَلك وبسبب اتباعنا لك واقتدائنا بدينك. ا.هـ [2].

وقال ابن جرير – رحمه الله – فى تفسيره : القول فى تأويل قوله : **﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ﴾** :

يعنى بقوله جل ثناؤه: **﴿ وإنْ تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ﴾** : وإنْ ينلهم رخاء وظفر وفتح ويصيبوا غنيمة يقولوا هذه من عند الله، يعنى من قِبَل الله ومن تقديره. **﴿ وإن تصبهم سيئة ﴾** : أي وإنْ تنلهم شدة من عيش وهزيمة من عدو وجراح وألم يقولوا لك يا محمد: هذه من عندك بخطئك التدبير . وإنما هذا خبر من الله تعالى ذكره عن الذين قال فيهم لنبيه: **﴿ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾**. اهـ [3].

القول فى تأويل قوله : **﴿ قل كل من عند الله ﴾** يعنى جل ثناؤه بقوله: **﴿ قل كل من عند الله ﴾** : قل يا محمد لهؤلاء القائلين إذا أصابتهم حسنة هذه من عند الله وإذا أصابتهم سيئة هذه من عندك ـ:كل ذلك من عند الله دوني ودون غيري، من عنده الرخاء والشدة ومنه النصر والظفر ومن عنده القتل والهزيمة .

﴿ فمالِ هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا ﴾ : فما شأن هؤلاء القوم الذين إنْ تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإنْ تصبهم سيئة يقولون هذه من عندك:

---

(١) تفسير البيضاوى ص ١١٩.
(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٥٢٧/١.
(٣)تفسير ابن جرير الطبري جـ ٥ / ١١٠.

﴿ **لا يكادون يفقهون حديثًا** ﴾ ـ يقول : لا يكادون يعلمون حقيقة ما تخبرهم به مِنْ أنّ كل ما أصابهم من خير أو شر أو ضر أو شدة أو رخاء من عند الله، لا يقدر على ذلك غيره، ولا يصيب أحدًا سيئةٌ إلا بتقديره، ولا ينال رخاء ونعمة إلا بمشيئته، وهذا إعلام من الله لعباده أنّ مفاتح الأشياء كلها بيده لا يملك شيئًا منها أحد غيره .

وقال الطبري ـ رحمه الله ـ:

﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ :

ما يصيبك يا محمد من رخاء ونعمة وعافية وسلامة فمن فضل الله عليك يتفضل به عليك إحسانًا منه إليك، وأما قوله: ﴿ **وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ : يعنى وما أصابك من شدة ومشقة وأذى ومكروه فمن نفسك، يعنى بذنب استوجبتها به اكتسبته نفسك [1].

وأما مرجع الضمير في الآية فى قوله تعالى ﴿ **وإن تصبهم** ﴾ فقد اختلف فيه العلماء رحمهم الله تعالى، وذلك لأنّ الآية واردة فى سياق الأمر بالجهاد، كما ذكر قبلها الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ فى كل أمر من الأمور. قال تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] .

فالمسألة تتناول قضية الإيمان من أساسه، ولذا فقد جاءت أقوال العلماء في مرجع الضمير فى قوله : ﴿ **وإنْ تصبهم** ﴾ مختلفة على أقوال ذكرها ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى كما يلى :

مرجع الضمير فى قوله تعالى : ﴿ وإن تصبهم ﴾ :

---

(١) المرجع السابق جـ ٥ /١١١.

١ - يعود إلى من ذكر فى الآية وهم الذين يخشون الناس .

٢ - أو يعود إلى معلوم وإنْ لم يذكر، كما فى مواضع كثيرة، قال : وقد قيل إنَّ هؤلاء كانوا كفاراً من اليهود، وقيل : كانوا منافقين، وقيل : بل كانوا من هؤلاء وهؤلاء، والمعنى يعمُّ كل من كان كذلك، ولكنْ تناوله لمنْ أظهر الإسلام وأُمر بالجهاد أولى. قال : ثم إذا تناول الذم هؤلاء: فهو للكفار الذين لا يظهرون الإسلام أولى وأحرى». ا.هـ [١].

والمؤكد أنَّ ما جاء به الرسول ﷺ من التشريع الحنيف السمح لا يمكن أنْ يكون سبباً لشيء من المصائب التى توهمها وادعاها أعداء الله، ولكن قد تصيب المؤمنين بالله ورسوله الكريم مصائب بسبب ذنوبهم كما حدث يوم أُحُد من مخالفتهم لأمر الرسول ﷺ، أو يبتليهم الله بالسراء والضراء والزلزال ليُمَحِّص المؤمنين، ويُكفِّرَ ذنوبهم، ويرفع درجاتهم، وما إلى ذلك من المقاصد العظيمة التى لا يعلمها إلا الله وحده، ولهذا قال الله تعالى فى رَدِّعلى من نسب الشؤم إلى محمد ﷺ ودينه : ﴿ **قل كلٌّ من عند الله** ﴾ أي أنَّ الجميع بقضاء الله وقدره، وهو نافذ فى البر والفاجر، والمؤمن و الكافر، ولهذا قال بعدها: ﴿**فمالِ هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا** ﴾ .. قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «قال السُّدِّى وغيره : هو القرآن، فإنَّ القرآن إذا هم فقهوا فيه تبيَّن لهم أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بالخير والعدل والصدق والتوحيد لم يأمرهم بما يكون سبباً للمصائب، فإنهم إذا فهموا ما فى القرآن علموا أنه لا يكون سبباً للشر مطلقاً » [٢].

ومما يوضح ذلك أنه لما قال : ﴿ **ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك** ﴾ قال بعدها: ﴿ **وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيدًا** ﴾ فإنَّه قد شهد له بالرسالة بما أظهره على يديه من الآيات والمعجزات، وإذا شهد الله كفى به

(١) شذرات الذهب والبلاتين : ص ١٧٠.

(٢) شذرات الذهب والبلاتين ص ١٨٤.

شهيداً، ولم يضره جَحْد هؤلاء لرسالته بما ذكروه من الشُّبَه التي هي عليهم لا لهم بما أرادوا أن يجعلوا سيئاتهم وعقوباتهم حُجّة على إبطال رسالته، والله تعالى قد شهد له أنه أرسله للناس رسولاً، فكان ختم الكلام بهذا إبطالاً لقولهم إنّ المصائب من عند الرسول، ولهذا قال بعد هذا: ﴿ **من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظًا** ﴾.ا.هـ [1].

الخلاصة :

أن الله سبحانه وتعالى قد مدح في كتابه العزيز المتوكلين عليه، والمفوّضين أمرهم إليه، وقد ذمَّ المتطيرين بالرسل عليهم الصلاة والسلام؛ مما يدل على فساد الطيرة ووجوب تركها وترك الوساوس والأوهام، والإيمان بالقضاء والقدر، وأنه لا مهرب من قضاء الله سبحانه وتعالى إلا إليه .

١١ - أقوال العلماء على قوله تعالى: ﴿ وكُلَّ إنسانٍ ألزمناه طائره في عنقه ﴾ [الإسراء :١٣] :

قال في لسان العرب (ينقل أقوال العلماء في تفسير كلمة الطائر) :

قال أبو عُبيد :

الطائر عند العرب الحظ، وهو الذى تسميه العرب البَخْت.

وقال الفرّاء:

الطائر معناه عندهم العمل، وطائر الإنسان عمله الذى قُلِّدَهُ، وقيل رزقه، والطائر: الحظ من الخير والشر.

وطائر الإنسان : ما حصل له في علم الله مما قدر له .. ويجوز أن يكون أصله من الطير السانح والبارح.

وقوله عز وجل: ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾ قيل : حظه، وقيل: عمله، وقال المفسرون : ما عمل من خير أو شر ألزمناه فى عنقه، إنْ خيراً فخيراً،

---

(١) شذرات الذهب والبلاتين ص ١٨٤.

وإن شراً فشراً . والمعنى فيما يرى أهل النظر : أنّ لكل امرىء الخير والشر قد قضاه الله فهو لازم عنقَه، وإنّما قيل للحظ من الخير والشر طائر لقول العرب: جرى له الطائر بكذا من الشر، على طريق الفأل والطيرة على مذهبهم في تسمية الشيء بما كان له سبباً، فخاطبهم الله بما يستعملون، وأعلمهم أنّ ذلك الأمر الذى يسمونه بالطائر يلزمه، وقرىء طائرَه وطيْرَه، والمعنى فيهما قيل: عمله خيره وشره، وقيل: شقاؤه و سعادته .

قال أبو منصور :

والأصل فى هذا كله أنّ الله تبارك وتعالى لما خلق آدم علم قبل خلقه ذريته أنه يأمرهم بتوحيده وطاعته، وينهاهم عن معصيته، وعلم المطيع منهم والعاصى الظالم لنفسه، فكتب ما علمه منهم أجمعين وقضى بسعادة من علمه مطيعاً، وشقاوة من عَلِمَهُ عاصياً، فصار لكل من علمه ما هو صائر إليه عند حسابه، فذلك قوله عز وجل: ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره﴾ أي ما طار له بدءاً في علم الله من الخير والشر وعلم الشهادة عند كونهم يوافق علم الغيب، والحجة تلزمهم بالذى يعملون، وهو غير مخالف لما علمه الله منهم قبل كونهم . ا.هـ [1] .

وقال البيضاوى – رحمه الله تعالى – :

﴿ طائره ﴾ : عمله وما قُدِّر له كأنه طير إليه من عش الغيب، و وكر القدر، لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه، استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق فى عنقه. ا.هـ [2].

وقال ابن كثير – رحمه الله – : ﴿ طائره ﴾ هو ما طار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزم به ويجازى عليه.

قال: والمقصود أنّ عمل ابن آدم محفوظ عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً، صباحاً ومساء .

---

(١) لسان العرب من ص ٥٠٨ – ٥١١ بتصرف .

(٢) تفسير البيضاوى ص ٣٧٢.

وقال أيضاً ـ رحمه الله ـ : «وقوله : ﴿ ألزمناه طائره في عنقه ﴾ إنما ذكر العنق لأنه عضو من الأعضاء لا نظير له فى الجسد، و مَنْ أُلزم بشىء فيه فلا محيد له عنه» ـ وروى عن قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ أنه قال : « لا عدوى ولا طيَرة، وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه » كذا رواه ابن جرير، وقد رواه الإمام ابن حميد فى مسنده متصلاً، فقال حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا ابن لَهيعة، عن أبى الزبير، عن جابر، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « طير كل عبد فى عنقه ».

وقال الإمام أحمد : حدثنا على بن إسحاق حدثنا عبد الله حدثنا ابن لَهيعة حدثنى يزيد أنَّ أبا الخير حدثه أنه سمع عقبةَ بن عامر رضى الله عنه يحدث عن النبى ﷺ، قال : «ليس من عمل يوم إلا هو يُختم عليه، فإذا مرض المؤمن قالت الملائكة يا ربنا عبدك فلان قد حبسته، فيقول الرب جل جلاله : اختموا له على مثل عمله حتى يبرأ أو يموت ». قال ابن كثير رحمه الله : إسناده جيد قويٌّ ولم يخرجوه. ا.هـ.

قلت : وفي سنده ابن لهيعة؛ وهو ضعيف .

قال : وقال مَعْمر عن قتادة: ﴿ ألزمناه طائره في عنقه ﴾ قال: عمله، ﴿ ونخرج له يوم القيامة ﴾، قال : نخرج ذلك العمل ﴿ كتابًا يلقاه منشورًا ﴾. قال معمر: وتلا الحسن البصرى: ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد ﴾ [ق:١٧]، يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشوراً، اقرأ كتابك ـ الآية ـ فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك. هذا من أحسن كلام الحسن ـ رحمه الله ـ. ا.هـ [1].

---

(١)تفسير ابن كثير : جـ ٣ /٢٧، ٢٨.

وقال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿ طائرهم ﴾ [الأعراف: ١٣١]: وهو الأعمال وجزاؤها عند الله وهو معهم فهو معهم لأنَّ أعمالهم وما قُدِّرَ من جزائها معهم، كما قال تعالى : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾، وهو من الله، لأن الله تعالى قَدَّر تلك المصائب بأعمالهم، فمن عنده تتنزل عليهم المصائب جزاء على أعمالهم، لا بسبب الرسل وأتباعهم.

قال: وفي هذا يقال: أنهم إنما يجزون بأعمالهم لا بأعمال غيرهم ا.هـ [١].

قلت : وخلاصة أقوال العلماء رحمهم الله تعالى في المراد بـ (طائر الإنسان) الوارد في الآية الكريمة تدل على أنَّ الإنسان لا يلاقي في الدنيا والآخرة من خير أو شر إلا ما قدمت يداه، فَمَنْ أراد السلامة في الدنيا والآخرة فعليه أنْ يتقى الله ويحسن عمله ويجعله خالصاً لله تعالى.

ثانياً : ـ سيدنا محمد ﷺ لا يتطير :

لقد نفى رسول الله ﷺ الطيرة، وأبطلها، ونهى عنها، لما فيها من سوء الظن بالله تعالى، وعدم تفويض الأمر إليه، كما أنه ﷺ كان يحب كل ما فيه حُسْن ظن بالله تعالى، ومن ذلك محبته للفأل .

أخرج أبو داود في سننه عن بُريدة عن أبيه ـ رضى الله عنهما ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورؤي بِشْر ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رؤى كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها ورُؤِي بِشْر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رؤى كراهية ذلك في وجهه[٢] » وإسناده حسن. وهذا فيه استعمال الفأل.

كما أخرج عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أنَّ النبي ﷺ قال : « لا عدوى ولا

---

(١) شذرات الذهب والبلاتين ص ١٨٢.

(٢) أخرجه أبو داود جـ ٢/ كتاب الطب باب في الطيرة رقم الحديث ٤٢١٠.

طيرة ويعجبني الفأل الصالح، والفأل الصالح الكلمة الحسنة [(١)]».

وأخرج عن عروة بن عامر، قال: ذكرت الطيرة عند النبي ﷺ، فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» [(٢)].

وأخرج الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن [(٣)]».

وأخرج أبو داود في سننه عن سباع بن ثابت عن أم كرْز قالت: سمعت النبى ﷺ يقول: «أقروا الطير على مَكناتها» [(٤)]، أى لا تزجروها وأقروها على مواضعها التى جعلها الله لها؛ فإنها لا تضر ولا تنفع.

وقد قرّر كثير من العلماء أن النبى ﷺ لم يكن يتطير، أي لم يكن يسند الأمور الكائنة من الخير والشر إلى الطير كما يفعل الكهنة. وقال آخرون: إنَّ النبى ﷺ كان إذا جلس مع أصحابه فتكلّم أحدهم بخير أو سمع من تكلم حضّهم عليه وعرفهم به، ومعلوم أنه لابد لطائر أن يمر سانحاً أو بارحاً أوقعيداً أو ناطحاً، فلا يوقفهم عليه، ولا يعرفهم به؛ إذ أنَّ ذلك من فعل الكهان الذين نهى رسول الله ﷺ عن إتيانهم.

وكيف يتطير مَنْ يتنزل عليه الوحى بكرة وعشياً ويؤيده الله بالمعجزات الباهرات والنصر المبين والوعد الحق بالعصمة من الناس فى قوله تعالى: ﴿**والله يعصمك من الناس**﴾ [المائدة: ٦٧] !

وأما حديث اللقحة [(٥)] ومنع النبى ﷺ حرباً ومُرة من حَلْبها وإذنه ليعيشَ فى

---

(١) أخرجه أبو داود جـ ٢/ كتاب الطب باب فى الطيرة رقم الحديث ٤٢٠٦.

(٢) المرجع السابق رقم الحديث ٤٢٠٩.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده جـ ١ /٢٥٧.

(٤) سنن أبى داود حـ ٢ /٩٤ كتاب الأضاحى باب فى العقيقة رقم الحديث (٣١٣٤)، وصحيح الجامع الصغير ١ /٣٨٠ رقم (١١٨٨).

(٥) اللقحة: الناقة ذات اللبن.

حلبها، وذلك في الحديث الذى أخرجه مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد أنّ رسول الله ﷺ قال للقحة تُحلب: «مَنْ يحلب هذه؟» فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» فقال له الرجل: مُرّة. فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس». ثم قال: «مَنْ يحلب هذه؟» فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: حرب، فقال له رسول الله ﷺ: «اجلس». ثم قال: «مَنْ يحلب هذه؟» فقام رجل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما اسمك؟» فقال: يعيش، فقال له رسول الله ﷺ: «احْلُبْ»[1].

فهذا الحديث ليس من باب الطيرة، لأنه محال أنْ ينهى عن شيء ويفعله، وإنما هو من طلب الفأل الحسن، وحتى لا يتسمّى أحدٌ إلا بالأسماء الحسنة، خشية الطيرة، وقد مر أنّ الرسول ﷺ كان يعجبه الفأل.

وقد أخرج أبو داود في سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنّ رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال: «أخذنا فألك من فيك»[2].

وهذه سيرة الرسول الكريم ﷺ بين أيدينا لم نر فيها إلا ثقة بالله وتوكلاً عليه وإنابة إليه فى كل الأمور، سواء أكان ذلك قبل النبوة أو بعدها. فهو ملتزم بشرع ربه عز وجل، يصدع بما يؤمر، كما قال تعالى: ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾ [الحجر: ٩٤].

وكان ﷺ لا يفعل شيئاً إلا بعد أن يستخير ربه ومولاه ومليكه، والمتصرف فى شأنه كله.. عالم الغيب والشهادة، وكان يربّي أمته على ذلك ... فعن جابر ـ رضى الله عنه ـ: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها.[3]. ولقد استدل الشوكاني رحمه الله تعالى بقول جابر هذا على العموم، وأنّ المرء لا يحتقر أمراً

---

(١) موطأ مالك حـ٢ /٩٧٣ كتاب الاستئذان باب ما يكره من الأسماء.

(٢) سنن أبى داود الجزء الثانى كتاب الطب باب فى الطيرة. رقم الحديث (٤٢٠٧).

(٣) حديث الاستخارة سيأتى مخرجاً ص ٢٩٠ من هذا البحث.

لصغره، وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه، فرُبَّ أمر يُستَخَف بأمره فيكون في الإقدام عليه أَوْ في تركه ضرر عظيم؛ لذلك قال النبي ﷺ: « ليسأل أحدُكم ربَّه حتى شِسْع نعله » (١) .

وكان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه، ولا يحتقر رأياً صغيراً ولا كبيراً ... فإذا استحسن رأى أحد أخذ به دون غضاضة ليشرع لأمته ويرشدهم إلى ما ينبغى فعله .

فإذا استعد لأمر ما وأخذ بجميع الأسباب المشروعة والظاهرة وعزم على فعل الشيء توكل على الله عز وجل تحقيقاً لقول الله عز وجل: ﴿ **فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . فكان يمضي لوجهته مفوضاً أمره لربه ولا يرجعه شيء عن قصده إلا أنْ يشاء الله عز وجل .. وعلى سبيل المثال لا الحصر: عندما أراد الرسول ﷺ أن يقاتل المشركين في غزوة أحد استشار رسول الله ﷺ أصحابه فى الخروج إليهم، وكان رأيه أنْ لا يخرجوا، فإنْ دخلوا قاتلهم المسلمون على أفواه السكك، والنساء من فوق البيوت، ووافقه عبد الله بن أُبَيّ رأس المنافقين على هذا الرأي فبادر جماعة من فضلاء الصحابة – ممن فاته بدر – وأشاروا على رسول الله ﷺ بالخروج، وألحوا عليه، فنهض ودخل بيته، ولبس لأْمَته، وخرج عليهم، فقالوا: استكرهْنا رسولَ الله ﷺ على الخروج . ثم قالوا : إنْ أحببتَ أنْ تمكث بالمدينة فافعل، فقال : « ما ينبغى لنبي إذا لبس لأمته أنْ يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه » (٢) .

فلم يثنه عن عزمه ما رآه أصحابه أخيراً من المكوث في المدينة وعدم الخروج لقتال المشركين بعيداً عنها؛ فما بالك بالظواهر الطبيعية التى يعلم الرسول ﷺ تمام العلم عجزها وافتقارها إلى غيرها ؟!

هذا هو هَدْي الرسول ﷺ في تصريف شئون حياته، يضاف إلى ذلك دوام

---

(١) حديث السؤال سيأتى مخرجاً ص ٢٨٩ من هذا البحث.

(٢) مختصر سيرة الرسول ص ١١٦ . اللأمة : جمعها لأم ولُؤَم : الدرع .

ذكره لله عز وجل، فقد كان يذكر الله ربه على كل حال، وقد نقل لنا البخارى ومسلم وأصحاب السنن ـ رحمهم الله ـ كثيراً من دعاء الرسول ﷺ وذكره، وتعوذه بالله عز وجل من شر ما خلق، ومن العلماء من نقل هذه الأذكار فى كتب خاصة مستقلة كالنووى [١]وابن القيم [٢] وغيرهما ـ رحم الله الجميع ـ.

وكان ﷺ في نهيه عن الطيرة لا يكتفى بذلك، بل يقول: ولا ترد مسلماً، وإذا رأيتم من الطيرة شيئاً تكرهونه فقولوا: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله [٣]. وسيأتى بيان ذلك إنْ شاء الله تعالى.

وكان رسول الله ﷺ يرضى ويسلم بقضاء الله وقدره بعد بذل الجهد في تعاطى ما أمر به من الأسباب: في المشكاة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: « يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك،وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجَفَّت الصحف[٤]».

وعن عوف بن مالك رضى الله عنه أنَّ النبى ﷺ قضى بين رجلين، فقال المقضيّ عليه لما أدبر: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقال النبى ﷺ: « إنّ الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكَيْس، فإذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل» [٥].

---

(١) الأذكار للنووي.

(٢) كتاب الوابل الصيب لابن القيم.

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده رقم ٤٢٠٩، والوابل الصيب ص ٢٨٤.

(٤) المشكاة ٢ /٦٨٠ رقم ٥٣٠٢ فى الرقاق باب التوكل والصبر، والترمذي ٢ /٥٧ وفي المشكاة نحوه عن أبى هريرة: ٢ /٦٧٨ رقم ٥٢٩٨ فى الرقاق باب التوكل والصبر.

(٥) حكاه ابن القيم فى الوابل الصيب ص ٢٩٩، ٣٠٠ وقال فى الحاشية: قال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الكلم الطيب): « خرّجه أبو داود». ا.هـ.

قال ابن القيم – رحمه الله – :

فنهى النبى ﷺ أنْ يقول عند جريان القَدَر ما يضره ولا ينفعه، وأمره أن يفعل من الأسباب ما لا غنى عنه، فإن أعجزه القضاء قال : حسبى الله ونعم الوكيل، فإذا قال حسبى الله بعد تعاطى ما أمر به من الأسباب قالها وهو محمود، فانتفع بالفعل والقول، وإذا عجز وترك الأسباب وقالها قالها وهو ملوم بترك الأسباب التى اقتضتها حكمة الله عز وجل فلم تنفعه الكلمة نفعها لمن أمر به. ا.هـ [1].

وهكذا فقد كان رسول الله ﷺ كامل الخَلْق والخُلُق... نموذجًا حيًا كاملاً لما ينبغى أن يكون عليه العبد الصالح في دنياه ليسعد في الأولى وفي الآخرة ويستحق بجد أن يكون مع أولياء الله الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وقد مدحه الله سبحانه وتعالى، وأثنى عليه في كتابه العزيز، فقال عز وجل مفتتحًا سورة القلم بالقسم على عظمة أخلاق محمد ﷺ ـ فقال الله تعالى: ﴿ **ن والقلم وما يسطرون * ما أنت بنعمة ربك بمجنون * وإنَّ لك لأجرًا غير ممنون * وإنك لعلى خلق عظيم * فستبصر ويبصرون * بأيكم المفتون * إنَّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ [القلم :١-٧] ، كما مدحه الله سبحانه وتعالى في مواطن كثيرة؛ ومنها قوله عز وجل: ﴿ **وإنّك لتهدي إلى صرط مستقيم** ﴾ [الشورى : ٥٢] ، والصراط المستقيم هو الطريق إلى الله تعالى وحده لا شريك له، فلا يُمْكِن لِمَنْ شهد الله له بالخلق العظيم والهداية إلى الطريق المستقيم أنْ يتطير، أو يتعلق بشىء غير الله العزيز الحميد، وهو الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه.

وفي صحيح الجامع الصغير عن أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله ﷺ : « ألا أعلمك كلماتٍ تقولينهن عند الكرب ؟ الله الله ربى لا أشرك به شيئًا » [2].

---

(١) الوابل الصيب ص ٣٠٠ .

(٢) صحيح الجامع الصغير ٣٦٨/٢ رقم ٢٦٢٠.

وكان يحث على حسن الخُلق، ويُرَغِّب فيه: كما في الموطأ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1] .

فعلينا – معشر المسلمين – أن نقتدي برسول الله ﷺ في جميع ما يأتي وجميع ما يدع تحقيقاً لقول الله عز وجل في سورة الأحزاب : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [الأحزاب : ٢١].

و تَرْكُ التطير والاعتماد على الله تعالى وحده وحسن الظن به من أبرز صفات النبي ﷺ التى يجب علينا الاقتداء بها والسير على منوالها، والله سبحانه وتعالى هو المستعان وعليه البلاغ ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم .

ثالثاً ـ الصحابة والتابعون ـ رضوان الله عليهم ـ لا يتطيرون :

مر بنا فيما سبق أنَّ الرسول ﷺ كان القدوة الصالحة التي يجب علينا أنْ نقتدى بها، ونسير على هداها فى جميع شئون حياتنا، فلقد كان ﷺ يعتمد على الله تعالى وحده فى جميع شئونه بعد أن يأخذ بالأسباب المشروعة ثم يرضى ويسلم بكل ما يقدّره له سبحانه وتعالى من خير أو شر .

وعلى هَدْي سيدنا محمد ﷺ سار الرعيل الأول من السلف الصالح – رضى الله عنهم ـ، فقد كانوا صورة صادقة لما يجب أنْ يكون عليه المسلم المخلص لربه عز وجل.

وقد نَقَلَتْ لنا كتب السير و التراجم كثيراً من مواقف الصحابة رضى الله عنهم

---

(١) انظر جامع الأصول جـ ٤ / ٤ ، وتمام تخريجه: الموطأ: ٢ / ٩٠٤فى كتاب حسن الخلق ، باب ما جاء فى حسن الخلق. وإسناده منقطع. ولكن للحديث شواهد بمعناه يرتقى بها إلى درجة الحسن. قال الزرقانى : رواه أحمد وقاسم بن أصبغ والحاكم والخرائطي برجال الصحيح عن محمد بن عَجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة ، وقال ابن عبد البر: هو حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريره وغيره، وللطبرانى عن جابر مرفوعاً : «إنَّ الله بعثنى بتمام مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال». ا.هـ.

تجاه الطير والطيرة، فلقد كانوا – رضى الله عنهم – لا يتطيرون من شيء، بل على ربهم يتوكلون، كما أمرهم دينهم الحنيف.

فإذا تطير منهم أحد بأنْ وقع فى قلبه شيء من الطيرة رغماً عن إرادته ـ أي وسوس له الشيطان بها دون أن يكون له فعل فى ذلك ـ: فإنه يبادر إلى التوبة والاستغفار، والتكفير عما وسوس به صدره، فيقول الكفارة التى علّمها الرسول ﷺ لأصحابه وأمته، وأمرهم أنْ يقولوها إذا احتاج الأمر لذلك.

وفيما يلى بعض الصور المنقولة عن بعض الصحابة والتابعين – رضوان الله عليهم – فيما يختص بالطيور والطيرة .

أولاً : علي [1] بن أبى طالب – رضى الله عنه – والطير والطيرة :

كان علي بن أبي طالب رضى الله عنه لا يتطير، بل يثق بربه ويتوكل عليه في جميع أموره . قال في « مفتاح دار السعادة » وفي الفتاوى الكبرى لابن تيمية : رُوي عن علي بن أبي طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه أراد الخروج لحرب الخوارج، فاعترضه منجِّم فقال : يا أمير المؤمنين لا تخرج. فقال : لأي شيء ؟! قال : إنّ القمر في العقرب، فإنْ خرجتَ أُصبتَ وهُزِم عسكرك. فقال علي رضى الله عنه :

---

(١) علي بن أبي طالب – رضى الله عنه ـ ابن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، القرشي الهاشمي، يكنى أبا الحسن ، واسم أبيه أبى طالب: عبد مناف، وقيل اسمه كنيته، والأول أصح .. وكان أصغر ولد أبى طالب .. وقال ابن إسحاق : أول من آمن بالله وبرسوله محمد ﷺ من الرجال على بن أبى طالب بعد خديجة ـ رضى الله عنها ـ. صحابي جليل، مناقبه كثيرة ، وهو رابع الخلفاء الراشدين، ومن العشرة المبشرين بالجنة ، قتله عبد الرحمن بن ملجم ليلة الجمعة لثلاث عشرة وقيل لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ٤٠ هـ، وقتل وهو ابن ثلاث أو أربع وستين سنة، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وستة أيام، وقيل ثلاثة أيام، وقيل أربعة عشر يوماً.
(الاستيعاب جـ ٣ /٢٦).

ما كان لرسول الله ﷺ ولا لأبي بكر [1] ولا لعمر [2] مُنَجِّم، بل أخرجُ ثقة بالله، وتوكلاً على الله، تكذيباً لقولك. فما سافر بعد رسول الله ﷺ سفرة أبرك منها ! قتل الخوارج وكفى المسلمين شرهم، ورجع مؤيداً منصوراً، فائزاً ببشارة النبي ﷺ لمن قتلهم حيث يقول: « طوبى لمن قتلهم »، وفي لفظ: « تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»، وفي لفظ: « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». وقال علي رضى الله عنه لأصحابه: « لولا أنْ تتكلوا لحدثتكم بما لكم عند الله في قتلهم [3].

فكان هذا الظفر الذى أحرزه علي بن أبي طالب رضي الله عنه على الخوارج بركة من الله وتوفيقاً لعليّ رضى الله عنه بسبب مخالفته للمُنَجِّم وتكذيبه له، وببركة ثقته بالله وحده؛ رب النجوم والمتصرف فيها، ورب كل شيء، فمن توكل على الله فهو حسبه .

---

(١) أبو بكر الصديق؛ خليفة رسول الله ﷺ ، اسمه عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيْم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى، يلتقى مع رسول الله ﷺ في مرة . وأجمعت الأمة على تسميته الصدّيق ، لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ ولازم الصدق فلم تقع منه هنَاة. مناقبه كثيرة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكانت له في الإسلام مواقفه الرفيعة . (تاريخ الخلفاء ص ٢٧).

(٢) عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزى بن رِياح بن قُرْط بن رَزَاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، أمير المؤمنين ، أبو حفص، القرشي، العدوى، الفاروق. أسلم فى السنة السادسة من النبوة وله سبع وعشرون سنة ـ قاله الذهبى، وقال النووي : ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم ـ أو بينهم وبين غيرهم – بعثوه سفيراً، أى رسولاً، وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه مفاخراً أو منافراً، وأسلم قديماً بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة، وقيل بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة. وقيل : بعد خمسة وأربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة، فما هو إلا أن أسلم فظهر الإسلام بمكة وفرح به المسلمون . قال : وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار رسول الله ﷺ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهّادهم . واستشهد فى آخر سنة ثلاث وعشرين هـ على يد أبى لؤلؤة المجوسى. « تاريخ الخلفاء ص ١٠٨ – ١٠٩».

(٣) الفتاوى الكبرى جـ١ /٣٩٤، ومفتاح دار السعادة حـ٢ /٢١٤.

ولقد كانت هذه الحادثة شهادة من علي بن أبي طالب رضى الله عنه على أنّ الرسول ﷺ كان من هديه الاعتماد على الله تعالى وحده، وعدم التطير أو التكهن أو التنجيم أو فعل أى شيء من هذا القبيل أو التعلّق به.

كما كانت شهادة أيضاً لأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما بأنهما كانا لا يتطيران من شيء، بل يتبعان سُنّة الرسول الكريم محمد ﷺ .

ثانياً : عبد الله بن عباس[1] ـ رضى الله عنهما ـ والطير والطيرة :

كان عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – لا يتطير، ويبادر بالإنكار على من تطير. حكى في فتح البارى عن الطبرى قال: قال عِكرمة رضى الله عنه : كنا قوماً عند ابن عباس – رضى الله عنهما – فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم : خير خير . فقال ابن عباس – رضى الله عنهما – : ما عند هذا خير ولا شر[2] .

وذلك مبادرة بالإنكار على الرجل لئلا يعتقد أنّ للطير تأثيراً فى الخير أو الشر .

ثالثاً : كَعْب الأحبار[3] ـ رضى الله عنه ـ والطير والطيرة :

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشى الهاشمى ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه لُبابة الكبرى بنت الحارث بن حزّن الهلالية. وُلد والنبى عليه الصلاة والسلام وأهل بيته بالشعب بمكة، فأُتى به النبي عليه الصلاة والسلام فحنّكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبى عليه الصلاة والسلام فى صغره، لقرابته منه، ولأن خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله ﷺ . وتوفى رسول الله ﷺ وله من العمر ثلاث عشرة سنة، وقيل خمس عشرة، فلازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله ﷺ. وكانت وفاته سنة ثمان وستين على الأرجح وله من العمر سبعون سنة. مات بالطائف ودفن بها وتولى وضعه فى قبره ابن الحنفية، وقال بعد أن سوى عليه التراب: مات والله حبر هذه الأمة . (التفسير والمفسرون جـ١ /٦٥).

(٢) فتح البارى : حـ ١٠/ ٢١٥.

(٣) كعب الأحبار : هو كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميرى ، أبو إسحاق : تابعى كان فى الجاهلية من كبار علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر، وقدم المدينة في دولة عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة، وخرج إلى الشام ، فسكن حمص، وتوفى فيها عن مائة وأربع سنين، من (الأعلام) لخير الدين الزركلى (٦ /ص ٨٥).

قال فى مفتاح دار السعادة :

قيل لكعب : هل تتطير ؟ فقال : نعم . فقيل له : فكيف تقول إذا تطيرت ؟ قال : أقول : اللهم لا طَيْرَ إلا طيرك، ولا خير إلا خيرُك ولا رَبَّ غيرُك، ولا قوة إلا بك.[1]

وقال فى زاد المعاد : وكان كعب يقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بك. والذى نفسى بيده إنها لرأس التوكل وكنز العبد فى الجنة، ولا يقولهن عبد عند ذلك ثم يمضى إلا لم يضره شيء[2] ».

قال ابن القيم : كان بعض السلف يقول عند التطير : طير الله لا طيرك، وصياح الله لا صياحك، ومساء الله لا مساك[3].

رابعاً : طاوس [4] ـ رضي الله عنه ـ والطير والطيرة :

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٥.

(٢) زاد المعاد : ٢ / ٤٥٧ .

(٣) مفتاح دار السعادة ٢ / ٢٣٥.

(٤) هو أبو عبد الرحمن طاوس بن كَيْسان اليماني الحِمْيرى الجَنَدي، مولى بحير بن ريْسان، وقيل : مولى همْدان، تابعي، روى عن العبادلة الأربعة، وغيرهم، روي عنه أنه قال : جالست خمسين من الصحابة. وكان رحمه الله عالماً متقناً، خبيراً بمعانى كتاب الله تعالى ، ويرجع ذلك إلى مجالسته لكثير من الصحابة، يأخذ عنهم ويروى لهم، ولكنْ نجده يجلس إلى ابن عباس أكثر من جلوسه لغيره من الصحابة، ويأخذ عنه فى التفسير أكثر مما يأخذ عن غيره منهم ، ولهذا عددناه من تلاميذ ابن عباس وذكرناه فى رجال مدرسته بمكة . ولقد كان طاوس على جانب عظيم من الورع والأمانة ، حتى شهد له بذلك أستاذه ابن عباس؛ فقال فيه : إنى لأظن طاوساً من أهل الجنة. وقال فيه عمرو بن دينار : ما رأيت أحداً مثل طاوس. وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة . وقال ابن مَعين : أنه ثقة، وقال ابن حبان : «كان من عُبّاد أهل اليمن، ومن سادات التابعين، وكان مستجاب الدعوة وحج أربعين حجة ». وقال الذهبي : «كان طاوس شيخ أهل اليمن وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة سنة ست ومائة». ا.هـ. «تهذيب التهذيب حـ ٨/٥ –١٠ »، « التفسير والمفسرون جـ ١١٢/١».

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

خرج طاوس ـ رضي الله عنه ـ مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل : خير. فقال طاوس رضى الله عنه : وأي خير عنده ؟ والله لا تصحبني [1].

خامساً : عمر بن عبد العزيز [2] -رضى الله عنه - والطير والطيرة:

كان عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ لا يتطير، هكذا جاء في سيرته التي تناولها الكتاب، وتناقلها الرواة . ولقد حدث أنْ كان عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ والياً على المدينة المنورة، ولكنّ الخليفة الأموى في ذلك الوقت ـ الوليد بن عبد الملك ـ عزله عن ولايتها، فخرج منها في شعبان من سنة ثلاث وتسعين هجرية وحيداً يصحبه في خروجه مولاه الفقيه الصالح : مُزاحم بن أبي مزاحم .

وكان مزاحم متشائماً، أو نزعت نفسه إلى التشاؤم، فكان يختلج في بحور المظنة... أخطأ فرأى حظه وحظ عمر فى معارج القمر، ومطالع النجوم، وكان الليل

---

(١) مفتاح دار السعادة : جـ ٢ /٢٣٥.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأموي، القرشي ، أبو حفص الخليفة الصالح ، والملك العادل ، وربما قيل له: خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم . وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام . ولد ونشأ بالمدينة، وولى إمارتها للوليد، ثم استوزره سليمان بن عبد الملك بالشام . وولى الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩هـ، فبويع فى مسجد دمشق . وسكن الناس فى أيامه ، فمنع سب على بن أبى طالب (وكان من تقدمه من الأمويين يسبونه على المنابر)، ولم تطل مدته ، قيل دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة فتوفى به . ومدة خلافته سنتان ونصف . وأخباره فى عدله وحسن سياسته كثيرة . وكان يدعى « أشج بنى أمية »، رمحته دابة وهو غلام فشجته . وقيل فى صفته : « كان نحيف الجسم ، غائر العينين، بجبهته أثر الشجة، وخطه الشيب ، أبيض، رقيق الوجه، مليحاً ». وفى كتاب الإسلام والحضارة العربية: « كانت طريقته فى إدارة ولايته إطلاق الحرية للعمال ، ولا يشاور الخليفة إلا فى أهم المهمات مما يشكل عليه أمره... ولابن الجوزى « سيرة عمر بن عبد العزيز - ط»، ولعبد الله بن عبد الحكم « سيرة عمر بن عبد العزيز ـ ط »، ولعبد الرؤوف المناوى « سيرة عمر بن عبد العزيز ـ خ»، ولأحمد زكى صفوت «عمر بن عبد العزيز ـ ط»، ولعبد العزيز سيد الأهل الخليفة الزاهد - ط. ا.هـ. (نقلته من كتاب : « الأعلام » لخير الدين الزركلى، جـ ٥ /٢٠٩).

قد أطلع القمر مستوى الدوران، باهر الضوء، ولكنه كان ينزل بدارة من داراته يقال لها الدبران [1]، كانوا فى الخرافات القديمة يقولون : إنها مطلع هزيمة، ومنزلة شؤم.

وبينما عمر ومزاحم يمضيان فى الطريق نظر مزاحم إلى القمر، فعرف المنزلة، وظن الهزيمة، فارتجف قلبه، ولكنه كتم ما به، وأجمع أمره على أن يُلفت نظر عمر إلى ضوء القمر وتمام استدارته، وحسن طلعته، ليصرف عمر ـ نفسه ـ إليها، فقال له: ألا تنظر إلى القمر؟ ما أحسن استواءه فى هذه الليلة ؟ فنظر عمر، فإذا القمر فى الدبران، فعرف ما وقعت عليه نفس مزاحم، وقال له: كأنك أردت أن تعلمني أن القمر بالدبران ؟ فلم يجب مزاحم، فقال عمر: يا مزاحم، إنا لا نخرج بشمس ولا قمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار[2].

واستمسك عمر دون صاحبه، وطرح عن نفسه التشاؤم، ومطالع النجوم، فلو كانت الأمور تجري وراء التفاؤل والتشاؤم لنامت الجهود، وانطفأت النفوس، وكان عمر قد خرج من المدينة لأمر بيَّته في نفسه وقد صمم أن يمضي فيه حتى لو نزل القمر وأقام طول عمره في الدبران !

وإنّ عمر ـ رحمه الله ـ ليعلم أنه لا طير إلا على متطير، وإنما هو شيء يوافق شيئًا أحيانًا، وباطله كثير، أو كله باطل، وإنه ليعلم أنّ الإسلام أثبت الفأل واستحسنه، وأبطل الطيرة ونهى عنها . ومع أن النفوس تميل إلى شيء من الباطل ساعة تتأزم بها الأمور فإن الأمور الكائنة محت من نفس عمر اشتياقه إلى فأل أو زجر من أشكال

---

(١) الدبران : منزلة من ثمانية وعشرين نجماً هن أمات المنازل ، والدبران الكوكب الأحمر الذى على أثر الثريا، بين يديه كواكب كثيرة مجتمعة، من أدناها إليه كوكبان صغيران يكادان يلتصقان ، يقول الأعراب : هما كلباه ! والبواقى: غنمه أو نياقه ! وسمى بالدبران لأنه دبر الثريا، أى خلفها. ونوؤه: ثلاث ليال، وقيل: بل هو ليلة ، وهو غير محمود عندهم . (انظر الأزمنة والأمكنة : جـ١ /١٨٦ ، ١٨٨، ٣١٥).

(٢) ابن عبد الحكم ص ٢٨ .

الفلك، ولو استسلم عمر حينئذ لوجوه الاستدلال من حركات النجوم وعدل إلى التكهن لصدق بكثير من الظنون والأباطيل، ولكنه خرج من المدينة معتمداً على الله تعالى وحده، فما لبث أن صار خليفة للمؤمنين بوصية من الخليفة الأموى سليمان ابن عبد الملك ثم بمبايعة الناس بعد موت سليمان ... فملأ الدنيا عدلاً [١] .

رابعاً : صوت العقل والفطرة السليمة ينكران الطيرة :

هذا ولابد لنا أن نقرر أنّ الإنسان إذا استمع إلى صوت العقل والفطرة السليمة التى فطر الله الناس عليها فإنه يدرك لا محالة أن الخير والشر مقدران عليه من الله تعالى، فلا يلتفت للأوهام التى كان يتطير بها الجهال، بل يقرر عجزها ويفتخر بعدم الخوف منها؛ كما جاء فى بعض شعر الذين نفوا الطيرة؛ سواء أكان ذلك في الجاهلية أو في الإسلام :

قال المُرَقِّش السدوسي [٢] :

ولقد غدوت وكنت لا	أغدو على واق وحائم
فإذا الأشائم كالأيا	من والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا	شر على أحد بدائم
لا يمنعنك من بغا	ء الخير تعقاد التمائم
قد خط ذلك فى السطو	ر الأوليات القدائم

يعنى بالواق : الصرد، وقد سبق تعريفه، قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح: هو مهمل الحروف على وزن « جعل »، وكنيته : أبو كثير! وهو طائر فوق العصفور، يصيد العصافير، والجمع صردان. و « الحائم » [٣] : هو الغراب الأسود، سمى حائماً

---

(١) عن قصة الخليفة الزاهد : (٦٧ - ٧٠) ـ بتصرف .

(٢) فتح البارى : حـ ١٠ /٢١٣ ، مفتاح دار السعادة حـ٢ /٢٣٠ ، حماسة البحترى ٢٥٥ ، والأغانى ٩ /١٥٧ ساسى. والأبيات فى الحماسة والأغانى منسوبة إلى (المرقم) بدلاً من المرقش.

(٣) حياة الحيوان الكبرى : جـ ١ /٢٢٥، جـ ٢ /٣٩٠ .

لأنه يحوم عندهم بالفراق، وبعضهم قال « حاتم » بدلاً من « حائم »، سموه حاتماً لأنه كان عندهم يحتم بالفراق .

فالشاعر في الأبيات السابقة يؤمن بالقضاء والقدر، وأنّ ما يصيبه لم يكن ليخطئه، وما يخطئه لم يكن ليصيبه، ويقول : بأنه يخرج في الصباح لشئونه وأعماله دون أن يهتم بزجر الطير، أو يلتفت للسوانح والبوارح، لأنه وجد بالتجربة بطلان الاعتماد على مثل تلك الأمور التافهة فالأشائم ـ وهي التي تأتي من جهة اليسار ـ: كالأيامن. وهى التي تأتي من جهة اليمين؛ في عدم قدرتها على النفع والضرر.

وقال لَبيد [1]:

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصا ولا زاجرات الطير ما الله صانع

فنفى علم الغيب عن الكواهن اللواتي يدعين العلم بالمغيبات عن طريق طرق الحصا.

كما نفى العلم عن زاجرات الطير، ورده لله تعالى وحده.

وقال الشاعر [2]:

ولا أنثنى من طيرة عن مريرة إذا الأخطب الداعى على الدوح صرصرا

الأخطب ـ كالأحمر ـ يقال إنه الصرد.

---

(١) (فتح البارى جـ١٠ /٢١٣) ، (حياة الحيوان الكبرى : ٢ / ١٢) (بلوغ الأرب : ٣ / ٣٢٧) .. وفيه (فاعل) بدلاً من (صانع).

(٢) حياة الحيوان الكبرى : جـ ١ /١٩ .

وقال الكُميت [1]:

ومـا أنا ممن يزجـر الطيـر همـه أطار غـراب أم تعـرض ثعلب [2]

ولا السانحات البارحات عشية أمـر سليم القـرن أم مـر أعـضب

فالكميت هنا يفتخر بنفسه، ويقرر أنه لا يتطير ولا يتشائم مهما صادفه في طريقه من الظواهر.

وقال الجهم الهذلي[3]:

أَلَمْ تر أنَّ العـائفين وإنْ جـرت لك الطير عما في غد عميان

يظنان ظناً مرَّةً يخطيـانه وأخرى على بعض الذى يصفان

قضى الله أنْ لا يعلم الغيب غيره ففي أي أمـر الله يمتـريان [4]

فقد قرر الشاعر هنا أنّ العائفين ـ وهم الذين يزجرون الطير ويتفاءلون بسراتها ـ عاجزون تماماً عن معرفة علم الغيب الذى هو من خصائص الله سبحانه وتعالى وحده، وأنَّ ما يفعلونه لا يتعدى الحدس والتخمين والظن، فيصدقون تارة ويخطئون مرات كثيرة.

وقال خيثم بن عدي يمدح منكر الطيرة [5]:

وليس بهـيـاب إذا شـد رحله يقـول عـداني اليـوم واق وحـاتم

ولكنه يمضى على ذاك مـقـدمـا إذا حـاد عن تلك الهنات الختـارم

و« الختارم » : العاجز الضعيف الرأى المتطير.

و« الواق » : من طير الماء؛ لونه أبيض.

---

(١) مفتاح دار السعادة: جـ٢/ ٢٣٠، العمدة ٢/ ٢٠٢. ونسبها الألوسى إلى ضابيء بن الحارث البرجمي ٣/ ٣٢٧. والبيت الأول:

ولا أنـا ممـن يزجـر الطير همـه « أصاح » ....

(٢) (أعضب) : الناقة ونحوها شق أذنها ، والأعضب: المشقوق الأذن ، وكانوا يتشاءمون به فى الجاهلية.

(٣) مفتاح دار السعادة : جـ ٢ / ٢٣٠.

(٤) يمتريان : يكذبان.

(٥) الحيوان للجاحظ ٣ / ١٣٥ ، فتح البارى حـ١٠/٢١٣ ومفتاح دار السعادة حـ٢ / ٢٣٠ ، ٢٥٦.

أي أن الطير والطيرة لا ترجعه عن قصده، فهو لذلك شجاع لا يهاب المصائب.

وفي كتاب الحيوان للجاحظ الأبيات منسوبة لـ « حاتم بن عدي » وهو يفتخر بنفسه وبشجاعته وعزيمته القوية فلا يثنيه عن قصده صُرَد ولا غراب .

وقال زياد بن سيار الفزاري نافياً للطيرة [١] :

تخــبّر طَيــره فـيــهـــا زياد	لتـخـبـره ومـا فـيـهـا خـبـيـر
أقـامَ كـأن لقـمـــان بن عـــاد	أشـار له بحكمـتـه مـشـيـر
تـعـلـمْ أنـه لا طـيــــــر إلا	على مـتطيـر وهو الثـبــور
بـلـى شـيء يـوافـق بـعـض شـيء	أحـــايينا وباطله كـثـيـر
و مــن يـنــزح بــه لابـد يــوماً	يجيء به نَعِيّ أو بشـــيــر

وذلك أن زياد بن سيار الفزاري تجهز للغزو مع النابغة، فلما أراد الرحيل نظر النابغة إلى جرادة قد سقطت عليه، فقال: جرادة تجرد وذات ألوان! عزيز من خرج من هذا الوجه، وأبَى النابغة أن يرحل، ولكنْ زياد نفذ لوجهه، ولم يتطير، فرجع سالماً غانماً، وأنشد الشعر السابق .

والأبيات تدل على أن الطيور لا أثر لها فى نجاح أو فشل، وإنما هى مصادفات تصيب وتخطيء، والمصادفة ليست سبباً ولا علة .. كما جاء فى الأبيات أنّ الطيرة إنما تضر المتطير وحده حتى تهلكه.

وقال الشاعر ينفي الطيرة بجميع أشكالها وألوانها [٢]:

الزجــر والطيــر والكهـــان كلهـم	مــضللون ودون الغـيـب أقـفـــال

---

(١) مفتاح دار السعادة : جـ ٢ / ٢٣١، والبيان والتبيين ٣ /١٨٤ ، والهوامل والشوامل. وقد ذكر الجاحظ هذه الأبيات و نسبها إلى زبان بن سيار بن عمرو بن جابر ، ولم يشر إلى قصة النابغة، ولكن البيت الأول فيه اسم «زياد».

الحيوان : ٣ /١٣٨ ، العمدة ٢ / ٢٠٢ ، وربيع الأبرار للزمخشرى / مخطوط، رقم الورقة : ١٢٣ .

(٢) فتح الباري جـ ١٠ /٢١٣ .

وقال آخر [1]:

وما عاجلات الطير تدني من الفتى ... نجاحاً، ولا عن ريثهنّ قصور

وقال الشاعر هازئاً [2] :

قالوا إذا ندب الغراب منازلاً ... يتفرق السكان من ساحاتها

بدارنا ألفا غراب ناعق ... كذب الرواة فأين صدق رواتها

وقال الشاعر رُؤبة بن العَجَّاج يصف فلاة [3] :

قطعتها ولا أهاب العطاسا

وقال الشاعر يذم المُنَجِّمين :

تدبِّر بالنجوم ولست تدرى ... ورب النجم يفعل ما يشاء

وقال المرقم [4]:

لا يمنعنك من بغا ... ء الخير تعقيد التمائم

لا والتشاؤم بالعطا ... س ولا التيمن بالمقاسم

والتمائم : جمع تميمة. قال فى: (إبطال التنديد: ص ٦٨) قال المصنف: شيء يعلق على الأولاد عن العين، لكن إذا كان المعلّق من القرآن فرخّص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه وجعله من المنهى عنه؛ منهم ابن مسعود.

---

(١) فتح البارى جـ١٠ /٢١٣ .

(٢)هو الشاعر الأديب ظهير الدين محمد بن المبارك، الشهير بابن الأعمى ، صاحب المقامة البحرية ، ووفاته فى المحرم سنة اثنتين وتسعين وستمائة. (انظر حياة الحيوان الكبرى جـ ٢ /٤٠٠).

(٣) مفتاح دار السعادة : حـ ٢ /٢٦٢ .

(٤) حماسة البحترى ٢٥٥ ، الأغانى ٩ / ١٥٧، ط. الساسى .

«المقاسم»: من يقاسمك.

فنهى عن التعلق بالتمائم التي يعلّقونها على أنفسهم وأموالهم حتى تحفظهم من عين الحاسد، كما نهى عن التشاؤم بالعطاس أو التيمن بالمقاسم؛ لأن التشاؤم يقعد بالمرء عن الكسب والعمل.

وقال أفنون بن صريم التغلبي :

يا أيها المزمع وشْكَ النوى لا يثنك الحازى ولا الشاحج
ولا وعول نجثت كُدساً خارجها من غمرة والج [1]

النوى : الفراق والرحيل، لا يثنك : لا يمنعك، الحازي : زاجر الطير، الشاحج: المراد به الغراب، نجثت: أي ثارت، كدساً : جمع كادس وهو الذي يجيء من الخلف والعرب تتشائم به، غمرة : جماعة الظباء والوعول... أي أنّ الذي يتخلّف عنها يدركها سريعاً، فيلج فيها لأنه عدّاء.

فالشاعر ينصح كل من يريد سفراً أو رحلة ما أنْ لا ينثني عن سفره بسبب زاجر للطير، أو نعيق الغراب! أو الوعول الآتية من الخلف : «فكله أوهام » .

وأما ربيعة بن مقروم فقد قرر أنّ السوانح والبوارح ـ وكذا الغربان ... ونحو ذلك .. لا تهمه، ولا يهتدي بها في أسفاره، وإنما يهتدى بالله تعالى وحده الذي يوفقه لما يريد؛ ولذا فقد قال :

أصبح ربي في الأمر يرشدني إذا نويت المسير والطلبا
لا سانح من سوانح الطير يثنـ يني ولا ناعب إذا نعبا [2]

وقال ضابيء بن الحارث :

(١) حماسة البحترى ٢٥٦ ، الحيوان للجاحظ ٣ / ١٣٩؛ إلا أن الجاحظ نسبها للحارث بن حلزة.
(٢) حماسة البحترى ٢٥٧.

وما عاجلات الطير تدني من الفتى نجاحاً ولا عن ريثهنّ يخيب
ورب أمور لا تضيرك ضيرة وللقلب من مخشاتهنّ وجيب
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب [1]

فالمراد بـ: « بعاجلات الطير » أي تلك التى تمر أمام الزاجر أول ما يبصر، فإن أبطأت عليه و زجرها فقد راثت، والأول يتفاءلون به، والثاني يتشاءمون به .

والمعنى الذى أراده الشاعر : هو أن السوانح والبوارح من الطير لا تضر و لا تنفع كما قد يعتقد البعض، فكثير من الأمور التى قد يتوجس منها الإنسان شراً ويخشاها تمر وتحدث دون ضرر، ولذا فعلى الإنسان أن يستسلم، ويوطّن نفسه على تحمل الشدائد؛ لأن الرجل الذى لا يهيىء نفسه للشدائد إنما هو رجل ضعيف الهمة، لا خير فيه، ولا رجاء منه.

قال أبو الشيص يبرىء الغراب من الطيرة ويندد بالمتشائمين به ويقول : إذا كان الناس يتطيرون من الغراب لأن اسمه قريب من الغربة – كما يدّعون – فأجدر بهم وأولى أنْ يتطيروا من الإبل التى هى مراكب الفرقة والغربة ومطاياها !!!

وإليكم ما يقوله شعراً :

النـاس يلحـون غـرا ب البين لما جـهلوا
ومـا على ظهـر غـرا ب البين تطوى الرحل
ولا إذا صـاح غـرا ب فى الديار احتملوا
مـا فـرّق الأحبـاب بعـ د الله إلا الإبـل
ومـا غـراب البين إلا نـاقـة أو جـمـل [2]

---

(١) تهذيب الكامل للمبرد ٢ / ٢٥٨ ، والأصمعيات من مجموع أشعار العرب ـ نشرها وليم بن الورد البروسى ١٦ ، وبلوغ الأرب ٣ / ٣٢٦ .

(٢) العمدة : ٢ / ٢٠١ .

كما أن عوف بن عطية بن الخَرِع التيمي لا يهتم بالطير ولا يتقيه، فهو يقرر في شعره بأنه وقومه يقصدون البلاد ليهجموا عليها ويغنموا منها غير خائفين من سنوح الطير أو بروحه؛ فالأمر عندهم واحد لأنهم لا يتطيرون .

قال عوف يفتخر :

نؤم البـــلاد لحب اللقـــاء   ولا نتـــقى طائراً حـــيث طارا
سنيـــحاً ، ولا بارحاً إنْ جـــرى   ونرجـــو هناك بهن اليســـارا [١]

وقال علقمة بن عبدة :

ومن تعـرض للغـربان يزجـرها   على سـلامتـه لابد مشئـوم [٢]

وقال أُحيحة بن الجلاح ينفى علم الغيب عن غير الله تعالى :

ومـا يدرى الفـقـيـر مـتى غناه   ومـا يدرى الغنيُّ مـتى يُعيل ؟
ومـــا تدرى وإنْ أَلْقَحْتَ شَوْلاً   أتلـقحُ بعـــد ذلك أم تَحِيلُ؟
ومـــا تدرى إذا ذَمَّرْتَ سَقْبَاً   لغـيـرك أم يكون لك الفـصـيلُ ؟
ومـا تدرى وإنْ جـمّعت أمـراً   بأىِّ الأرض يُدركك المقـيل؟ [٣]

يُعيل : يفتقر، الشول : الناقة التى تطلب اللقاح، ذمر: حبس، السَّقب:ولد الناقة.

كما قال المُخبَّل السعدي في نفس المعنى:

وتقـول عـاذلتي وليس لهـا   بغـدٍ ولا مـا بعـده علم [٤]

---

(١) معجم الشعراء: ٢٧٦.

(٢) المفضليات : ٢ / ١٠١.

(٣) جمهرة أشعار العرب ٢٥٥.

(٤) حماسة البحترى ١٤١.

وقال في نفس المعنى أيضاً :

وما أدري إذا يممت أرضاً ... أُريدُ الخير أيهما يليني
آلخيرُ الذى أنا أبتغيه ... أم الشر الذى هو يبتغيني [1]

وقال لَبيد [2] :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال أن أصدق الشعر الذي قالته العرب هو هذا الذى قاله لبيد[3] .

وقال عنترة بن شداد :

بَكرت تُخوِّفُني الحُتوفَ كأنني ... أصبحتُ عنْ عرض الحتوفِ بِمَعْزل
فأجبتُها إنَّ المنية مَنْهَلٌ ... لابُدَّ أنْ أُسقى بكأس المنهلِ
فاقْنَيْ حياءَك لا أبا لكِ واعلمي ... أنى امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقْتَلِ [4]

فهو لا يستمع إلى تخويف صاحبته له مما قد يلقاه من المكاره والمتالف بسبب تهافته على الحروب، بل إنه ليصم أذنيه عن ندائها قائلاً لها : إنَّ المنيّة مورد كل إنسان، ولابد أن أموت! فليكن موتي شريفاً في ميدان الحروب، ويدعوها أن تصون حياءها، فهو ميت على كل حال، وخير له أن يموت مناضلاً عن قومه مدافعاً عنْ نسائهم وأطفالهم وضعفائهم.

---

(١) حماسة البحترى (١٨٦).

(٢) ديوان لبيد، الشعر الجاهلى ص (٢٦٠) .

(٣) متفق عليه ، وانظر صحيح الجامع (رقم ١٠١٣).

(٤) مجموعة (مختار الشعر الجاهلى) لمصطفى السقا ص ٣٨٨، وتاريخ الأدب الجاهلى – لشوقى ضيف، ص ٣٧٠.

الحتوف : المتالف ، منهل : مورد ، اقنى : احفظى.

جعفر البرمكى والمُنَجِّم:

قال ابن خلكان : «ومما يُنسب إلى جعفر البرمكى وزير الخليفة العباسي هارون الرشيد أنه بلغه أنَّ الرشيد مغموم لأنَّ منجِّماً يهودياً زعم أنه يموت في تلك السنة، يعنى الرشيد، وأنَّ اليهودي في يده، فركب جعفر إلى الرشيد، فرآه شديد الغم، فقال لليهودي : أنت تزعم أن أمير المؤمنين يموت إلى كذا وكذا يوماً ؟ قال : نعم . قال: وأنت كم عمرك ؟ قال : كذا وكذا أمداً طويلاً -، فقال للرشيد : اقتله حتى تَعْلَمَ أنه كذب في أمدك كما كذب فى أمده، فقتله، وذهب ما كان بالرشيد من الغم، وشكره على ذلك، وأمر بصَلْب اليهودي، فقال أشجع السُّلَمي في ذلك :

سلِ الراكبَ الموفي على الجذع هل رأى ... لراكبه نجماً بدا غيرَ أعور

ولو كان نجمٌ مخبراً عن مَنِيَّةٍ ... لأخبره عن رأسه المُتَحيِّرَ

يعرِّفُنا موتَ الإمام كأنه ... يُعَرِّفُنا أنباء كسرى وقيصر

أتخبرُ عن نحسٍ لغيركَ شُؤْمُه ... ونجمُكَ بادي الشر يا شرَّ مُخْبِرِ

ومضى دم المنجم هدراً بحمقه »[1].

* * *

الخلاصة للباب الثانى

اتضح لنا مما تقدم حقيقة الطيرة، وأنها غريزة يكتسبها الإنسان من بيئته التي يعيش فيها إذا ضعف في قلبه إيمانه بالله تعالى عز وجل، واستسلم لشهوات نفسه ونزواتها وشرورها.

كما تبين لنا أنَّ الخير و الشر مُقَدَّران على الخلق منذ الأزل، وأنه لا يمكن لأحد غير الله تعالى أنْ يضر أو ينفع، كما تبين لنا أنَّ الغيب وعلومه من اختصاص

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٣٢٩.

الله تعالى وحده، ولا يطلع عليه أحداً من خلقه، إلا لمن يشاء من عباده، إما عن طريق الوحي وإما عن طريق الرؤى الصالحة، كرؤى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ورؤى غيرهم ممن يشاء الله من عباده.

كما تبين لنا أنّ جميع المخلوقات مربوبة مسخرة لا تحيد عن أمر الله، وأنه لا مفر من قضاء الله تعالى إلا إليه؛ حيث المنتهى والمآل والمرجع إليه وحده سبحانه وتعالى.

كما تبين لنا أنه بالتوكل على الله تعالى وحده وتفويض الأمر إليه ينجح الإنسان في جميع مقاصده وأموره، وأن الله يستجيب الدعاء لمن يدعوه، ويكشف السوء عمن يستغيث به، كما أنّ دعوة غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك أكبر ينافي التوحيد ويُخرج الإنسان من المِلّة ـ والعياذ بالله ـ.

ومن هذا المنطلق يتقرر لنا فساد الطيرة وبطلانها، وأنها لا محل لها في قلوب المؤمنين، وأنه لا يمكن الاستدلال على طرق الخير إلا بالله تعالى، فالهداية بيده وحده، والتوفيق من عنده، فلا ممرات الطيور ولا الكهنة ولا السحرة ولا رؤية النجوم ولا سماع ما يكره ـ: يمكن أن يدلنا على أقدارنا المقدرة، وإنما كل ذلك أوهام وأباطيل، لا حقيقة لها تؤيدها، ولا شاهد يسندها، من اعتقد فيها فقد أشرك، ومن اعتمد عليها فقد ضل ضلالاً بعيداً، وفتح على نفسه أبواب البلاء، وصار قريناً للشيطان، بعيداً عن الرحمن.

ومن ناحية ثانية فإن القرآن الكريم لم يكتف بإسناد ما يصيب الإنسان من خير أو شر لله تعالى وحده، وإنما ذم المتطيرين، وبيّن فساد عقيدتهم، وكذب دعواهم، كما مدح المتوكلين عليه سبحانه وتعالى، كما أنّ الرسول الكريم ﷺ كان لا يتطير، وكذلك الصحابة والتابعون رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وحتى الذين استمعوا لصوت العقل وحده وجدوا بالتجربة أن الطيرة باطلة ولا أساس لها .

وأما الحالات التي صحت فيها الطيرة كما جاء في الأدب الجاهلي وحياة أصْحَابِه فإن ذلك ليس دليلاً على صحة الطيرة، وإنما هو موافقة للقضاء والقدر،

فالطيرة ما هي إلا حَدس وتخمين، والتخمين والحدس يصيب تارة ويخطيء تارات، وليس كل ما تطير به المتطيرون وقع جميعه وصدق، بل أكثره كاذب، وقليله صادق، والناس في هذا المقام إنما ينقلون ما صح ووقع ويعتنون به، فيظنه « الباحث » كثيراً! كما أنَّ من شأن النفوس حفظ الصواب للعجب به والاستغراب منه، وتناسى الخطأ وتركه، سواء أكان ذلك فى قصص السوانح والبوارح أو في غير ذلك من الحوادث ومواقع النجوم .

وفيما سبق من الشواهد والدلائل ما فيه الكفاية لكل مؤمن أن يتيقن بقلبه وعقله فساد الطيرة، وأنه لا طير إلا على متطير ..... وأنَّ الأقدار بيد الله تعالى وحده يصرفها كيف يشاء.

وفي الباب التالي – إن شاء الله تعالى – سنتعرض لحكم الطيرة في الشريعة الإسلامية، وكفارة مَنْ رَدّته الطيرة عن حاجته .

*   *   *



الباب الثالث

النهي عن الطيرة، وكفارتها، واستحباب الفأل

الفصـــل الأول : النهى عن الطيرة وتحريمها.

الفصل الثـــاني: الشؤم في ثلاث.

الفصل الثـــالث: الطيرة شرك.

الفصل الرابــع: حدّ الطيرة المنهي عنها.

الفصل الخامس: كفارة الطيرة.

الفصل السادس: استحباب الفأل.



الفصل الأول

النهي عن الطيرة وتحريمها

النصوص الواردة في هذا الموضوع :

١ – قال الله تعالى يذم المشركين من قوم صالح عليه السلام لتطيرهم بصالح عليه السلام: ﴿ **قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ [النمل:٤٧] .

٢ – وقال عز وجل يذم فرعون وقومه لتطيرهم بموسى عليه السلام ومن آمن معه : ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه إلا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾ [الأعراف: ١٣١] .

٣ – وقال سبحانه وتعالى يذم أصحاب القرية لتطيرهم برسل الله عز وجل: ﴿ **قالوا إنّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم * قالوا طائركم معكم أئن ذُكّرتم بل أنتم قوم مسرفون** ﴾ [يس: ١٨، ١٩] .

٤ – وقال الله تعالى يذم المتطيرين بمحمد ﷺ : ﴿ **وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قُل كلٌّ من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا** ﴾ [النساء: ٧٨] .

٥ – وقال تعالى مقرراً حقيقة القضاء والقدر وأنه لا يصيب الإنسان في الدنيا والآخرة إلا ما كتب له : ﴿ **وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابًا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبًا** ﴾ [الإسراء: ١٣–١٤] .

الآيات السابقة من القرآن الكريم تذم أهل الشرك والضلال لتطيرهم برسل الله عز وجل الكرام – عليهم الصلاة والسلام –؛ وذلك لما في هذه الطيرة من جهل وضلال، وسوء أدب مع الله سبحانه وتعالى، ومع رسله.. ولما فيها من نسبة ما يصيبهم

من خير أو شر إلى المخلوق..كائنًا ذلك المخلـوق من كان .. فالخير والشر لا يكونان إلا من الله سبحانه وتعالى وحده دون سواه ـ كما قررت ذلك الآيات الكريمة.

وأما ما يصيب الإنسان من خير أو شر: فذلك للابتلاء والامتحان من ناحية، وقد يكون جزاء على الأعمال من ناحية أخرى .. فمن الجزاء ما هو معجل يأخذه الإنسان، ومنه ما هو مؤجل يوفاه العبد يوم القيامة: كما قال تعالى: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سعيه سوف يُرى * ثم يجزاه الجزاء الأوفى** ﴾ [النجم: ٣٩-٤١]، وقال تعالى على لسان ذى القرنين: ﴿ **قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذابًا نكرًا** ﴾[الكهف: ٨٧].

ولذا فقد كان أكثر دعاء الرسول ﷺ : «اللهمّ ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

هذا وقد سبق شرح الآيات الكريمة السابقة بالتفصيل في الباب الثاني من هذا الكتاب.. وأرجو أن يكون فيه الكفاية.

وقد جاءت الأحاديث الشريفة مؤكدة لحكم القرآن الكريم في الطيرة، فنفى رسول الله ﷺ الطيرة، وبيّن فسادها، وأنها لا تضر ولا تنفع .. بل و زاد على أحكام القرآن الكريم بأنه قطع بأنّ «الطيرة شرك» وأنه « لا طيرة إلا على متطير»، كما بيّن حد الطيرة الشركية، وأرشد أمته إلى ما ينبغي قوله لمن وقع في قلبه شيء من التطير.. ثم وَجّههم إلى ما يليق بهم من حسن الاعتماد على الله عز وجل، وتحكيم العقول في كل الأمور، وترك الأباطيل والأوهام؛ لأن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى وحده ... والمقادير يتصرف فيها وحده.. وكل شيء أو أمر من أمور الدنيا والآخرة راجع إليه، فالتعلق به ـ سبحانه وتعالى ـ أولى، وتفويض الأمر إليه وحده أحق.. والتوبة والإنابة إليه أَلْيَق.

هذا .. وفيما يلي نصوص الأحاديث الشريفة التي تتناول الطيرة وحكمها وكفارتها:

١ – جاء في الصحيحين من رواية أبي هريرة – رضـي الله عنه – أنَّ رسول الله ﷺ قال: « لا عدوى، ولا طـيرة، ولا هامـة، ولا صفَر »[1]، وزاد مسلـم: « ولا نَوْء، ولا غُول » [2].

٢ – وأخرج مسلم عن جابر – رضى الله عن الجميع – قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « لا عدوى ولا صفر ولا غُول » [3].

٣– وأخـرج البـخـاري ومـسلم وأبو داود، عن أبي هريرة – رضي الله عنهم أجـمعين – قـال: إنَّ النبي ﷺ قال: « لا عدوى، ولا صـفـر، ولا هامة » فـقـال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيأتى البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها (كلها) ؟ فقال: « فمن أعدى الأول؟ »

قال البخاري: رواه الزهري عن أبى سلمة (ابن عبد الرحمن) وسنـان بن أبي سنان.

وفي رواية سنان وحده بنحو ذلك.

وفي رواية لأبي سلمة أنه سمع أبا هريرة بعد يقول: قال ﷺ: « لا يُوردِ مُمْرِضٌ على مُصِحّ » وأنكر أبو هريرة حديثه الأول، قلنا: ألم تُحَدِّث أنه «لا عدوى» ؟ فرَطن بالحبشية، قال أبو سلمة: فما رأيته نسى حديثاً غيره!

وفي رواية أخرى عن أبي سلمة أنَّ رسول الله ﷺ قال: « لا عدوى » وتحدث أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يورد مُمرِض على مُصِحّ » قال الزهرى: قال أبو سلمة: كان أبو هريرة يحدث بهما كليهما عن رسول الله ﷺ، ثم صمت أبو هريرة بعد ذلك عن قوله « لا عدوى » وأقام على أن «لا يورد مُمْرِض على مُصِحٌ» قال: فقال الحارث بن أبي ذباب – وهو ابن عم أبى هريرة –: قد كنت أسمعك يا أبا هريرة

---

(١) صحيح البخاري: ج١٧٥/٧ كتاب الطب باب لا هامة من رواية محمد بن الحكم عن النضر عن إسرائيل عن أبى حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة – رضي الله عنهم أجمعين –.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام ، المجلد الرابع ص ١٧٤٤، رقم (٢٢٢٠).

(٣) جامع الأصول ج٦٣٣/٧، ٦٣٤ – رقم الحديث ٥٨٠٨، وتخريجه كما يلى: أخرجه مسلم في كتاب السلام رقم (٢٢٢٢)، المجلد الرابع ص ١٧٤٤.

تحدثنا مع هذا الحديث حديثاً آخر قد سكتّ عنه، كنت تقول: قال رسول ﷺ: «لا عدوى»؟! فأبى أبو هريرة أن يعرف ذلك، وقال: «لا يورد مُمْرِض على مُصِحٍّ» فماراه[1] الحارث في ذلك حتى غضب أبو هريرة فرطن بالحبشية، فقال للحارث: أتدري ماذا قلتُ؟ قال: لا! قال أبو هريرة: قلت: «أُبَيْتَ *» قال أبو سلمة: ولعمْرى! لقد كان أبو هريرة يحدثنا أنّ رسول الله ﷺ قال «لا عدوى»، فلا أدرى: أنسى أبو هريرة أو نسخ أحد القولين الآخر؟

وفي رواية أخرى: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل». قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم» أخرجه البخاري ومسلم.

وللبخاري: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر».

وله في أخرى زيادة: «و فرّ مِنَ المجذوم كما تَفرُّ من الأسد».

ولمسلم: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر».

وفي أخرى: «لا عدوى ولا هامة ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح».

وأخرج أبو داود من هذا الحديث الرواية الأولى، وأخرج نحو الرواية الثانية أخصر منها، وأخرج رواية مسلم التي فيها النوء.

وله في أخرى أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا غُول».

قال أبو داود: قال بقية: سألت محمد بن راشد عن قوله: «ولا هام» فقال: كان أهل الجاهلية يقولون: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. وعن قوله: «لا صفر»؟ قال: كانوا يستشئمون بدخول صفر، فقال النبي ﷺ: «لا صفر»، قال: وسمعت من يقول: هو وجع يأخذ في البطن يزعمون أنه يُعدي.

قال أبو داود: وقال مالك: كان أهل الجاهلية يحلون صفر عاماً ويحرمونه عاماً،

---

(١) من المماراة وهى المجادلة، وكأن كل واحد من الخصمين يمري ما عند صاحبه حتى يعرف حجته ويرد عليه.

* انظر النهاية لابن الأثير (٢٠/١) : أُبِّيتَ. الناشر.

فقال رسول الله « لا صَفَر » . ا.هـ [1].

٤- أخرج مالك في الموطأ عن ابن عطية [2] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لاعدوى ولا هام ولا صفر، ولا يَحُلَّ المُمْرِض على المُصِحِّ، وليحلّل المصح حيث شاء» . فقالوا: يا رسول الله، وما ذاك ؟ قال: «إنه أذى » . عزاه ابن الأثير للموطأ [3].

٥- وأخرج الترمذي عن حابس التميمي رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «لا شيء في الهام، والعين حق » عزاه ابن الأثير للترمذي [4].

---

(١) « جامع الأصول في أحاديث الرسول » رقم الحديث (٥٨٠٩)، ج٧/٦٣٤-٦٣٧ الكتاب الخامس، في الطيرة والفأل والشؤم وما يجرى مجراها ... وتخريج الحديث كما يلي :
رواه البخاري ٢٠٦/١٠ في الطب، باب لا هامة ولا صفر، وباب لا صفر، وباب لا عدوى، ومسلم رقم ٢٢٢٠ في السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، وأبو داود رقم ٣٩١١، ٣٩١٢، ٣٩١٣، ٣٩١٤، في الطب، باب في الطيرة.

(٢) قال الزرقاني في شرح الموطأ: كذا رواه يحيى - يعني الليثي - وتابعه قوم، وقال القعنبي: عن ابن عطية الأشجعي عن أبي هريرة، وتابعه جماعة منهم عبد الله بن يوسف وأبو مصعب ويحيى بن بكير إلا أنه قال: عن أبي عطية، أي بأداة الكنية، وابن عطية: اسمه عبد الله بن عطية، قيل: هو مجهول، لكنّ الحديث محفوظ عن أبي هريرة من وجوه، قاله ابن عبد البر، وقد وافق ابن بكير في ذكره بأداة الكنية بشرُ بن عمر الزهراني عن مالك، لكنه خالف في صحابيه، فقال: عن أبي برزة، أخرجه الدارقطني في اختلاف الموطآت، لكنه وهم من أبي هاشم الرفاعي راوية عن أبي بشر، وإنما هو عن أبي هريرة. ا.هـ.

(٣) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول ج٧/ ٦٤١، ٦٤٢ - رقم الحديث ٥٨١٤، وتخريجه كما يلي: الموطأ ٩٤٦/٢ في العين، باب « عيادة المريض والطيرة » وفيه ضعف وانقطاع، وقد صح معناه من طرق عن أبي هريرة.

(٤) ذكره في جامع الأصول: ج٧/٦٤٢ رقم الحديث ٥٨١٥، وتمام تخريج الحديث كما يلي: سنن الترمذي رقم ٢٠٦٢ في الطب، باب ما جاء أن العين حق، من حديث يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني حية بن حابس التميمي، حدثني أبي، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ... الحديث، قال الحافظ ابن حجر في (الإصابة) : قال ابن السكن: واختلف على يحيى بن أبي كثير فيه ولم نجده إلا من طريقه، وقال البغوي: لا أعلم له إلا هذا الحديث، وقال ابن عبد البر: في إسناد حديثه اضطراب، وسمى أباه ربيعة، قال الحافظ: ومن الاختلاف فيه ما أخرجه ابن أبي عاصم وأبو يعلى من وجه آخر عن يحيى بن أبي كثير: حدثني حية بن حابس قال: سمعت رسول الله ﷺ ... الحديث، فسقط منه (عن أبيه) وذكره أبو موسى في آخر حرف الحاء المهملة فقال: حية بياء تحتانية، وأشار إلى الوهم فيه، وأنّ الصواب: عن حبة بموحدة عن أبيه عن النبي ﷺ.

٦- وأخرج النسائي عن الشَّريد بن سُويد رضي الله عنه قال: كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي ﷺ: «ارجع فقد بايعناك» ـ عزاه ابن الأثير للنسائي[١].

التوضيح والشرح:

المراد بقوله ﷺ: «لا عدوى» أي لا عدوى تؤثر فيه بنفسها.

قال في النهاية: «العدوى: اسم من الإعداء، كالرعوى والبقوى، من الإرعاء والإبقاء، يقال أعداه الداء يُعديه إعداء. وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتتقى مخالطته بإبل أخرى حذاراً أن يتعدى ما به من الجرب إليها فيصيبها ما أصابه، وقد أبطله الإسلام؛ لأنهم كانوا يظنون أنَّ المرض بنفسه يتعدى، فأعلمهم النبي ﷺ أنه ليس الأمر كذلك، وإنما الله هو الذى يُمرض ويُنزل الداء، ولهذا قال في بعض الأحاديث: «فمن أعدى البعير الأول؟!» أي من أين صار فيه الجرب؟!» اهـ[٢].

والمراد بقوله: «لا طيرة» :

سبق تعريف الطيرة . وأما قوله: «لا طيرة»: فقد قال العلامة ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا يحتمل أن يكون نفياً وأن يكون نهياً، أي لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أنَّ المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها. والنفي في هذا أبلغ من النهي، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهى إنما يدل على المنع منه. ا.هـ[٣].

وعلى هذا فقوله «لا طيرة»: أي لا طيرة موجودة ومؤثرة بذاتها.

---

(١) جامع الأصول: ج٧/ ٦٤٢ رقم الحديث ٥٨١٦، وتخريجه كما يلي: سنن النسائي: ج٧/ ١٥٠ في البيعة، باب بيعة من به عاهة، وإسناده صحيح، وقد أبعد المصنف النُّجعة، فالحديث رواه مسلم رقم ٢٢٣١ في السلام باب اجتناب المجذوم ونحوه. ا.هـ.

(٢) النهاية ج٣/١٩٢.

(٣) مفتاح دار السعادة ج٢/٢٣٤.

« ولا هامة » مر تفسيرها في الباب الأول والأقوال فيها أنها البومة طائر الليل أو هامة الميت، وعلى هذا فالمعنى في الحديث: لا حياة لهامة الميت، وعلى الأول: لا شؤم بالبومة ونحوها.

وقوله « ولا صفر »:

هو بفتح الفاء، وقد ذكر له النووي – رحمه الله تعالى – في شرح مسلم تأويلين:

أحدهما: المراد: تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر، وهو النسيء الذى كانوا يفعلونه، وبهذا قال مالك وأبو عبيدة.

والثاني: أن الصفر دواب في البطن، وهى دود، وكانوا يعتقدون أنَّ في البطن دابة تهيج عند الجوع، وربما قتلت صاحبها، وكانت العرب تراها أعدى من الجرب.

وهذا التفسير هو الصحيح، وبه قال مطرف، وابن وهب، وابن حبيب، وأبو عُبيد، وخلائق من العلماء. وقد ذكره مسلم عن جابر بن عبد الله راوي الحديث؛ فيتعين اعتماده.

ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعاً، وأنَّ الصفرين جميعاً باطلان، لا أصل لهما ولا تعريج على واحد منهما. ا.هـ [1].

قلت: وبهذين التفسيرين قال ابن الأثير – رحمه الله – ولم يجزم بواحد منهما. ا.هـ [2].

وقوله: « ولا نَوْء »:

مفرد (أنواء)، قال النووي – رحمه الله تعالى – في شرح مسلم: وأما النوء ففيه كلام طويل قد لخصه الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح – رحمه الله تعالى – فقال: النوء في أصله ليس هو نفس الكوكب، فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءاً، أي سقط وغاب، وقيل: أي نهض وطلع.

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم ج١٣/٢١٤، ٢١٥ باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.

(٢) النهاية ج٣/٣٥.

وبيان ذلك: أنَّ ثمانية وعشرين نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلها، وهي المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين، يسقط في كل ثلاث عشرة ليلة منها نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما، وقال الأصمعي: إلى الطالع منهما، قال أبو عبيد: ولم أسمع أحداً ينسب النوء للسقوط إلا في هذا الموضع، ثم إنَّ النجم نفسه قد يسمى نوءاً تسمية للفاعل بالمصدر، وقال أبو إسحاق الزجّاج في بعض أماليه: الساقطة في المغرب هى الأنواء والطالعة في المشرق هي البوارج. ا.هـ [1].

وقال في جامع الأصول :

وإنما غلّظ النبي ﷺ في أمر الأنواء لأن العرب كانت تنسب المطر إليها. فأما من جعل المطر من فعل الله عز وجل وأراد بقوله « مطرنا بنوء كذا » أي في وقت كذا، وهو هذا النوء الفلاني ـ فإنّ ذلك جائز.

وقد قيل أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يستسقى، فنادى بالعباس بن عبد المطلب: كم بقى من نوء الثريا؟ فقال: إنَّ العلماء بها يزعمون أنها تعترض في الأفق سبعاً بعد وقوعها، فما مضت تلك السبع حتى غيث الناس.

وأراد عمر ـ رضى الله عنه ـ :كم بقى من الوقت الذي قد جرت العادة أنه إذا تم أتى الله بالمطر؟ ا.هـ [2].

وقوله: (ولا غول) : هو بفتح الغين المعجمة، مصدر، معناه: البعد والهلاك. وبضم الغين المعجمة اسم، وجمعه أغوال وغيلان. وهو المراد هنا.

قال النووي ـ رحمه الله ـ في شرحه لصحيح مسلم :

قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أنَّ الغيلان في الفلَوات، وهى جنس

---

(١) شرح النووى على صحيح مسلم (ج٢/٦٠ – ٦٣) بتصرف، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء.
(٢) جامع الأصول ج٧/ ٦٣٩.

من الشياطين، فتتراءى للناس وتتغوّل تغولاً، أي تتلون تلوناً، فتضلهم عن الطريق، فتهلكهم، فأبطل النبي ﷺ ذلك.

قال كَعب بن زُهير في وصف تلون المرأة:

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلوّن في أثوابها الغول [1]

وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفى وجود الغُول، وإنما معناه إبطال ما تزعمه العرب من تلون الغول بالصور المختلفة، واغتيالها، وقالوا: ومعنى (لا غول): أي لا تستطيع أن تضل أحداً، ويشهد له حديث آخر: « لا غول ولكن السَّعَالى ».

قال العلماء: السَّعالى بالسين المفتوحة والعين المهملتين، وهم سحرة الجن، أي ولكن في الجن سحرة لهم تلبيس وتخييل. وفي الحديث الآخر: « إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان» أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى.

وهذا دليل على أنه ليس المراد نفى أصل وجودها، وفي حديث أبي أيوب: «كان لي تمر في سهوة، وكانت الغول تجيء فتأكل منه ».

والنفي ليس نفياً لوجودها، وإنما هو نفي لزعم العرب أنها تضل الناس. ا.هـ [2].

وقوله: «لا يُورد ممرض على مُصِح» قال في جامع الأصول:

الممرض: هو الذى إبله مراض.

والمصح: الذى إبله صحاح.

فنهى أن يورد صاحب الإبل المراض إبله على إبل ذي الإبل الصحاح، لا لأجل العدوى ولكن الصحاح ربما مرضت بإذن الله وقدره، فيقع في نفس صاحبها أنّ ذلك إنما كان من قِبل العدوى، فيفتنه ذلك، ويشكّكه في أمره، فأمر باجتنابه والبعد عنه لعدم اعتقاده لهذه العدوى، وقد يحتمل أن يكون ذلك من قبل المرعى والماء، فتستوبله الماشية، فإذا شاركها فى ذلك غيرها وارداً عليها أصابه مثل ذلك الداء،

---

(١) جمهرة أشعار العرب - ٣٠٨.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي. ج١٣/٢١٦، ٢١٧ باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر.

والقوم لجهلهم يسمونه عدوى، وإنما هو فعل الله تعالى. ا.هـ [١].

وقوله « فرطن »:

الرطانة: التكلم بالعجمية أى لغة كانت [٢].

« فماراه » المماراة والمجادلة: المخاصمة [٣].

«أُتِيْتَ» أي دُهيت وتَغَيّر عليك حسُك، فتوهَّمتَ ما ليس بصحيح صحيحاً [٤].

التوفيق بين الأحاديث المتعارضة :

والحديث الشريف الوارد بخصوص الطيرة وما شاكلها مما هو في حكمها أو معناها ينكر ما كان يعتقده المشركون في الأشياء المذكورة من خير أو شر، فبعضها نفى وجوده أصلاً؛ كالطيرة، والبعض الآخر نفى تأثيره بنفسه؛ كالعدوى، لأنه لا يأتي بالحسنات إلا الله سبحانه وتعالى، ولا يدفع السيئات إلا هو، فكل الحوادث إنما تجري بقضاء الله وقدره، وهذا ما حرص عليه الرسول ﷺ في هديه لأمته... فقد أراد ﷺ لأمته أن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن يحرصوا على تجريد الإخلاص لله تعالى وحده، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، وأن ما يصيبهم لم يكن ليخطئهم، وأنَّ ما يخطئهم لم يكن ليصيبهم إلا بإذن الله تعالى ومشيئته وقضائه وقدره، وله في ذلك الحكمة البالغة ـ سبحانه وتعالى.

إلا أنَّ هذا الحديث حَظِيَ باهتمام بالغ لما فيه من الإشكال على بعض العامة؛ وذلك في قوله ﷺ: « لا عدوى »، ثم قوله في حديث آخر: « لا يُورد مُمْرِض على مُصِحٍّ »، وقوله ﷺ: « فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد »، وقوله ﷺ: « إذا سمعتم

---

(١) جامع الأصول : ج٧/٢٣٧.

(٢) جامع الأصول : ج٧/٢٣٧.

(٣) جامع الأصول : ج٧/٢٣٧.

(٤) جامع الأصول: ج٧/ ٦٣٨.

بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها »، ونحو ذلك من الأحاديث التى قد توهم لأول وهلة بالتعارض بين أقوال الرسول ﷺ، وحتى كان في ذلك فرصة أمام أعداء السنة للطعن في الحديث وأهله، فقالوا: يروون الأحاديث التي ينقض بعضها بعضاً ثم يصححونها، والأحاديث التي تخالف العقل، ودعوا إلى ترك السُّنَّة، والعمل بالقرآن الكريم وحده، فانتدب أنصار السنة للرد عليهم وإفحامهم بالحجة والمنطق بما لا يدع مجالاً للشك فى صحة هذه الأحاديث الكريمة وموافقتها للشرع والعقل.. هذا ولا يزال التساؤل إلى الآن يَرد إلى العلماء لإزالة الإشكال عن هذه الأحاديث.

هذا بالإضافة إلى الإشكال الذى وقع من أبي هريرة رضي الله عنه في إحدى الروايات التي رواها أبو سلمة رضي الله عنه: أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه كان يحدث بحديث « لا عدوى » ويحدث عن النبي ﷺ كذلك أنه قال: « لا يورد ممرض على مصح » ثم إنَّ أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ اقتصر على حديث: « لا يورد ممرض على مصح » وأمسك عن حديث: « لا عدوى »، فراجعوه وقالوا سمعناك تحدث به فأَبَى أن يعترف به ... حتى تساءل أبو سلمة ـ رضي الله عنه ـ قائلاً في نهاية روايته: « فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحدُ القولين الآخر؟ » .

ولإزالة هذا الإشكال بين الحديثين نقول وبالله التوفيق :

أولاً: أما من ناحية صحة الحديثين أو إمكان نسخ أحدهما للآخر :

١ ـ فإن الحديثين صحيحان، وقد وردا في أوثق كتب الصحيح، وهما البخارى ومسلم.. كما وردا في غيرهما من الكتب.

فحديث « لا عدوى » حديث صحيح قد رواه عن أبى هريرة رضى الله عنه أوثق أصحابه وأحفظهم: أبو سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، والحارث بن أبي ذباب، ومحمد بن سيرين.

كما روى الحديث نفسه جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم، ولم ينفرد به

أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ وهم: جابر بن عبد الله، وابن عمر، والسائب بن يزيد، وأنس بن مالك، وغيرهم ـ رضي الله عنهم أجمعين.

وفي بعض روايات هذا الحديث: « و فِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد ».

وكذلك حديث « لا يورد مُمرض على مصح » صحيح أيضاً، وثابت عنه ﷺ.

فلا يمكن أن يكون بينهما تعارض أو نسخ؛ وإلا لعلمه الصحابة رضوان الله عليهم، ولأعلمونا به.

وإنما الصحيح والمعقول أن يكون لكلٍّ منهما وجه كما قرر ذلك كثير من العلماء؛ وعلى رأسهم كبار شراح الحديث ـ رحمهم الله ـ.

رأي آخـر :

وقد نحى بعض العلماء منحى آخر في التوفيق بين قوله ﷺ « لا عدوى » وبين نهيه عن مخالطة المريض الصحيح، فقال: ما يخبر به النبى ﷺ نوعان:

الأول: يخبر به عن الوحي، فهذا خبر مطابق لمخبره من جميع الوجوه ذهناً وخارجاً، وهو الخبر المعصوم.

الثاني: من اجتهاده ﷺ، وهو ما يخبر به عن ظنه من أمور الدنيا التي هم أعلم بها منه، فهذا ليس من رتبة النوع الأول، ولا تثبت له أحكامه، وقد أخبر ﷺ عن نفسه الكريمة بذلك تفريقاً بين النوعين، فإنه لما سمع أصواتهم في النخل يؤبرونها ـ وهو التلقيح ـ قال: «ما هذا؟» فأخبروه أنهم يلقحونها. فقال: « ما أرى لو تركتموه يضره شيئاً ». فجاء شِيصاً، فقال: « إنما أخبرتكم عن ظني، وأنتم أعلم بأمور دنياكم، ولكن ما أخبرتكم عن الله »[1].

قالوا: والحديث صحيح مشهور، وهو من أدلة نبوته ﷺ وأعلامها، فإنَّ من خفى عليه مثل هذا من أمر الدنيا ثم جاء من العلوم الغيبية التي لا يمكن لبشر معرفتها إلا

(١) أخرجه مسلم ج٤/ ١٨٣٥ فى الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً، رقم الحديث (٢٣٦٢)، (٢٣٦٣).

بوحي من الله سواء ما كانت في الماضى أو ما ستكون عليه فى المستقبل من لدن خلق العالم إلى وقت الحساب والجزاء ـ: لمن أقوى براهين نبوته ﷺ، وإنّ هذا الذي جاء به لا حيلة للبشر فيه، ولا هو مما يُنال بسعى وكسب وفكر ونظر، إن هو إلا وحي يُوحى علّمه الذي يعلم السر وأخفى ...

قالوا: فهكذا إخباره عن عدم العدوى إخبار عن ظنه كإخبار عن عدم تأثير التلقيح، لاسيما وأحد البابين قريب من الآخر، بل هو في النوع واحد؛ فإنّ اتصال الذكر بالأنثى وتأثره به ولا ريب أن كلها من أمور الدنيا؛ لا مما يتعلق به حكم من الشرع، فليس الإخبار به كالإخبار عن الله سبحانه وصفاته وأسمائه وأحكامه. قالوا: فلما تبيّن له ﷺ من أمر الدنيا الذى أجرى الله سبحانه عادته به ارتباط هذه الأسباب بعضها ببعض وتأثير التلقيح في صلاح الثمار وتأثير إيراد الممرض على المصح أقرهم في تأبير النخل ونهاهم أن يورد ممرض على مصح.

قالوا: وإن سُمّي هذا نسخًا بهذا الاعتبار فلا مشاحة في التسمية إذا ظهر المعنى. ولهذا قال أبو سلمة بن عبد الرحمن [1]: فلا أدري أنسي أبو هريرة أو نسخ أحد القولين بالآخر، يعني بحديثه بالحديثين، فجوّز أبو سلمة النسخ في ذلك.

إلا أنّ قوله ﷺ للأعرابي في حديث الزهري عن أبي هريرة المرفوع: « فمن أعدى الأولَ ؟ » بعد قوله ﷺ: « لا عدوى ولا صفر ولا هامة » ينفي إمكان النسخ بين الحديثين.

ولعلّ من أحسن ما وُجّه إليه هذان الحديثان: هو ما قاله البيهقي ـ رحمه الله تعالى ـ وتبعه ابن القيم، وابن الصلاح، وابن مفلح، وابن رجب، وغيرهم ـ رحمهم الله تعالى ـ؛ وخلاصة هذا القول :

أنّ قوله: « لا عدوى » أي على الوجه الذى يعتقده أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأنّ هذه الأمراض تعدى بطبعها، وإلا فقد يجعل الله

---

(١) صحيح البخارى ج١٧٩/٧.

بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سبباً لحدوث ذلك، ولهذا قال: «فرَّ من المجذوم كما تفرُّ من الأسد»، وقال: «لا يورد مُمرض على مصح»، وقال في الطاعون: «من سمع به في أرض فلا يقدم عليه»، وكل ذلك بتقدير الله تعالى، ولأحمد والترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: «لا يعدي شيء» ـ قالها ثلاثاً ـ. فقال أعرابي: يا رسول الله: إنَّ النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها؟ فقال رسول الله ﷺ: «فمن أجرب الأول؟ لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر، خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها».

فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه في الماء والنار وما جرت العادة أنه يهلك أو يضر فكذلك اجتناب مقاربة المريض، كالمجذوم... والقدوم في بلد الطاعون، فإنَّ هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه وتعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها، لا خالق غيره ولا مقدر غيره .. وأما إذا قوى التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك، لا سيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة، وعلى هذا يحمل الحديث الذى رواه أبو داود والترمذي ـ رحمهما الله تعالى ـ: أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة، ثم قال: «كل، بسم الله، ثقة بالله وتوكلاً عليه»... وقد أخذ به الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ وروى ذلك عن عمر و ابنه وسلمان ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ.

قال في فتح المجيد :

« ونظير ذلك ما رُوي عن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه أكل السّم، ومنه مشي سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولانى على متن البحر، قاله ابن رجب رحمه الله» [1] .

---

(١) فتح المجيد ص ٢٦٥، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٦١.

ونقل الدُّميرى عن الشافعي - رحمهم الله - قوله فى عيوب الزوجين: إنَّ الجذام والبرص يعدي، وقال: إنَّ ولد المجذوم قلّما يسلم منه .

وقد وَضّح الدميري مراد الشافعي - رحمهما الله - بقوله: ومعنى قول الشافعى رضى الله عنه (إنه يُعدى) أي بتأثير الله تعالى، لا بنفسه؛ لأنَّ الله تعالى أجرى العادة بابتلاء السليم عند مخالطة المبتلى، وقد يوافق قدراً وقضاء فيظن أنه عدوى. وقد قال ﷺ: « لا عدوى ولا طيرة »، وأما قوله فى الولد: «قلّما يسلم منه» فقد قال الصيدلاني: معناه: أنَّ الولد قد ينزعه عِرق من الأب فيصير أجذم، وقد قال ﷺ لرجل قال له: إنَّ امرأتى قد ولدت غلاماً أسود: « لعل عرقاً نَزَعه »[1][2].

وبهذا يحصل الجمع بين الأحاديث.

هذا وقد أجاب أبو محمد ابن قتيبة رحمه الله تعالى في كتابه «مختلف الحديث» على الذين تساءلوا عن التعارض بين قوله ﷺ: «لا عدوى» - على ظنهم - وغيره من الأحاديث التى تندب إلى عزل المريض عن الصحيح .. ونحو ذلك.

ونقل لنا ابن القيم رحمه الله تعالى رأى ابن قتيبة رحمه الله وأثبته في كتابه (مفتاح دار السعادة) على النحو التالي:

قال أبو محمد رحمه الله تعالى: ونحن نقول أنه ليس في هذا الاختلاف، ولكل واحد معنى في وقت وموضع فإذا وضع موضعه زال الاختلاف.

---

(١) « عرقاً نزعه »: أصل النزع الجذب، والعرق مأخوذ من عرق الشجرة، والمعنى: لعله قلبه وأخرجه من ألوان فحله ولقاحه. يقال فلان عريق في الأصالة يعنى أنّ لونه إنما جاء هكذا لأن في أصوله البعيدة ما كان فيه هذا اللون. والحديث رواه البخاري ومسلم والنسائى وأحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: جاء رجل من بنى فزارة إلى النبي ﷺ فقال: إنَّ امرأتى ولدت غلاماً أسود، فقال النبى ﷺ: «هل لك إبل؟ » قال: نعم. قال: «فما ألوانها؟! قال: حُمر. قال: «فهل يكون فيها من أورَق؟» قال: إن فيها لورقاً. قال: فأنّى أتاها ذلك؟ » قال: عسى أن يكون نزعه عرق! قال: «وهذا عسى أن يكون نزعه عرق». من كتاب نيل المرام ج١٢٩/٢، وقد أخرجه البخارى ٣٩٠/٩ في الطلاق باب إذا عرض بنفي الولد، ومسلم « ١٥٠٠ »، من حديث أبى هريرة.

(٢) حياة الحيوان الكبرى ج٤/١.

والعدوى جنسان أحدهما عدوى الجذام فإنّ الجذام، تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومؤاكلته، وكذا المرأة تحت المجذوم فتضاجعه في شعار واحد فيوصل إليها الأذى، وربما جذمت، وكذلك ولده ينزعون في الكِبَر إليه، وكذلك من به سلٌّ ودق وتعب، والأطباء تأمر أن لا يجالس المجذوم ولا المسلول، ولا يريدون بذلك معنى العدوى، وإنما يريدون به معنى تغير الرائحة، وأنّها قد تسقم من أطال اشتمامها، والأطباء أبعد الناس من الإيمان بيمن وشؤم، وكذلك النقبة تكون بالبعير وهو جرب رطب فإذا خالط الإبل أو حاكها وأوى فى مباركها أوصل إليها بالماء الذى يسيل منه والنطف نحواً مما به، فهذا هو المعنى الذى قاله رسول الله ﷺ: « لا يورد ذو عاهة على مصح» كره أن يخالط المصاب الصحيح فيناله من نطفه وحكته نحو مما به.

قال: وقد ذهب قوم إلى أنه أراد بذلك أن لا يظن أنّ الذى نال إبله من ذوات العاهة فيأثم، وليس لهذا عندي وجه إلا الذي خبرتك به عياناً .

قال أبو محمد: وأما الجنس الآخر من العدوى فهو الطاعون ينزل ببلد فيخرج منه خوف العدوى، وقد قال رسول الله ﷺ: « إذا كان بالبلد الذى أنتم فيه فلا تخرجوا منه» ، وقال: « إن كان ببلد فلا تدخلوه» [1]،

يريد بقوله: « لا تخرجوا من البلد إذا كان فيه» كأنكم تظنون أنّ الفرار من قدر الله ينجيكم من الله ويريد: « إن كان ببلد فلا تدخلوه » : فإن مقامكم في الموضع الذى لا طاعون فيه أسكن لأنفسكم وأطيب لمعيشتكم.

ومن ذلك المرأة تعرف بالشؤم، والدار.. فينال الرجل مكروه أو جائحة فيقول: أعدتني بشؤمها ! فهذا هو العدوى الذى قال فيه رسول الله ﷺ: «لا عدوى» . ا.هـ[2] .

وأما أبو عمر ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ فقد قال: أما قوله ﷺ: « لا عدوى »

---

(١) سيأتى هذا الحديث مخرجاً في نهاية هذا الفصل ص ٢١٦ .

(٢) مفتاح دار السعادة: ج٢/٢٦٤ عن كتاب مختلف الحديث لابن قتيبة .

فهو نهي أن يقول أحد إنّ شيئاً يعدي شيئاً، وإخبار أن شيئاً لا يعدى شيئاً، فكأنه قال: لا يعدى شيء شيئاً ـ يقول: لا يصيب أحد من أحد شيئاً؛ من خلق، أو فعل، أو داء، أو مرض، وكانت العرب تقول في جاهليتها مثل هذا .. أي أنه إذا اتصل شيء من ذلك بشيء أعداه، فأخبرهم رسول الله ﷺ أنّ قولهم واعتقادهم في ذلك ليس كذلك، ونهى عن ذلك القول إعلاماً منه بأنّ من اعتقد ذلك منهم كان اعتقاده باطلاً.

قال: وأمّا المُمرض فالذى إبله مراض، والمُصحّ: الذى إبله صِحاح.

وروى ابن وهب عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال: يكره أن يدخل المريض على الصحيح منها وليس به إلا قول الناس، وحماية للقلب مما يستبق إليه من الإفهام ويقع فيه من التطير والتشاؤم بذلك. ا.هـ [1].

رأي العلامة ابن القيم في الحديثين:

وأما ابن القيم رحمه الله تعالى فقد قرر أنّ الحديثين صحيحان ولا نسخ بينهما ولا تعارض، فقال رحمه الله تعالى:

عندي في الحديثين مسلك يتضمن إثبات الأسباب والحكم ونفي ما كانوا عليه من الشرك واعتقاد الباطل ووقوع النفى والإثبات على وجهه، فإنّ العوام كانوا يثبتون العدوى على مذهبهم من الشرك الباطل كما يقوله المُنجّمون من تأثير الكواكب في هذا العالم وسعودها ونحوسها تأثيراً ذاتياً مجرداً عن مشيئة الله وقدرته، ولو أنهم ربطوا الأسباب بمسبباتها التي لا تقضى إلا بإذن الله ومشيئته لما أنكر عليهم ﷺ إثبات العدوى على هذا الوجه، كما أن ذلك ثابت في الداء والدواء، وقد تداوى النبي ﷺ، فأمر بالتداوى، وأخبر أنه « ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء إلا الهرَم»، فأعلمنا

(١) مفتاح دار السعادة: ج٢/٢٦٧ عن التمهيد لابن عبد البر.

أنه خالق أسباب الداء وأسباب الدواء المعارضة المقاومة لها، وأمرنا بدفع تلك الأسباب المكروهة بهذه الأسباب، وعلى هذا قيام مصالح الدارين؛ بل الخلق والأمر مبني على هذه القاعدة، فإن تعطيل الأسباب وإخراجها عن أن تكون أسباباً تعطيل للشرع ومصالح الدنيا، والاعتماد عليها والركون إليها واعتقاد أن المسببات وحدها وأنها أسباب تامة ـ: شرك بالخالق عز وجل، وجهل به، وخروج عن حقيقة التوحيد، وإثبات مسببيتها على الوجه الذى خلقها الله عليه وجعلها له: إثبات للخلق والأمر؛ للشرع والقدر؛ للسبب والمشيئة؛ للتوحيد والحكمة. فالشارع يثبت هذا ولا ينفيه، وينفى ما عليه المشركون من اعتقادهم في ذلك.

قال رحمه الله: فالمقامات ثلاثة :

١- أحدها : تجريد التوحيد وإثبات الأسباب، وهذا هو الذى جاءت به الشرائع، وهو مطابق للواقع في نفس الأمر.

٢- والثاني : الشرك في الأسباب بالمعبود كما هو حال المشركين على اختلاف أصنافهم.

٣- الثالث: إنكار الأسباب بالكلية محافظة من منكرها على التوحيد.

قال: فالمنحرفون طرفان مذمومان: إما قادح في التوحيد بالأسباب، وإما منكر للأسباب بالتوحيد. والحق غير ذلك، وهو إثبات التوحيد والأسباب وربط أحدهما بالآخر، فالأسباب محل حكمه الديني والكوني، والحكمان عليها يجريان، بل عليها يترتب الأمر والنهي، والثواب والعقاب، ورضى الرب وسخطه، ولعنته وكرامته، والتوحيد تجريد الربوبية والإلهية عن كل شرك، فإنكار الأسباب إنكار الحكمة، والشرك بها قدح في توحيده، وإثباتها والتعلق بالسبب والتوكل عليه والثقة به والخوف منه والرجاء له وحده ـ: هو محض التوحيد، والمعرفة تفرق بين ما أثبته الرسول ﷺ وبين ما نفاه وبين ما أبطله وبين ما اعتبره، فهذا لون، وهذا لون والله الموفق للصواب.

قال: وأما قضية المجذوم فلا ريب أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: « فر من المجذوم فرارك من الأسد »، وأرسل إلى ذلك المجذوم: « إنَّا قد بايعناك فارجع»، وأخذ بيد مجذوم فوضعها في القَصْعة وقال: « كُل ثقةً بالله وتوكلاً عليه ».

قال: ولا تنافي بين هذه الآثار، ومن أحاط بما قدمناه تبين له وجهها، وأن غاية ذلك أن مخالطة المجذوم من أسباب العدوى، وهذا السبب يعارض أسباب أخرى تمنع اقتضاءه، فمن أقواها التوكل على الله والثقة به، فإنه يمنع تأثير ذلك السبب المكروه.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: ولكن لا يقدر كل واحد من الأمة على هذا، فأرشدهم إلى مجانبة سبب المكروه، والفرار والبعد منه، ولذلك أرسل إلى ذلك المجذوم الآخر بالبيعة تشريعاً منه للفرار من أسباب الأذى والمكروه، وأن لا يتعرض العبد لأسباب البلاء، ثم وضع يده معه في القصْعة فإنما هو سبب التوكل على الله والثقة به الذي هو من أعظم الأسباب التي يدفع بها المكروه والمحذور تعليماً منه للأمة دفع الأسباب المكروهة بما هو أقوى منها، وإعلاماً بأن الضرر والنفع بيد الله عز وجل، فإن شاء أن يضر عبده ضرّه، وإن شاء أن يصرف عنه الضر صرفه، بل إن شاء أن ينفعه بما هو من أسباب الضرر ويضره بما هو من أسباب النفع فعل، ليتبيّن العباد أنه وحده النافع الضار، وأنّ أسباب الضر والنفع بيديه، وهو الذى جعلها أسباباً، وإن شاء خلع منها سببيتها، وإن شاء جعل ما تقتضيه بخلاف المعهود منها؛ ليعلم أنه الفاعل المختار، وأنه لا يضر شيء ولا ينفع شيء إلا بإذنه، وأنّ التوكل عليه والثقة به تُحيل الأسباب المكروهة إلى خلاف موجباتها وتُبيِّن مراتبها وأنها محال [1] لمجارى مشيئة الله وحكمته، وأنه سبحانه هو الذى يضر بها وينفع، ليس إليها ولا لها من الأمر شيء، وأنّ الأمر كله لله، وأنها إنما ينال ضررها من علّق قلبه، بها ووقف عندها، وتطير بما يتطير به منها، فذلك الذى يصيبه مكروه الطيرة، والطيرة سبب للمكروه على المتطير، فإذا توكل على الله ووثق به واستعان به لم يصده التطير عن حاجته. ا.هـ [2].

---

(١) جمع محل، وهو المكان.

(٢) مفتاح دار السعادة: ج٢/٢٦٩ ـ ٢٧٢، بتصرف.

خلاصة الأقوال في هذا الموضوع :

وعلى هذا فخلاصة ما يمكن قوله للجمع بين حديث « لا عدوى » والأحاديث الأخرى التى تأمر الإنسان الصحيح باجتناب من به داء هو ما يلي:

١- نفي ما كان عليه أهل الجاهلية من الشرك والاعتقادات الباطلة؛ ومن أن المرض يتعدى بنفسه، أو أن العدوى هي التي تخلق المرض.

٢- حرص الشريعة الإسلامية على سد الذرائع المؤدية إلى الشرك.

٣- إثبات الأسباب، وربطها بمسبباتها، وأن كل شيء لا يتم إلا بقضاء الله وقدره.

٤- وجوب الأخذ بالأسباب المأمور بها شرعاً، وأن ذلك لا ينافي التوكل على الله عز وجل.

٥- أن التوكل على الله تعالى من أقوى أسباب النجاة من المصائب في الدنيا وفي الآخرة.

٦- وجوب المحافظة على النفس الحية، وتجنيبها كل ما يوردها موارد الهلاك، سواء أكان ذلك من الناحية العقائدية والمعنوية أو من الناحية الجسمانية المادية.

هذا... كما أن هناك فوائد أخرى يمكن استنباطها من الأحاديث السابقة: نجملها فيما يلى:

١- حرص الرسول ﷺ على تعليم أمته وإرشادهم إلى كل ما ينفعهم فى دينهم ودنياهم.

٢- مشروعية ضرب المثل واستخدام التشبيه والتمثيل بما هو محسوس أو معهود فى الأفهام لتقريب الصورة وتوضيح المراد - : « فر من المجذوم كما تفر من الأسد »، « فمن أعدى البعير الأول ؟ »، أخذ يد المجذوم ووضعها في القصعة وقال: « كُل ثقة بالله وتوكلاً عليه»، وأرسل ﷺ إلى ذلك المجذوم: «إنا قد بايعناك فارجع » .. وكلها صور مدهشة تدعو للوصول مباشرة إلى الغرض المطلوب.

٣- عظم توكل الرسول ﷺ على ربه، حيث أكل مع المجذوم من قصعة واحدة، ولم يضره شيء بإذن الله تعالى .

٤ - وضع الأسس الضرورية للمحافظة على النفس: وذلك بالتوكل على الله سبحانه وتعالى والثقة به أولاً، وتقرير مبدأ « الوقاية خير من العلاج » ثانياً، وتأسيس مفهوم الحَجْر الصحي ثالثاً - وهو مفهوم لم يتنبه إليه (أدعياء الحضارة الحاليون) إلا في العصر الحديث وبعد ظهور الإسلام بأربعة عشر قرناً من الزمان!

٥ - نَفْي الطِّيَرَة وتحريمها، وإبطال تأثيرها .

٦ - إبطال زعم الجاهلية في الهامة .

٧ - إبطال التشاؤم في شهر صفر.

٨ - إبطال ما زعمه أهل الجاهلية في الغِيلان.

٩ - أن الرزق - ومنه المطر - من عند الله تعالى، وبأمره، وليس بسبب النَّوء أو تأثيره.

١٠ - وأخيراً: تأكيد السُّنَّة النبوية المطهرة لكتاب الله العزيز؛ حيث جاء قوله ﷺ: « لا طيرة » مؤكداً لقوله تعالى: ﴿ **طائركم عند الله** ﴾[النمل : ٤٧]، ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ [الأعراف : ١٣١]، ﴿ **طائركم معكم** ﴾[يس : ١٩]، ﴿ **قل كل مِنْ عند الله** ﴾ [النساء: ٧٨] - في توبيخه للكفار وذمه لهم على تطيرهم بالرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام .

قال صاحب أرجوزة سلم الوصول في كلامه عن أركان الإيمان :

والسادس الإيمان بالأقدار	فأيقنن بها ولا تمارى
فكل شيء بقضاء وقدر	والكل فى أم الكتاب مستطر
لا نوء لا عدوى ولا طير ولا	عما قضى الله تعالى حولا
لا غول لا هامة لا ولا صفر	كما بذا أخبر سيد البشر[1]

(١) كتاب أرجوزة سلم الوصول / ص١٣، معارج القبول ٣٨٢/٢.

وقال تحت عنوان كتاب الطب:

وصحة العدوى فلا تعتقد ولا تطيرن وثق بالصمد [1]

دعوة إلى التفكير والتأمل فى قوله ﷺ فر من المجذوم كما تفر من الأسد

أرجو أن تتفكروا معي في مدى بلاغة التشبيه المتجلي في قوله ﷺ « فر من المجذوم[2] كما تفر من الأسد »! وتأملوا معى في ما يتضمنه هذا التشبيه من إشارات مادية لأسباب المرض التى لم تعرف إلا بعد أربعة عشر قرناً من ظهور الإسلام، ورسول الإسلام .. النبى العربى محمد ﷺ .

لقد تأملت طويلاً في هذا التشبيه، وساءلت نفسى مراراً.. لماذا شبه الرسول الكريم ﷺ الفرار من المجذوم بالفرار من الأسد ولم يعمد إلى مُشبَّه به آخر؟

ولقد فتح الله عليّ بالجواب الذى أرجو أن يكون سديداً موفقاً بفضل الله تعالى ومَنه وكرمه .

إن المشاهَدَ والمحسوس لدى كل إنسان أن الأسد هو أقوى الحيوانات المفترسة وأشدها فتكاً ... حتى أنه يُلقَّبُ بسيد الوحوش، وملك الغاب !

ومن البديهيات أنْ الإنسان إذا صادف الأسد فإنّ موقفه في الغالب سيكون الفرار من الأسد، خوفاً من بطشه.. فالخوف لا يتعين كونه عبادة إلا فى الأشياء التى لا يقدر عليها إلا الله سبحانه وتعالى، أما الخوف من الأشياء المادية المحسوسة التي يستطيع أنْ يتغلب عليها الإنسان بنفسه أو بمساعدة غيره فجائز شرعاً . فالخوف من الأسد ونحوه إذاً والفرار منه جائز شرعاً؛ مثله فى ذلك مثل الخوف من السقوط من المرتفعات أو الغرق فى البحار... فاتخاذ الحيْطة والحَذَر في هذه الأحوال جائز، بل ويُؤمر به الإنسان محافظة على نفسه التى أودعها الله سبحانه تعالى بين جنبيه وأمره بصيانتها وعدم الإضرار بها.

---

(1) كتاب السبل السوية لفقه السنن المروية / ص١١٠.

(2) الجذام : داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والأعضاء، وسمى بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها.

فلو فرض وعلم الإنسان بوجود أسد فى مكان ما فهو في الغالب سيتجنب ذلك المكان ويبتعد عنه خوفًا من الأسد، حتى وإنْ كان لا يضمن عدم مصادفة أسد آخر أو أسود في طريقه، ولكنه يأخذ بأسباب النجاة البديهية بقدر الإمكان، وهي هنا الفرار من الأسد ومن طريقه والابتعاد عن مكانه بقدر الامكان، ولا يمكن إنْ يتغابى مثلاً ويقترب من الأسد اعتماداً على إحدى مميزات الأسد وصفاته؛ ذلك أنّ المعروف من صفات الأسد أنه لا يهاجم فريسته إلا إذا كان جائعاً .

أما إذا اقترب هذا الإنسان لسبب من الأسباب من الأسد اعتماداً على الله تعالى وثقة به وهو فى قرارة نفسه يعلم أنّ الله سينجيه فإنه سينجو بإذن الله تعالى؛ والدليل : ما رواه محمد بن المنكدر عن سَفِينة [1] مولى رسول الله ﷺ أنه قال :« ركبت سفينة فانكسرت، فركبت لوحًا منها، فطرحني إلى الساحل، فلقيني أسد، فقلت : يا أبا الحارث، أنا سفينة (مولى) رسول الله ﷺ. قال : فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه ـ أو بكتفه ـ حتى وقفني على الطريق! فلما وقفني على الطريق همهم! فظننت أنه يودعني! [2] .

قال في كتاب: « من معجزات النبى ﷺ» : ولقد دعا رسول الله ﷺ على عتيبة ابن أبي لهب فقال: «اللهم سلّط عليه كلبًا من كلابك»، فافترسه الأسد بالزرقاء من أرض الشام وترك جميع رفاقه.

وقصة ذلك فى الحديث الذى رواه الحاكم من حديث أبى نوفل بن أبى عقرب عن أبيه، وقال : حديث صحيح الإسناد، ورواه الحافظ أبو نُعيم بسنده إلى

---

(١) هو سفينة مولى رسول الله ﷺ، وقيل: مولى أم سلمة زوج النبى ﷺ وهى أعتقته، واختلف فى اسمه، فقيل: مهران، وقيل رومان، وقيل عيسى ـ وفى « الإصابة » ذكر فى اسمه واحدًا وعشرين قولاً! ـ. كنيته: أبو عبد الرحمن، وقيل : أبو البخترى، والأول أكثر. روى عنه حشرج بن نباتة وسعيد بن جُمْهان. وسماه رسول الله ﷺ سفينة لأنه كان معه فى سفر فكلما أعيا بعض القوم ألقى عليه سيفه وترسه ورمحه، حتى حمل شيئًا كثيرًا فقال النبى ﷺ : «أنت سفينة»، فبقى عليه. (انظر أسد الغابة ٢/٤١١).

(٢) أسد الغابة ٢/٤١١ باب السين والفاء.

هـبار بن الأسود [1] .

كما ذكر قصته ابن كثير– رحمه الله تعالى – « فى تفسيره »، وعزا إخراجه إلى أحمد، كما رواه ابن عساكر فى ترجمة عتيبة بن أبى لهب من طريق محمد ابن إسحاق عن عثمان بن عروة بن الزبير عن أبيه عن هبار بن الأسود قال : كان أبو لهب وابنه عتيبة قد تجهّزا إلى الشام، فتجهزت معهما، فقال ابنه عتيبة: والله لأنطلقنّ إلى محمد ولآذينّه فى ربه ـ سبحانه وتعالى! ـ. فانطلق حتى أتى النبيّ ﷺ فقال : يا محمد، هو يكفر بالذى : ﴿دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم :٨-٩]، فقال النبى ﷺ: « اللهم سلط عليه كلباً من كلابك».

ثم انصرف عنه، فرجع إلى أبيه، فقال: يا بني : ما قلت له؟ فذكر له ما قاله. فقال: فما قال لك؟ قال : قال : اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك.قال : يا بني والله ما آمن عليك دعاءه، فسرنا حتى نزلنا أبراه، وهي في سدة، ونزلنا إلى صومعة راهب، فقال الراهب : يا معشر العرب : ما أنزلكم هذه البلاد؟ فإنها يسرح الأسد فيها كما تسرح الغنم، فقال أبو لهب : إنكم قد عرفتم كبر سني، وحقي، وإنّ هذا الرجل قد دعا على ابني دعوة والله ما آمنها عليه، فاجمعوا متاعكم إلى هذه الصومعة، وافرشوا لابني عليها ثم افرشوا حولها، ففعلنا، فجاء الأسد، فشم وجوهنا، فلما لم يجد ما يريد تقبض فوثب وثبة، فإذا هو فوق المتاع ، فشم وجهه ثم هزمه ففسخ رأسه، فقال أبو لهب : قد عرفتُ أنه لا يتفلّت عن دعوة محمد. ا.هـ[2].

فهذا الحديث الشريف بالإضافة إلى أنه يُعتبر عَلَماً من أعلام نبوته ﷺ؛ فإنه يحتوى أيضاً على فوائد جمة:ـ

منها أنّ (أبا لهب)وهو من أشد الناس عداوة للرسول ﷺ موقن بصدق محمد فيما يقول . ومنها : أنه لا يتم شيء إلا بقضاء الله وقدره . ومنها: أنّ الضرر والأذى

---

(١) من معجزات النبي ﷺ ص ٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢٤٨/٤، ٢٤٩ .

لا يصيبان الإنسان إلا بإذن الله، ولو تعرض للوحوش الكاسرة؛ فهذا الأسد يتشمم وجوه القوم وجهاً وجهاً! فلا يؤذى أحداً منهم، حتى إذا تشمم وجه عتيبة هجم عليه فقتله بإذن الله تعالى! بالرغم من جميع الاحتياطات التى اتخذها القوم لمنع وقوع ذلك ...!

وقد ذكر في المشكاة عن أبى سعيد الخدري – رضى الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: « والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عَذَبَةُ[1] سَوْطِهِ وشِرَاكُ نعله، ويخبره فَخِذُه بما أحدث أهله بعده»[2].

فالأحاديث التى ورد فيها ذكر الأسد تدل على عدة مقاصد ، منها :

١ – جواز الخوف من الأسد ونحوه مما يتوقع منه الأذى والشر، مع الاعتقاد أن النافع الضار هو الله تعالى وحده.

وهذا هو الخوف الطبيعى الذى جعله الله غريزة في الإنسان للمحافظة على حياته وماله ونحو ذلك من شئون حياته؛ علماً أن للخوف حدوداً يجب ألا يتعدّاها خشية الوقوع في الحرام، **فالخوف له أربعة أنواع، هى :**

الأول :

خوف الشرك: أنْ يخاف من غير الله تعالى أنْ يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر أو نحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أنّ ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة أو على سبيل الاستقلال، فهذا الخوف لا يجور لأنه شرك أكبر، وهذا كالخوف من الرهبان والقساوسة والأحبار والكهان... وكالخوف من السحرة والمردة والجنّ والمنجمين، ونحو ذلك .

---

(١) عذبة سوطه : أى طرفه .

(٢) المشكاة ٢٦/٣ رقم ٥٤٥٩ كتاب الفتن باب أشراط الساعة، وحسّنه الترمذى، وصححه الألبانى، وأخرجه أحمد (٨٣/٣ – ٨٤)، وأخرجه ابن حبان (٢١٠٩) والحاكم مفرقاً (٤٥٧/٤ و٤٦٧-٤٦٨) وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

النوع الثاني من الخوف:

الخوف من المخلوق : وهو الخوف الذى يؤدى إلى فعل محرّم أو ترك واجب، فهذا حرام.

النوع الثالث من الخوف:

وهو خوف وعيد الله الذى توعد به العصاة، وهذا خوف العبادة الذى لا يجوز صرفه إلا لله تعالى، وهو من أعلى مراتب الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ **إنما ذلكم الشيطان يُخَوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين**﴾[آل عمران : ١٧٥].

النوع الرابع من الخوف:

هو الخوف الطبيعى كخوف الإنسان من أسد ونحوه وهذا الخوف الجائز والذى أشرنا إليه سابقاً.

٢ – وجوب عمل الأسباب المشروعة للمحافظة على النفس.

٣– أن الحذر لا يمنع من القدر، فكل شيء لا يتم إلا بقضاء الله وقدره... فعتيبة بن أبى لهب قد هلك – بإذن الله – على يد الأسد، على الرغم من كل الاحتياطات التى عملها مرافقوه للمحافظة عليه سالمًا، وبالرغم من علمهم المُسبق بمدى خطورة الأسد عليه تيقناً منهم بأن الله سبحانه وتعالى سيستجيب دعاء الرسول محمد ﷺ.

و (سفينة) مولى رسول الله ﷺ قد نجا على يد الأسد بإذن الله تعالى!

٤ – أنَّ تقوى الله سبحانه وتعالى ومخافته والتوكل عليه سبب للنجاة في الدنيا والآخرة .

٥ – أنَّ مخالفة شرع الله سبحانه وتعالى والتعرض لسخطه وسوء الأدب مع رسله الكرام عليهم أفضل الصلاة والسلام سبب للهلاك في الدنيا والآخرة .

٦ – مشروعية الدعاء ... وعظم منزلته عند الله سبحانه وتعالى؛ إذ أنَّ رسول الله ﷺ لم يقابل إساءة عتيبة له إلا بالدعاء عليه، وقد استجاب الله سبحانه وتعالى دعاء

رسوله الكريم ﷺ، وهذا دليل على صدق الرسول ﷺ مع ربه، وأنه نبى مرسل من عند الله عز وجل، لا ينطق عن الهوى: ﴿ إنْ هو إلا وحي يوحى ﴾[النجم : ٤].

٧ – تَجنُّب دعوة المظلوم لأنها مستجابة وليس بينها وبين الله حجاب.

٨ – أنّ من تعلّق شيئاً وُكل إليه ، فمن تعلّق بالله سبحانه وتعالى وحده نصره الله، ومن تعلّق بغير الله سبحانه وتعالى .. خذله الله .

٩ – بيان بعض أشراط الساعة.

هذا وللأحاديث السابقة فوائد كثيرة، ولكن نكتفى بما أوردناه آنفاً؛ وذلك لحصول المراد والمقصود منها.

الصحة والمرض:

وأما الأمراض فإنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي خلقها، وخلق أسبابها، ومسبباتها، كما أنه سبحانه وتعالى خلق لكل داء دواء، فهو خالق الصحة والمرض، وخالق الموت والحياة، وخالق الخير والشر، لحكم عظيمة، وفوائد جليلة؛ يطول بنا المقام لو تعرضنا لها...

والأمراض – والعياذ بالله – على أنواع ...، فمنها أمراض القلوب، ومنها أمراض الأجسام ... والذى نعنيه هنا هو الكلام على أمراض الأجسام .

لقد كانت أسباب الأمراض مجهولة لدى كثير من الناس حتى أذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ بكشفها، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكْفِ بربك أنه على كل شيء شهيد﴾[فصلت :٥٣] .

فأَمَدَّ الله سبحانه وتعالى منْ شاء من عباده بالوسائل التي أدتْ إلى المخترعات الحديثة والاكتشافات العظيمة فيما يخص الإنسان مِنْ حيث صحته ومرضه وحياته وسائر متطلباته ونحو ذلك من جهة، وفيما يخص الكون والعالم من حولنا من جهة أخرى.

فاكتشف العلماء – بإذن الله – أنّ الأمراض التي تصيب جسم الإنسان إنما

تهاجمه بواسطة أنواع مختلفة من البكتريا والفيروسات.

والفيروس:

أجسام من الدقة بحيث تمر في مصفاة البكتريا، تسبب أمراضاً، منها الجُدَري، والتيفوس، والجذام،... إلخ... ويمكن أن يظل الفيروس هاجعاً في الجسم مدة غير محدودة، وقد اكتشف لأول مرة عام ١٨٩٨م. ا.هـ [١] .

إلا أنَّ العلماء لم يتمكنوا من مشاهدته إلا فى القرن العشرين بعد اكتشاف المِجْهر الإلكتروني.

وأما البكتريا :

« فهي جسم عضوي دقيق وحيد الخلية، مؤلف من بروتوبلاسما، وسط بين أبسط النباتات و أبسط الحيوانات المجهرية، وهى من أهم أسباب الأمراض المعدية ، وإن كان بعضها غير مَرَضِيّ »[٢] .

أضرار البكتريا والفيروسات :

تحدث البكتريا والفيروسات أضراراً بجسم الكائن الحي بطريقتين؛ هما :

١ – إفراز بعض أنواع البكتريا المرضية ـ مثل بكتريا الدفتريا ـ السموم داخل جسم الكائن الحيّ .

٢ – تحطيم الخلايا الحية داخل الجسم؛ مما يؤدي إلى تآكل الأعضاء؛ كما في مرض الجذام مثلاً – عافانا الله وإياكم وعفا عنكم وعنا فى الدنيا والآخرة ـ.

فإذا كانت الفيروسات بهذه الخطورة فهي أشد ضرراً على الإنسان مِنْ أقوى السباع والوحوش.. مما يمكن معه تسميتها (بالوحوش الذرية) !

وتأتى خطورة هذه الفيروسات والبكتريا الدقيقة من أنَّ التي تدخل إلى جسم أي كائن حيّ منها يتكاثر بسرعة مذهلة عندما تكون الظروف مناسبة لنموها مما ينشأ

---

(١) الموسوعة العربية : ص ٥٦٦.

(٢) الموسوعة العربية : ص ١٧٤.

عنه خطر عظيم قد يؤدي إلى موت الكائن الحيّ - إذا شاء الله تعالى .

ولكنّ الله سبحانه وتعالى خلق بفضله ورحمته مناعة ومقاومة داخل أجسام الكائنات الحية ضد أي مرض، وتختلف هذه المقاومة من مرض إلى آخر، فمن الأجسام ما تكون مقاومته ضعيفة إزاء مرض معيّن، بينما تكون قوية إزاء مرض آخر، وهناك أجسام تستطيع بمشيئة الله أن تقاوم المرض بما تفرزه من مواد دفاعية داخلها بينما نجد أجسامنا تتأثر بالمرض فتصاب به ولا يمكنها مقاومته، وهذا كله يوضّح أنّ الله سبحانه وتعالى هو المتصرف بحكمته ومشيئته، وليس للمرض ومسبباته أي سلطان إلا بإذن الله جل شأنه، وإثباتاً لذلك عند من لا يقتنع بما أوردناه نكتفي بالقول بأنّ العلماء لم يستطيعوا تعليل هذه المناعة الموجودة داخل جسم الكائن الحيّ والتي تسبب مقاومة المرض!!!

أما عن كيفية دخول البكتريا والفيروسات داخل الجسم :

فإنّ هناك ثلاث طرق لذلك، وهي :

١ - عن طريق الهواء أثناء التنفس .

٢ - تدخل مع الأطعمة أو الأشربة الملوثة .

٣ - تدخل عن طريق الجلد فى حالة وجود جروح فيه.

والآن قد يمكننا بيان وجه الشبه بين الفرار من المجذوم والفرار من الأسد:

في التمثيل الذي أعطانا صورته الرسول محمد ﷺ في قوله : « فر من المجذوم كما تفر مِنَ الأسد» استناداً لما قدّمناه عن أضرار البكتريا والفيروسات وكيفية مهاجمتها للجسم، وبالتالى نعرف الحكمة العظيمة البالغة من قوله ﷺ :« لاعدوى» .

نقول - وبالله التوفيق - :

إنّ التشبيه في الحديث الصحيح المعجز الذى روى عن الرسول ﷺ في كيفية الفرار من المجذوم متعدد الوجوه... فهو من التشبيه البلاغي التمثيلي، و ذلك لما يأتى:

١ - أنّ سبب داء الجذام- عافانا الله منه - هو أنواع من الفيروسات التي تهاجم

الكائن الحي وتعمل على تآكل الخلايا الحية في الجسم الذى تدخله مما ينشأ عنه تساقط اللحم والأعضاء وتقطع الأصابع ... فهذه الفيروسات على دقتها وصغرها أشد خطراً وفتكاً وشراسة من الأسد، وإنما جاء التشبيه بالأسد لأنَّ صورته في الذهن والحس أنه أقوى الحيوانات وأخطرها .. وإلا فإنَّ الفيروسات أشدُّ خطراً منه !

٢ – أنه كما يجوز للإنسان أن يخشى الأسد ويتجنبه حرصاً على حياته وسلامته فكذلك يجوز له تجنب مَنْ به داء كالجذام ونحوه لنفس السبب.

٣ – أنَّ الإنسان كما هو مأمور باتخاذ الأسباب الكفيلة بعدم تعرضه للتهلكة – ومنها عدم التعرض للوحوش الكاسرة – فكذلك عليه أن لا يعرّض نفسه للإصابة بالأمراض؛ خاصة وأنه ثبت علمياً أنَّ أي علاج لا يمكنه القضاء على الفيروس بالذات، وكل ما يمكن إعطاؤه للمريض فهو مُسكن أو مهدىء حتى تتوفر للجسم المناعة الطبيعية التي أوجدها الله فيه فيتم الشفاء أو يتأخر حسب إرادة الله.

كما ينبغي على الإنسان أن يتخذ الأسباب الكفيلة بوقايته من الأمراض فى حدود ما هو مشروع.

٤ – كما أنَّ الفرار من الأسد لا يغني عن قضاء الله وقدره، فقد يصادفه أسد آخر في طريق هروبه.. تبعاً لمشيئة الله تعالى، فكذلك الفرار من المجذوم لا يغنى عن قضاء الله وقدره، فقد يكون نفس « الفيروس » كامناً في الجسم ينتظر اللحظة المناسبة لينشط ويعمل في تخريب الجسم ... ولكن مع ذلك فإنَّ أخْذ الاحتياط واجب مع الاعتقاد الجازم أنَّ خيره وشره ونجاته وهلكته وما قُضِيَ وقُدِّر له كل ذلك بيد الله تعالى وحده.

٥ – كما أنَّ الأسد قد يصادف الإنسان فلا يؤذيه كما فى قصة (سفينة) مولى رسول الله ﷺ.

فكذلك الفيروسات قد يخلق الله في الجسم مناعة ومقاومة ضدها فلا يمكن لها أن تضر، وتتعطل قدراتها بإذن الله تعالى .. وذلك في حالات خاصة ونادرة يقوى

فيها الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، حتى يصبح قوة - بإذن الله تعالى - تحتار فيها العقول !

ومن هذا المنطق ... نجد أنّ قول رسول الله ﷺ: « لا عدوى » جاء محله... وعلى ظاهره وباطنه..

فلا عدوى : تخلق المرض.

ولا عدوى : مؤثرة بذاتها.

وإنما المرض له أسباب، وهي« الوحوش الذرية » التي تهاجم الكائن الحيّ .

ولذا فقد قال ﷺ: « فمن أعدى البعير الأول »[1] .

وإنّ هذه الوحوش تدخل إلى جسم الكائن الحيّ من عدة طرق وضحناها سابقاً، ولكنْ لا يتم ذلك إلا بقضاء الله وقدره.

ولذا فقد أمر الرسول ﷺ بعزل المريض عن الصحيح، فقال: « لا يورد مُمْرِض على مُصِح »[2].

وقال ﷺ: « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها » [3].

وكان بذلك يضع الأسس الأولية للحَجْر الصحي منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، ويثبت بما لا يدع مجالاً للشك أنّ دين الإسلام هو الدين العالمي الحق الذى جمع بين مصالح الدنيا والآخرة، وجاء لمصلحة البشرية وسعادتهم في الدارين، وأنه لا ينصرف عن هذا الدين إلا كل غافل أو مكابر أو جاهل.

نسأل الله تعالى أنْ يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة إنه على ما يشاء قدير ... وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٥ من هذا البحث، الباب الثالث، الفصل الأول.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٠٥ من هذا البحث، الباب الثالث، الفصل الأول.

(٣) أخرجه البخارى حـ٧/ص ١٦٨ - ١٦٩ في الطب، وأخرجه مسلم في السلام، باب ٣٢- رقم ٩٨، ١٠٠، وأبو داود في الجنائز باب ١٠.

الفصل الثانى

الشؤم، وكونه فى ثلاث

النصوص الواردة فى هذا الموضوع

قال في جامع الأصول:

١ – أخرج البخاري ومسلم ومالك في الموطأ والترمذي وأبو داود والنسائى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ: « لا عدوى ولا طِيَرَة، وإنما الشؤم في ثلاث : في الفرس والمرأة والدار ».

وفى رواية قال: ذكروا الشؤم عند النبى ﷺ فقال: « إنْ كان الشؤم: ففى الدار والمرأة والفرس ». أخرجه البخاري ومسلم .

ولمسلم : « في المرأة والفرس والمسكن» .

وأخرج مالك فى الموطأ وأبو داود والترمذي والنسائى الرواية الأولى ولم يذكروا «العدوى والطيرة» ولم يروهما عن الزُّهرى إلا يونس بن يزيد، وغيره لم يروهما، منهم مالك بن أنس وسفيان بن عُيينة وإبراهيم بن سعد وعُقيل بن خالد وعبد الرحمن بن إسحاق وشُعيب بن أبى حمزة؛ كلُّهم لم يذكروا عن الزُّهْرى «العدوى والطيرة » ، وأخرج النسائى أيضاً رواية البخاري[1] .

٢ – وقال في جامع الأصول :

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما ومالك في الموطأ عن سهل بن سعد رضى

---

(١) ذكره ابن الأثير في جامع الأصول : جـ٦٣١/٧ ، ٦٣٢ رقم ٥٨٠٤، وتمام تخريجه كما يلي : رواه البخاري ١٨٠/١٠ ، ١٨١ في الطب، باب الطيرة، وباب لا عدوى، وفي البيوع باب شراء الإبل الهيم، وفي الجهاد باب ما يذكر من شؤم الفرس، وفي النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة ، ومسلم رقم ٢٢٢٥ في السلام باب الطيرة والفأل، والموطأ ٩٧٢/٢ في الاستئذان باب ما يتقى من الشؤم، وأبو داود رقم ٣٩٢٢ في الطب، باب في الطيرة، والترمذي رقم ٢٨٢٥ فى الأدب، باب ما جاء فى الشؤم، والنسائى ٢٢٠/٦ فى الخيل، باب شؤم الخيل .

الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: « إنْ كان في شيء: ففي الفرس والمرأة والمسكن – يعني الشؤم » عزاه ابن الأثير للبخاري ومسلم والموطأ [1].

٣ – وأخرج مسلم في صحيحه والنسائي في سننه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما مثله، وقال في حديثه: « ففي الرَّبْع والخادم والفرس » [2].

٤ – وأخرج الترمذي عن حكيم بن معاوية رضى الله عنهما قال :
سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: « لا شؤم، وقد يكون اليُمْنُ في الدار والمرأة والفرس» [3].

٥ – وأخرج أبو داود عن سعد بن مالك رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: « لا هامة، ولا عدوى، ولا طيرة، وإن تكن الطيرة في شيء : ففى الفرس والمرأة والدار» [4].

٦ – وأخرج أبو داود عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رجل: يا رسول الله، إنا كنا في دار كثر فيها عددنا وكثر فيها أموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فَقَل فيها عَدَدُنا وقلت فيها أموالنا؟ فقال رسول الله ﷺ : « ذروها ذميمة» [5] .

٧ – وأخرج مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد رضى الله عنه قال : جاءت

---

(١) جامع الأصول : جـ٧/٦٣٢ رقم الحديث ٥٨٠٥، وتمام تخريجه كما يلى : رواه البخاري ٤٨/٦ في الجهاد، باب ما يذكر من شؤم الفرس، وفي النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة، ومسلم رقم ٢٢٢٦ في السلام باب الطيرة والفأل، والموطأ ٩٧٢/٢ في الاستئذان، باب ما يتقى من الشؤم .

(٢) جامع الأصول : جـ٧/٦٣٣ رقم الحديث ٥٨٠٦، وتخريجه كما يلى:
رواه مسلم رقم ٢٢٢٧ فى السلام، باب الطيرة والفأل، والنسائى ٢٢٠/٦، ٢٢١ فى الخيل، باب شؤم الخيل .

(٣) جامع الأصول : جـ٧/٦٣٣، رقم الحديث ٥٨٠٧، وتخريجه كما يلى :
أخرجه الترمذي رقم ٢٨٢٦ في الأدب، باب ما جاء في الشؤم، وإسناده ضعيف، وقال الحافظ فى الفتح : وفي إسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة.

(٤) جامع الأصول: جـ٧/٦٤٠، ورقم الحديث ٥٨١١، وتخريجه كما يلي : رقم الحديث في سنن أبى داود هو ٣٩٢١ في الطب باب فى الطيرة، وهو حديث صحيح .

(٥) جامع الأصول لابن الأثير جـ٧/٦٤٠ رقم الحديث ٥٨١٢، وتخريجه : أخرجه أبو داود رقم ٣٩٢٤ فى الطب، باب فى الطيرة، ورواه أيضاً البخاري في الأدب المفرد رقم (٩١٨)، باب الشؤم في الفرس، وإسناده حسن .

امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقَلّ العدد وذهب المال؟ فقال: « دعوها ذميمة » [1].

٨ – قال الحافظ في شرحه على البخارى :

روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبى حسان: أنّ رجلين من بنى عامر دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة قال: إنّ رسول قال : « الطيرة في الفرس والمرأة والدار» ، فغضبت غضباً شديداً وقالت : ما قاله، وإنمّا قال: « أنّ أهل الجاهلية كانوا يتطيرون من ذلك. ا.هـ[2].

والحديث أخرجه [3] أبو عمر بن عبد البر من طريق قتادة عن أبى حسان، وفيه لفظ (الدابة) بدلاً من(الفرس) ... وزاد :

فطارت شقة منها فى السماء وشقة في الأرض ثم قالت : كذب والذى أنزل الفرقان على أبي القاسم مَنْ حَدّث عنه بهذا، ولكنّ رسول الله ﷺ كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون : إنّ الطيرة في المرأة والدار والدابة، ثم قرأت عائشة: ﴿ **ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير** ﴾ [الحديد:٢٢]. ورواه أحمد وابن خزيمة والحاكم، وصحّحه بمعناه (من طريق قتادة عن أبى حسان).

٩ – وأخرج البخاري رحمه الله عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « ما تركتُ بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » رواه البخاري[4].

---

(١) جامع الأصول : جـ٧/٦٤١، رقم الحديث ٥٨١٣، وتمام تخريجه : موطأ مالك ٢/٩٧٢ في الاستئذان باب ما يتقى من الشؤم، وإسناده منقطع، قال الزرقانى في شرح الموطأ : قال ابن عبد البر أنه محفوظ عن أنس وغيره (يريد الحديث الذى قبله) ولكنّ الذى رواه أبو داود وصحّحه الحاكم عن أنس أنّ السائل رجل وعنده فروة بن مُسيّك، يدل على أنه هو السائل، وهنا قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ، فيجمع بينهما بأن كلاً من الرجل والمرأة سأل عن ذلك .

(٢) فتح البارى: جـ٦/٦١.

(٣) نقله عنه ابن القيم في مفتاح دار السعادة :جـ٢/٢٥٣.

(٤) صحيح البخارى جـ٩ كتاب النكاح، باب ما يتقى من شؤم المرأة .

١٠ -ذكر الحافظ رحمه الله تعالى في شرحه للبخاري:

اتفقت الطرق كلها على الاقتصار على الثلاثة المذكورة، ووقع عند ابن إسحاق في رواية عبد الرزاق المذكورة : قال معمر: قالت أم سلمة: «والسيف». وذكر أيضا أنّ الدارقطني أخرجه فى غرائب مالك، وإسناده صحيح إلى الزُهْري، وأخرجه ابن ماجه عن الزهرى موصولاً عن أم سلمة أنها حدثت بهذه الثلاثة، وزادت فيهن «والسيف»[١].

التوضيح وشرح الغريب:

قال في جامع الأصول: « إنْ كان الشؤم في شيء » يعني : إن كان ما يُكْره ويُخَاف عاقبته: ففي هذه الثلاثة، وتخصيصه المرأة والفرس والرّبْع والدار: لأنّه لما أبطل مذهب العرب فى التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء ونحو ذلك قال: فإنْ كان لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس لا يعجبه ارتباطه -: فليفارقها؛ بأن ينتقل عن الدار ويبيع الفرس ويطلق الزوجة، وكان محل هذا الكلام محل استثناء الشيء من غير جنسه، وسبيله سبيل الخروج من كلام إلى غيره.

وقد قيل إنّ شؤم الدار ضيقها وسوء جارها، وشؤم الفرس : أنْ لا يُغزَى عليها، وشؤم المرأة أن لا تلد[٢].

الشؤم بضم المعجمة وسكون الهمزة، وقد تسهّل فتصير واواً ،وهو ضد اليُمن: يقال: تشاءمت بكذا، وتيمَّنتُ بكذا.

قال الحافظ - رحمه الله - في فتح الباري : والطيرة والشؤم بمعنى واحد[٣].

قال الإمام النووى رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم - رحمه الله - يوضح ما جاء بخصوص الخيل:

---

(١) فتح البارى :جـ٦٣/٩ باب ما يذكر من شؤم الفرس.

(٢) جامع الأصول: جـ٦٣٣/٧. وانظر ما قاله الحافظ فى « الفتح »حول الشؤم ورواياته ومعناه ٤٥/٦-٤٨، في الجهاد- باب ما يذكر من شؤم الفرس. ا.هـ.

(٣) فتح البارى جـ٦١/٦ .

الشرح : باب فضيلة الخيل وأنّ الخير معقود بنواصيها: قوله ﷺ « الخيل معقود بنواصيها إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة » وفي رواية « الخير معقوص بنواصي الخيل» وفي رواية « البركة في نواصي الخيل » : المعقود والمعقوص بمعنى واحد، ومعناه ملوى مضفور فيها، والمراد بالناصية هنا الشعر المسترسل على الجبهة، قال الخَطَّابى وغيره: قالوا : وكَنَّى بالناصية عن جميع ذات الفرس، يقال : فلان مبارك الناصية ومبارك الغُرّة: أي الذات، وفى هذه الأحاديث استحباب رباط الخيل واقتنائها للغزو وقتال أعداء الله وأنّ فضلها وخيرها والجهاد باقٍ إلى يوم القيامة، وأما الحديث الآخر: « الشؤم قد يكون في الفرس » فالمراد به غير الخيل المُعَدّة للغزو ونحوه، أو أنّ الخير والشؤم يجتمعان فيها، فإنه فَسَّرَ الخير بالأجر والمغنم، ولا يمتنع مع هذا أنْ يكون الفرس مما يتشاءم به. ا.هـ[1]

مناقشة الأحاديث الواردة في هذا الفصل :

ورد في هذا الفصل ثلاث مجموعات من الأحاديث الشريفة الصحيحة يوحي ظاهرها بالتعارض فيما بينها، لذا كان من الضروري إزالة اللَّبْس الذي يعلق بالأذهان لدى الاطلاع عليها.

ولقد كان للعلماء الأفاضل ـ رحمهم الله تعالى ـ أقوال مشكورة واجتهادات محمودة في هذا المجال ـ كما في غيره ـ وسأجملها ثم أعلّق عليها إن شاء الله تعالى فيما يلى:

أولاً : بالنسبة لما ورد مِنْ أنّ السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قد أنكرت أنْ يكون هذا الحديث وارداً عن النبى ﷺ فقد أجاب عليه العلماء – رحمهم الله تعالى– كما يلى:

١ – قال أبو عمر بن عبد البر :

كان قوله [2] ذلك في أول الأمر، ثم نُسخ بقوله تعالى: ﴿ ما أصاب من مصيبة فى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ١٣/١٦، ١٧ باب فضيلة الخيل وأنّ الخير معقود بنواصيها.

(٢) أى قول الرسول ﷺ فيما يختص بشؤم الفرس والمرأة والدابة.

الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب ﴾ الآية [الحديد: ٢٢]، كما أزال الإشكال عن قولها - رضى الله عنها - في أبى هريرة رضى الله عنه: (كذب) عندما أنكرت الحديث.

فقال أبو عمر رحمه الله : قولها في أبى هريرة كذب فإنّ العرب تقول : كذبت بمعنى غلطت فيما قدرت وأوهمت فيما قلتَ، ولم تظن حقاً، ونحو هذا، وذلك معروف من كلامهم موجود في أشعارهم كثيراً:

كذبتم وبيت الله نترك مكة ... ونظعن إلا أمركم في بلابل

كذبتم وبيت الله نبرى محمداً ... ولما نطاعن دونه ونقاتل

ونسلمه حتى نُصرع حوله ... ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال شاعر من هَمْدان :

كذبتم وبيت الله لا تأخذونه ... مراغمة ما دام للسيف قائم

وقال زفر بن الحارث العبّسي :

أفي الحق إما بحدل وابن بحدل ... فيحيى وأما الزبير فيقتل

كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ... ولما يكن أمر أغر محجل

قال : ألا ترى أن هذا ليس من باب الكذب الذى هو ضد الصدق وإنما هو من باب الغلط وظن ما ليس بصحيح، وذلك أنّ قريشاً زعموا أنهم يُخرجون بنى هاشم من مكة إن لم يتركوا جوار محمد ﷺ، فقال لهم أبو طالب: كذبتم، أي غلطتم فيما قلتم وظننتم .

وكذلك معنى قول الهَمْدانى، والعبّسي، وهذا مشهور في كلام العرب .

نَفْي احتمال النّسْخ :

ولقد زيّف الحافظ - رحمه الله - رأى أبى عمر هذا في فتح البارى، وقال بعد أن ذكر ما قاله ابن عبد البر:

« والنسخ لا يثبت بالاحتمال، لاسيما مع إمكان الجمع، ولا سيما وقد ورد في

نفس هذا الخبر نفى التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة »[1].

وقد تابعه على رأيه جمهور العلماء، ومنهم ابن القيم رحمه الله فى كتابه(مفتاح دار السعادة)، وقال : -

« والمقصود أنّ عائشة رضى الله عنها ردّت هذا الحديث وأنكرته وخطأت قائله، ولكن قول عائشة هذا مرجوح، ولها - رضى الله عنها - اجتهاد في رد بعض الأحاديث الصحيحة خالفها فيه غيرها من الصحابة، وهي -رضى الله عنها- لما ظنّت أنّ هذا الحديث يقتضى إثبات الطيرة التي هي من الشرك لم يسعها غير تكذيبه وردّه، ولكن الذين رووه ممن لا يمكن رد روايتهم، ولم ينفرد بهذا أبو هريرة وحده، ولو انفرد به فهو حافظ الأمة على الإطلاق، وكل ما رواه عن النبى ﷺ فهو صحيح، بل قد رواه عن النبى ﷺ عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهما ـ وسهل بن سعد الساعدى، وجابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنهم ـ، وأحاديثهم في الصحيح»[2].

وقالت طائفة من العلماء :

إنّ الأحاديث التى تنص على شؤم الفرس والدابة والمرأة ... إنما سيقت لبيان اعتقاد الناس في ذلك ، لا أنه إخبار من النبى ﷺ بثبوت ذلك .

وأجيب بأنّ سياق الأحاديث المتقدم ذكرها يبعد هذا التأويل كما قال ابن العربي - رحمه الله - وهذا جواب ساقط لأنه ﷺ لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم الماضية والحاصلة، وإنما بعث ليعلّمهم ما يلزمهم أنْ يعتقدوه[3]. ا.هـ.

قال في فتح الباري :

ومن أخذ بظاهر الحديث في أنّ الشؤم والطيرة فى هذه الثلاثة: ابن قتيبة رحمه الله.

---

(١) فتح الباري جـ٦ /٦٢ .

(٢) مفتاح دار السعادة :جـ٢/٢٥٤.

(٣) مفتاح دار السعادة :ج ٦١/٢.

قال : ووجهــه أنَّ أهل الجاهلية كانوا يتطـيرون، فنهــاهم النبى ﷺ وأعلمـهم أنْ لا طيرة، فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة. ا.هـ.

فـمشى ابن قتيبة – رحمـه الله – على الظاهر، ويلزم على قوله أن من تشاءم بشيء منها نزل ما يكره ... لأنَّ الطيرة على من تطير .

وأجاب القرطبي رحمــه الله تعـالى على ابن قُتيـبة رحمه الله تعالى بقولــه : ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته، فإنَّ ذلك خطأ، وإنما عَنى أنَّ هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس، فمن وقع في نفسه شيء أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره[1].

والصحيح .. كما نص على ذلك أكثر العلماء – رحمهم الله تعالى – أنَّ هذا الحديث يباين ويخالف الطيرة الشركية التي نهى عنها رسول الله ﷺ، إذ أنه لا يعقل أنْ ينهى عن شيء ويُجيز خلافه، إلا بدليل منصوص عليه، وهذا الحديث كما نرى قد رُوِيَ على وجهين، أحدهما بالجزم والثاني بالشرط.

وقد نفت طائفة من العلماء أن يكون النبى ﷺ قد جزم بالشؤم في هذه الثلاثة، وقالوا بأن الرسول ﷺ علّق الشؤم في هذه الثلاث على الشرط، فقـال: إنْ يكن الشؤم في شيء، ولا يلزم من صدق الشرطية صدق كل واحد من مفرديهـا، فقد يصدق التلازم بين المستحيلين.

قالوا: ولعل الوهم وقع من ذلك، وهو أنَّ الراوي غلط وقال: «الشؤم في ثلاثة»، وإنما الحديث: « إنْ كان الشؤم في شيء ففي ثلاثة ».

قالوا : وقد اختلف على ابن عمر، والروايتان صحيحتان عنه، قالوا: وبهذا يزول الإشكال ويتبين وجه الصواب.

وقالت طائفة أخرى :

إضافة رسول الله ﷺ الشؤم إلى هذه الثلاثة مجاز واتساع، أي قد يحصل مقارناً

---

(١) فتح الباري جـ٦ /٦١.

لها وعندها لا أنها هي في أنفسها مما يوجب الشؤم . قالوا : وقد يكون الدار قد قضى الله عز وجل عليها أن يميت فيها خلقاً من عباده كما يقدّر ذلك فى البلد الذى ينزل الطاعون به، وفي المكان الذى يكثر الوباء به، فيضاف ذلك إلى المكان مجازاً، والله خَلَقَهُ عِنْدهُ وَقَدَّرَهُ فيه كما يخلق الموت عند قتل القاتل،والشّبع والرى عند أكل الآكل وشرب الشارب، فالدار التي يهلك أكثر ساكنيها تُوصف بالشؤم، لأن الله عز وجل قد خصّها بكثرة مَنْ هلك فيها، فمن كتب الله عليه الموت في تلك الدار حسن إليه سكناها وَحرَّكهُ إليها حتى يقبض روحه في المكان الذى كتب له، كما ساق الرجل من بلد إلى بلد للأثر والبقعة التي قضى أنه يكون مدفنه بها... قالوا: وكذلك ما يوصف من طول أعمار بعض أهل البلدان ليس ذلك من أجل صحة هواء ولا طِيب تربة ولا طبع يزداد به الأجل وينقص بفواته، ولكن الله سبحانه قد خلق ذلك المكان وقضى أنْ يسكنه أطول خلْقه أعماراً، فيسوقهم إليه، ويجمعهم فيه، ويحببه إليهم . ثم قالوا... وإذا كان هذا على ما وصفنا في الدور والبقاع جاز مثله في النساء والخيل، فتكون المرأة قد قدر الله عليها أن تتزوج عدداً من الرجال ويموتون معها، فلابد من إنفاذ قضائه وقدره، حتى أنَّ الرجل ليقدم عليها من بعد علمه بكثرة من مات عنها لوجه من الطمع يقوده إليها حتى يتم قضاؤه وقدره، فتوصف المرأة بالشؤم لذلك، وكذلك الفرس، وإنْ لم يكن لشيء من ذلك فعل ولا تأثير. وقال ابن القاسم ـ رحمه الله ـ: سُئل مالك ـ رحمه الله ـ عن الشؤم في الفرس والدار قال: إنَّ ذلك كذب فيما نرى، كم من دار قد سكنها ناس فهلكوا، ثم سكنها آخرون فملكوا ! قال: فهذا تفسيره فيما نرى والله أعلم .

وقالت طائفة أخرى:

شؤم الدار : مجاورة جار السوء.

وشؤم الفرس : ألا يُغْزى عليها في سبيل الله .

وشؤم المرأة : ألا تلد وتكون سيئة الخُلُق.

وقالت طائفة أخرى ـ منهم الخَطّابى ـ: هذا مستثنى من الطيرة، أي الطيرة منهي عنها إلا أنْ يكون له دار يكره سكناها، أو امرأة يكره صحبتها، أو فرس أو خادم، فليفارق الجميع بالبيع والطلاق ونحوه، ولا يقيم على الكراهة والتأذّى به؛ فإنه شُؤْم.

وقد سلك هذا المسلك أبو محمد بن قتيبة فى كتاب « مشكل الحديث » له لما ذكر أنّ بعض الملاحدة اعترض بحديث هذه الثلاثة.

وقالت طائفة أخرى : الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق مَنْ تشاءم بها وتطيّر بها، فيكون شؤمها عليه، ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشئومة عليه، قالوا: ويدل عليه حديث أنس: « الطيرة على مَنْ تطير » [1].

وقد يجعل الله سبحانه وتعالى تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به .

وسر هذا أنّ الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى، والخوف من غيره، وعدم التوكل عليه والثقة به، وكان صاحبها غرضاً لسهام الشر والبلاء، فيتسرع نفوذها فيه، لأنه لم يتدرع من التوحيد والتوكل بجنّة واقية، وكل من خاف شيئاً غير الله سُلّط عليه،كما أنّ من أحب مع الله غيره عُذّب به، ومن رجا مع الله غيره خذل من جهته، وهذه أُمور تجربتها تكفى عن أدلتها، والنفس لابد أنْ تتطير ، ولكنّ المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله، فإنّ من توكل على الله وحده كفاه من غيره، قال تعالى: ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذْ بالله من الشيطان الرجيم * إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * إنما سلطانه على**

---

(١) حديث أنس رضى الله عنه أخرجه ابن حبان، قال : روى زُهير بن معاوية عن عتبة بن حميد قال : حدثنى عبيد الله بن أبى بكر أنه سمع أنساً يقول : قال رسول الله ﷺ : « لا طيرة ، والطيرة على مَنْ تطير ... وإنْ يكن فى شىء ففى المرأة والدار والفرس » ولكن الحافظ ـ رحمه الله ـ علق عليه في (فتح البارى) قائلاً : في صحته نظر، لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبى بكر عن أنس، قال : وعتبة مختلف فيه (فتح البارى جـ٦/٦٣).

الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ [النحل:٩٨-١٠٠] .

ولهذا قال ابن مسعود : (وما منا إلا) يعنى مَنْ يقارب التطير (ولكن الله يذهبه بالتوكل) .

ومن هذا قول زياد بن سيار :

أطار الطيرة إذ سرنا زياد	لتخبرنا وما فيها خبير
أقام كأن لقمان بن عاد	أشار له بحكمته مشير
تعلم أنه لا طير إلا	على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء	أحايينا وباطله كثير

قالوا : فالشؤم الذي في الدار والمرأة والفرس قد يكون مخصوصاً بمن تشاءم بها وتطير، وأمّا مَنْ توكل على الله وخافه وحده ولم يتطير ولم يتشاءم فإنّ الفرس والمرأة والدار لا يكون شؤماً فى حقه...

وقالت طائفة أخرى : معنى الحديث : إخباره ﷺ عن الأسباب المثيرة للطيرة الكامنة فى الغرائز – يعنى أنّ المثير للطيرة فى غرائز الناس هي هذه الثلاثة، فأخبرنا لنأخذ الحذَر منها، فقال : الشؤم فى الدار والمرأة والفرس، أى أنّ الحوادث التي تكثر مع هذه الأشياء والمصائب التي تتوالى عندها تدعو الناس إلى التشاؤم بها، فقال: الشؤم فيها، أي أنّ الله قد يقدره فيها على قوم دون قوم، فخاطبهم رسول الله ﷺ بذلك لما استقر عندهم منه ﷺ من إبطال الطيرة وإنكار العدوى، ولذلك لم يستفهموا فى ذلك عن معنى ما أراده ﷺ كما تقدم لهم في قوله: « لا يورد الممرض على المصح فقالوا عنده: وما ذاك يا رسول الله ؟ فأخبرهم أنه خاف في ذلك الأذى الذى يدخله المُمْرض على المُصحّ؛ لا العدوى، لأنه ﷺ أمر بالتوادد وإدخال السرور بين المؤمنين وحسن التجاور ونهى عن التقاطع والتباغض والأذى.

فمن اعتقد أنّ رسول الله ﷺ نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذلك دون الله فقد أعظم الفرْية على الله ورسوله وضلّ ضلالاً بعيداً،

والنبى ﷺ ابتدأهم بنفي الطيرة والعدوى، ثم قال: «الشؤم فى ثلاث» قطعاً لتوهم الطيرة المنفية في الثلاثة التي أخبر أنَّ الشؤم يكون فيها، فقال: « لا عدوى، ولا طيرة، والشؤم فى ثلاثة »، فابتدأهم بالمؤخر من الخبر تعجلاً لهم بالإخبار بفساد العدوى والطيرة المتوهمة من قوله : « الشؤم فى ثلاثة».

وبالجملة: فإخباره ﷺ بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التى نفاها، وإنما غايته أنَّ الله سبحانه وتعالى قد يخلق منها أعياناً مشئومة على مَن قاربها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر. وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولداً مشئوماً يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة، ويقضى سعادة مَنْ قارنها وحصول اليُمْن والبركة له، ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها مَنْ قارنا، وكل ذلك بقضائه وقدره ؛ كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة، ولذّذ بها من قارنها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس. والفرق بين هذين النوعين يُدرك بالحِسّ، فكذلك في الديار والنساء والخيل . فهذا لوْن والطيرة الشركية لون آخر.

اختيارنا في الموضوع :

والذى وفقنى الله سبحانه وتعالى إليه فى هذا الموضوع ... أنَّ الأحاديث صحيحة، ولا تعارض بينها ولا نسخ، وذلك كما نصَّ عليه جمهور كبير من العلماء الأفاضل رحمهم الله، كما أنَّ الحصر الذي في حديث ابن عمر رضى الله عنهما:« إنما الشؤم في ثلاثة...» الحديث – ليس على ظاهره؛ بدليل الرواية الأخرى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه: « إنْ كان فى شيء ففي المرأة والفرس والمسكن» ، وبدليل قوله تعالى: ﴿ إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ﴾ [التغابن :١٤]،

وبدليل الحديث الصحيح عن أبي هريرة –رضى اللهعنه– أنّ رسول الله ﷺ قال : «الخيل لثلاثة: لرجل أجْر، ولرجل سِتر، وعلى رجل وِزْر. فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال في مرّج أو رَوْضة، فما أصابت في طيَلها ذلك من المرْج أو الروضة كانت له حسنات، ولو أنها قطعت طِيلَها فَاستَنَّتْ شرَفًا أو شَرَفَيْن كانت أرواثها حسنات له، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أنْ يسقيها كان ذلك حسنات له . فأما الرجل الذى هى عليه وزر فهو رجل ربطها فخراً ورئاء ونواء لأهل الإسلام، فهي وزر على ذلك.. » ــ الحديث ... أخرجه البخارى[1]. وقال في فتح البارى : وأخرج أحمد في صحيحه، وابن حِبان، وصحّحه، والحاكم في مستدركه؛ من حديث سعد – رضى الله عنه – مرفوعًا: « مِنْ سعادة ابن آدم ثلاثة : المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة : المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»، وفي روايةٍلابن حبان: « المركب الهني، والمسكن الواسع »، وفى رواية للحاكم: « وثلاثة من الشقاء: المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك، والدابة تكون قَطُوفًا فإنْ ضربتَها أتعبتك وإنْ تركتَها لم تَلْحَقْ أصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق ». وللطبراني من حديث أسماء: « إنّ مِنْ شقاء المرء في الدنيا سوء الدار والمرأة والدابة»، وفيه: «سوء الدار ضيق ساحتهاوخبث جيرانها، وسوء الدابة منعها ظهرها وسوء طبعها، وسوء المرأة عُقم رحمها وسوء خُلُقها»[2].

فدلت الآية الكريمة والأحاديث الصحيحة على أنّ الشؤم مخصوص ببعض دون بعض، سواء أكان ذلك فى الأزواج أم كان في الدواب .. ويقاس على ذلك الدور والمنازل، وسيأتى بيانه إنْ شاء الله تعالى.

وقال ابن حَجَر رحمه الله : كما أنّ قول الرسول ﷺ: « ما تركت بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء » ــ وقد أورده البخارى رحمه الله في كتاب النكاح

---

(١) فتح البارى : جـ٦ / ٦٣ .

(٢) حكاه ابن حجر في فتح البارى جـ١٣٨/٩ شرح صحيح البخارى كتاب النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة .

باب ما يتقى من شؤم المرأة بعد حديثَىْ ابن عمر، وسهل رضى الله عنهما وبعد ذكر الآية الكريمة. يدل على أن تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة، لا أنّ لها تأثيراً فى جلْب خير أو دفع ضر.

وقد علّق الشيخ تقي الدين السبكى على ذلك قائلاً : في إيراد البخارى هذا الحديث عقب حديثَىْ ابن عمر وسهل بعد ذكر الآية في الترجمة إشارة إلى تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكعبها، أو أنّ لها تأثيراً فى ذلك ، وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء، ومن قال إنها سبب فى ذلك فهو جاهل، وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر؛ فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل، وإنما يتفق قضاء وقدر فتنفر النفس من ذلك؟! فمن وقع له ذلك فلا يضره أنْ يتركها من غير أنْ يعتقد نسبة الفعل إليها. ا.هـ[1].

وإذاً فهذه الأعيان المذكورة في الأحاديث والتي قد تكون سبباً للشؤم ليس لها أي يد في جلْب خير أو دفع ضر، لأنّ الخير والضرر إنما يكونان من الله تعالى وحده، ولكنْ لما كان قد جعل الله فى غرائز الناس استثقال الأشياء التى ينالهم الشر فيها أو بسببها فإنّ الرسول الكريم ﷺ قد رخّص فى فراق الفرس والدابة والدار سداً للذرائع وحتى لا يَظُن ظانّ أنّ الشر لازمه أو أنّ الخير يفارقه بسبب هذه الأشياء فيقع فى الشرك — والعياذ بالله.

وأما المراد بشؤم الدار والمرأة والفرس وكذلك السيف « السلاح » فأقول ـ وبالله التوفيق ـ: إنّ شؤم هذه الأشياء إنما يكون إذا صرفت الإنسان عن واجب أو مندوب إليه شرعى أو أغرته أو كانت سبباً فى ارتكاب المحرمات وفعل المنهيات ... ودليلى على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

---

(١) حكاه ابن حجر في فتح البارى جـ١٣٨/٩ شرح صحيح البخارى كتاب النكاح، باب ما يُتقى من شؤم المرأة .

لذا فعلى الإنسان الذى يريد أن يضمن لنفسه سعادة الدارين أنْ يحرص أشد الحرص على سلامة توحيده وصيانة دينه، ولما كانت الدار والمرأة والفرس وكذلك السيف« السلاح» من الأشياء الضرورية لكل إنسان تقريباً بحيث تكون هذه الأشياء شبه ملازمة له أو هو شبه ملازم لها .. أقول : ولما كان الأمر كذلك فعلى الإنسان أنْ ينظر إلى هذه الأشياء من ناحية تأثيرها على دينه وعقيدته، فإن رأى لها تأثيراً سيئاً فعليه مفارقتها، ولا إثم يلحقه من ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ. ومثال ذلك فى شؤم الدار مثلاً: فإنْ كانت الدار تقع فى وسطٍ موبوء بالموبقات أو فى مكان لا يستطيع أنْ يقيم فيه شعائر دينه على أكمل وجه أو استوحشت نفسه منها لسبب من الأسباب كأنْ ينقطع فيها رزقه أو نسله أو تصيبه الأمراض أو الكوارث وهو فيها... أو نحو ذلك ... فيجوز له مفارقة تلك الدار إلى وسط آخر يرتاح إليه دون أنْ يكون عليه إثم فى ذلك– إنْ شاء الله تعالى – لأنه يعلم تمام العلم أنّ الله سبحانه وتعالى، هو المتصرف فى القضاء والقدر، فهو يفر من قضاء الله تعالى إلى قضاء الله تعالى ولذا فقد شرع الله سبحانه وتعالى الهجرة، وجعلها باقية إلى يوم القيامة، وأمر الرسول ﷺ أصحابه بهجرتين: الأولى إلى الحبشة والثانية إلى المدينة المنورة، فكان النصر المبين للإسلام والدخول فى دين الله أفواجاً .

فبالرغم من ثقة المؤمنين التامة بنصر الله لهم أينما كانوا فقد امتثلوا أمر الله سبحانه وتعالى لهم بالهجرة، فهاجروا من أحبّ الأماكن إلى الله... وإلى أنفسهم ... ألا وهى مكة المكرمة.. وتركوا أموالهم ودورهم ونساءهم .. مع أنّ هذه الأشياء تمثل نعيم الحياة الدنيا فى نظر بعض الناس ومع ذلك فقد تركوها ولم يقولوا فلينصرنا الله ونحن هنا، وإنما أخذوا بالأسباب مع التوكل على الله سبحانه وتعالى وتركوا الديار امتثالاً لأمر الله تعالى وتسلحوا بالإيمان والثقة بالله وبدوام الابتهال والدعاء لله تعالى.

فكان ذلك شرفاً عظيماً لهم وكانت الهجرة فجراً جديداً يسطع في سماء المؤمنين ونوراً خالداً ينير السبيل للتائهين.

وهكذا فلفظ الدار يصدق على كل من المسكن والبلد الذى نعيش فيه، فقد تكون الدار مثلاً دار فساد، ويقدّر الله سبحانه وتعالى أن يكون أحد أبنائها مؤمناً، فيلقى من ألوان العذاب من أهله ما يؤذيه أو يصرفه أحياناً عن الإيمان بالله .. فهذا الإنسان المؤمن عليه أن يفارق الدار. وهكذا بالنسبة للبلاد لو مُنيت مثلا بحاكم جائر كما حدث لبنى إسرائيل مع فرعون حيث قال موسى لفرعون بناء على أمر ربه: ﴿ فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآيةٍ من ربك والسلام على من اتبع الهدى ﴾ [طه: ٤٧]. فمفارقة الدار التى يصيبنا فيها ما يكون خطراً على عقيدتنا أو شرائع ديننا أمر جائز.. بل وربما يكون فى بعض الأحيان مستحباً أو واجباً..

ونحن جميعاً نعلم أنّ الهجرة مفروضة وباقية إلى يوم القيامة ... والهجرة هى الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام... قال الله تعالى: ﴿ إنّ الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً * ومن يهاجر فى سبيل الله يجدْ في الأرض مُراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [النساء: ٩٧- ١٠٠].

ولما كانت الدور محلاً للسكنى .. والإنسان يقوم في داره بعبادة الله تعالى من صلاة ودعاء وذبح وغير ذلك من أنواع العبادة، لذا يشرع له أن يختار الدار التي تطمئن لها نفسه وينشرح لها صدره.. فيختارها أصلاً فى موضع مناسب وبيئة مناسبة ليستطيع أن يقوم بعبادة ربه على أكمل وجه. وأما ما ذهب إليه بعض العلماء — رحمهم الله تعالى — من أنّ شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها ونحو ذلك... فهذا كلام فيه نظر .. وذلك لما رُوي في السِّيَر من وَصْفٍ لحجرات أزواج الرسول ﷺ .. فقد أخرج البخارى ومسلم رحمهما الله تعالى عنْ عائشة أمّ المؤمنين رضى الله عنها

قالت: « كنت أنام بين يدى رسول الله ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضتُ رجليّ، وإذا قام بسطتهما، والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح »[1].

فهذا رسول الله ﷺ يصلى التهجد فى بيته وأم المؤمنين رضى الله عنها نائمة بين يديه لضيق الحجرة، فيحرك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام رجلها عن موضع سجوده لترفعهما .. فلو كان ضيق الدار شؤماً لتحول الرسول ﷺ إلى دار أوسع!

ولقد كان هذا المنهج قدوة لصحابته ﷺ، فكانوا يجتهدون في جعل البيت مكاناً على قدر ما يسترهم عن عيون الناس ونحو ذلك... ويجتنبون التباهي في البناء وتوسيع الدور لغير ما حاجة كما نفعل في زماننا .

وأما جار السوء وأنه من شؤم الدار ففيه نظر أيضاً، لأنّ الشريعة الإسلامية جاءت بالوصية على الجار، فعن عائشة رضي الله عنها : عن النبي ﷺ قال: « ما زال يوصيني جبريل بالجار حتى ظننت أنّه سيُورِّثُه »[2].

والإحسان إلى الجار هو أنْ تصبر على أذاه !

فَلَمْ يبقَ إذن والحال كذلك إلا أنّ المراد بشؤم الدار هو أنْ لا يستطيع الإنسان القيام فيها بعبادة ربه عز وجل على الوجه الأكمل، أو أنْ تكون مقامة فى مكان كانت ترتكب فيه المعاصى أو نحو ذلك من الأمور . فترْك مثل هذه الدار أحق وأولى؛ لأن الهدف الأسمى من وجودنا فى الحياة هو عبادة الله وحده وعدم الشرك به، قال الله تعالى: ﴿ وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات: ٥٦] .

وأما ما ذكر من رواية أنس أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنا كنا فى دار كثير فيها عددنا وكثير فيها أموالنا فتحولنا إلى دار أخرى فقل فيها

---

(١) نيل المرام ص : ١٧٤

(٢) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢٦٢/٣ ، ٢٦٣ رقم ١٦٨٤ كتاب البر و الصلة والآداب: ٤٢– باب الوصية بالجار والإحسان إليه، وأخرجه البخارى فى ٧٨ كتاب الأدب : ٢٨ – باب الوصاة بالجار.

عددنا وقلت فيها أموالنا؟ فقال رسول الله ﷺ : « ذروها ذميمة »[1]، وكذلك ما جاء في الأثر الذى ذكره مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، دار سكناها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال؟ فقال رسول الله ﷺ: « دعوها ذميمة» قال ابن عبد البر هذا حديث محفوظ عن أنس وغيره[2] ـ :

فإن هذا الأمر من رسول الله ﷺ ليس من الطيرة المنهى عنها؛ وحاشا لرسول الله ﷺ أنْ ينهى عن شيء ثم يأمر بخلافه، ولكن لما وقع في قلوب القوم أنَّ المصائب لحقتهم فى تلك الدار مع علمهم التام بالقضاء والقدر وإيمانهم به واستوحشوا لذلك وأرادوا أنْ يعرفوا حكم الإسلام فى مفارقتها أجاز لهم الرسول ﷺ مفارقتها وأمرهم بالتحول عنها وذلك لعدة أمور :

أحدها : سماحة الدين الإسلامى ويسره، فلما رأى الرسول ﷺ ما لحق القوم من الوحشة والضيق فى تلك الدار وكراهيتهم من المقام فيها أمرهم بالتحول عنها لبيان الجواز فى مثل تلك الأمور ولعدم إلزامهم بالمقام فى مكان يكرهونه.

والثانى : أنه لو لم يأمرهم بالتحول عن تلك الدار فلربما يجر ذلك عليهم مفسدة عظيمة مما قد يستقر فى قلوبهم من أنَّ المصائب قد لحقتهم بسبب تلك الدار وهى إنما كانت مقدرة عليهم فى ذلك المكان فيقاربوا بذلك الشرك ويفتحوا على أنفسهم أبواباً من البلاء لأنَّ الطيرة إنما تلحق المتطير.

فترك المكان في سبيل الله سواء أكان داراً أو بلداً ليس من الطيرة الشركية المنهي عنها، لأن ترك المكان هنا لسبب ظاهر، وخطر محقق... وأما الطيرة الشركية فهي أن تترك المصلحة بسبب وَهْم أو إشارة من النجوم، أو كلام سمعته، أو طائر زجرته، أو نحو ذلك، فتركك الشيء بسبب خطر محقق ومؤكد شيء وتركك الشيء بسبب

(١، ٢) سبق تخريجهما ص٢٣٥، ٢٣٦ من هذا الفصل.

وهم باطل شيء آخر .

وعلى هذا فمشروعية التحول عن الدار لمن يريد ذلك من باب الأخذ بالأسباب وباب سد الذرائع وباب سماحة الدين الإسلامي ويسره، وليس من باب الطيرة الشركية المنهى عنها والحمد لله، لأن الله تعالى هو وحده الخالق الرازق المالك المتصرف.... و هو وحده على ما يشاء قدير، الفعّال لما يريد.

نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، ونسأله تعالى أنْ يثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة إنه سميع مجيب .

وأما بالنسبة لشؤم بعض النساء ويمنهن:

فالحال كذلك شبيه بشؤم بعض الدور، إذ أنّ المرأة من ضمن رعية الرجل، وهو مسئول عنها يوم القيامة، ولذا فإنّ رسول الله ﷺ لما بيّن الأسباب التى تُنكح من أجلها رغّب ﷺ فى ذات الدين، فقال رسول الله ﷺ: « تُنْكَحُ المرأةُ لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك »[1].

كما رغّب رسول الله ﷺ في الزواج من الودود الولود، فقد خرّج في جامع الأصول عن مَعْقِل بن يسار ـ رضى الله عنه ـ مرفوعاً؛ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد، أفأتزوجها؟ قال: «لا» . ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: « تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم »[2].

وفى جامع الأصول أيضاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة » ، وفى رواية ذكرها رَزين؛ قال: « إن الدنيا متاع ومن خير متاعها امرأة تعين زوجها على الآخرة»[3] .

---

(١) جامع الأصول ٤٢٩/١١ رقم الحديث ٨٩٦٤، وفى صحيح الجامع الصغير نحوه ١٦٢/٢ رقم ١٩٣٧ .

(٢) جامع الأصول ٤٢٨/١١ رقم الحديث ٨٩٦٠.

(٣) جامع الأصول ٤٢٨/١١ ، ٤٢٩ رقم الحديث ٨٩٦٢.

وقال في صحيح الجامع الصغير: « إن منْ يُمْن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»[1].

وهكذا فالمرأة قد تكون يُمْنًا وبركة على زوجها؛ ليس فقط بسبب العوارض الدنيوية من مال تعطيه لزوجها أو بنين يرزقه الله إياهم منها أو نحو ذلك من الأمور ـ ولكنْ أيضاً بما تسببه لزوجها من حسنات، فهى سكن للرجل: تعينه بإيمانها وحبها ومودتها على كل مصائب الدنيا، ولذا فقد كانت السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ نعم الزوجة الميمونة المباركة لمحمد ﷺ، أعانته بمالها وأنجبت له البنين والبنات، وكانت – رضى الله عنها – أول من آمنت برسالته، وصدقته، وقالت له: أبشر يا ابن العم، فوالله لا يخزيك الله أبداً. فاستحقت أنْ تكون من سيدات أهل الجنة الأربعة، وأنْ تكون زوجة الرسول ﷺ فى الدنيا والآخرة، وأنْ يظل الرسول ﷺ وفياً لها ولذكراها بعد موتها ـ رضى الله عنها ـ.

ولا يجب أن ننسي في هذ المقام السيدة الجليلة « أم سُليم »[2] رضى الله عنها، إذ أنها كانت سبباً فى إسلام زوجها أبي طلحة ـ رضى الله عنه ـ فقد ورد في « أسد الغابة » عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنّ أبا طلحة خطب أُمّ سُليم،

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢/٢٥١ رقم ٢٢٣١.

(٢) هى أم سُليم بنت مِلحَان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار الأنصارية الخزرجية النجارية، أم أنس بن مالك، اختلف فى اسمها: فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل مليكة، والغميصاء والرميصاء. كانت تحت مالك بن النضر والد أنس بن مالك في الجاهلية، فغضب عليها وخرج إلي الشام، ومات هناك، فخطبها أبو طلحة الأنصارى وهو مشرك، فقالت: أما إنى فيك لراغبة، وما مثلك يُرَد، ولكنك كافر، وأنا مسلمة، فإن تسلم فلك مهري، ولا أسألك غيره، فأسلم وتزوجها وحسن إسلامه، فولدت له غلاماً مات صغيراً، وهو أبو عُمير، وكان معجباً به، فمات فأسف عليه، ثم ولدت له عبد الله بن أبى طلحة، وهو والد إسحاق، فبارك الله فى إسحاق وإخوته، وكانوا عشرة، كلهم حَمل العلم عنه، وكانت تغزو مع رسول الله ﷺ، وروت عنه أحاديث، وروى عنها ابنها أنس، وكانت من عقلاء النساء. وقد ورد ذكرها في صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/١٠-١٤. « انظر أسد الغابة لابن الأثير: جـ ٣٤٥/٧ /٣٤٦، رقم ٧٤٧١.

فقالت: يا أبا طلحة، ألست تعلم أنَّ إلهك الذى تعبد ينبت من الأرض ينجرها حبشى بني فلان؟ قال : بلى ! قالت: أفلا تستحيي تعبد خبشة؟ إنْ أنت أسلمت فإنى لا أريد منك الصداق غيره. قال : حتى أنظر فى أمرى. فذهب ثم جاء، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، فقالت: يا أنس زَوِّج أبا طلحة، فتزوجها [1].

فكانت « أم سُليم » ـ رضى الله عنها ـ أعظم بركة على زوجها أبي طلحة ـ رضى الله عنه ـ من أي شيء آخر.

والنساء الصالحات ـ والحمد لله ـ كثيرات فى أمتنا الإسلامية. أما إذا كانت المرأة بعيدة عن الله تعالى، قريبة من الشيطان، فإنها تكون أكبر مصيبة يمنى بها زوجها والعياذ بالله.

والحياة الإنسانية مليئة بأمثلة هذا النوع من النساء، ولعل أقوى تلك الأمثلة وأعظمها: هو المثل الذى ضربه الله سبحانه وتعالى فى سورة التحريم، فقال الله تعالى: ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأت نوح امرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ [التحريم :١٠].

فامرأة نوح كانت عوناً للكفار على زوجها نوح عليه السلام! فكانت بذلك شؤماً على نفسها، وعلى ولدها، وعلى قومها، واستحقت الخلود في النار والعياذ بالله ـ وكذلك امرأة لوط عليه السلام كانت عوناً لقومها ضد زوجها الصالح لوط عليه السلام، فكانت أيضاً شؤماً على قومها، واستحقت الخلود في النار ـ والعياذ بالله ـ.

هذا ولعل من أشأم النساء على أزواجهن كانت « أم جميل » امرأة أبي لهب، فقد كانت كما تروى كتب السيرة والتاريخ من أكبر الأسباب التي صرفت زوجها عن الإيمان بمحمد ﷺ حتى أنزل الله فيها وفي زوجها قرآناً يتلى على مرّ العصور والدهور، ألا وهى: «سورة المسد»، وقال الله سبحانه وتعالى فيها: ﴿ وامرأته حمالة

(٢) أسد الغابة جـ ٣٤٥/٧ ، ٣٤٦.

الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾ [المسد:٤-٥].

وهذا يوضح ضرورة مفارقة المرأة السيئة، وضرورة إباحة الطلاق، ولذا فقد كانت الشريعة الإسلامية أكمل الشرائع، وأكثرها يسراً وسهولة، حيث حرّم الإسلام الزواج من الكفار، وأباح الطلاق، لأنّ فيه الخلاص من « شريك » قد يجر صاحبه إلى النار، حيث دار البوار والخسران والهلاك والعياذ بالله. كما أنّ السبب في نزول قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنّ من أزواجكم وأولادكم عدوًا لكم فاحذروهم .....﴾ [التغابن: ١٤]، ما حكاه ابن كثير[١] - رحمه الله عن ابن عباس - رضي الله عنهما وقد سأله رجل عن هذه الآية ... قال: فهولاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أنْ يأتوا رسول الله ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أنْ يَدَعوهم، فلمّا أتوْا رسول الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين، فهمّوا أنْ يعاقبوهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإنّ الله غفور رحيم ﴾ [التغابن:١٤].

فالمرأة التي تجر زوجها إلى المعاصي، أو تلهيه عن ذكر الله تعالى، أو تحمله على قطيعة الرحم، أو نحو ذلك، أو لا تحقق له المصلحة المبتغاة من زواجه منها بأنْ تمنعه حقه الشرعي بدون عذر شرعي، أو نحو ذلك من الأمور، كأن تكون سيئة الخلق، دائمة التأفف وعدم الرضا بما قسم الله لها، ترهق زوجها بطلباتها التي تفوق قدرته بحيث تحيل حياته إلى همّ دائم فإنه يجوز له مفارقتها من غير إثم، ويكون هذا العمل أيضاً من باب الأخذ بالأسباب وسد الذرائع - والله أعلم.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ بتخيير نسائه بين إرادة الحياة الدنيا وبين إرادة الدار الآخرة، فلا مكان لمن تريد الحياة الدنيا وزينتها عند سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تُرِدْنَ الحياة الدنيا وزينتها فتعالَيْن أمتعكن وأسرحكن سراحًا جميلاً * وإن كنتن تردن الله

---

(١) تفسير ابن كثير جـ٤ /٣٧٦.

ورسوله والدار الآخرة فإنّ الله أعد للمحسنات منكن أجرًا عظيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨-٢٩].

ولذا فقد رغّب الإسلام فى الزواج من المرأة الصالحة، وأما المرأة العاصية أو الزائغة عن طريق الهداية والحق فقد جعل الله سبحانه وتعالى لها علاجًا، فقال: **﴿واللاتى تخافون نشوزهنّ فعظوهن، واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإنْ أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلاً إنّ الله كان عليًا كبيرًا﴾**[النساء: ٣٤].

وهكذا فمفارقة المرأة السيئة الخلق والدين أو التي لم تتحقق منها مصلحة الزواج أمر جائز، بل ومستحب في بعض الأحيان، وليس هذا من الطيرة، لأنّ الضرر الحاصل بسبب أمثال هذه المرأة أمر ظاهر ومحقق الوقوع، ولما كانت الشريعة الإسلامية تحث على الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله تعالى كانت مفارقة ما يضر أمرًا مندوبًا إليه في الشريعة الإسلامية السمحاء؛ فإنه: « لا ضرر و لا ضرار»[١].

وأما شؤم الفرس :

فيوضحه الحديث الصحيح الذى رواه البخاري - رحمه الله تعالى - في كتاب الجهاد، باب الخيل لثلاثة، وفيه أنّ الخيل لثلاثة: لرجلٍ أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر[٢]. ولا شك أنّ الخيل التى ذكر فيها رسول الله ﷺ أنّ الخير معقود بنواصيها لا شك أنها إنْ كانت وزرًا لصاحبها فهى شؤم عليه وأى شؤم ..

ولقد جاء في الحديث الشريف: « فأما الرجل الذى هي عليه وزر فهو رجل ربطها فخرًا و رئاء ونواء لأهل الإسلام، فهى وزر على ذلك »[٣].

وسُئل رسول الله ﷺ عن الحمُر، فقال: «ما أُنزل عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفاذّة: **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره﴾** » [الزلزلة:٧-٨].

---

(١) سبل السلام جـ ٦٧/٣ ، مسند الإمام أحمد ١ /٣١٣ طـ دار صادر، والحاكم :٥٧/٢-٥٨، والبيهقى: ٦٩/٦-٧٠، والدارقطني: ص ٥٢٢ ، ص٣٢١، وابن ماجة ٥٧/٢.

(٢) ، (٣) فتح البارى شرح البخارى جـ ٦ /٦٣ ، ٦٤.

وعلى هذا فإنْ لم يكن اقتناء الفرس أو الدابة لأمر فيه مصلحة كالجهاد في سبيل الله عليها أو للركوب أو حمل المتاع أو نحو ذلك من الأمور الدنيوية وكان صاحبها إنما يريد أنْ يفاخر بها ويرائي ـ: تصبح تلك الدابة شؤماً على صاحبها بما تجره عليه من الأوزار والذنوب – أعاذنا الله منها جميعاً ...

كما أنَّ الدابة قد تكون شؤماً على صاحبها إذا قَصَّر في سقيها أو إطعامها أو العناية بها، أو كان قاسياً عليها، فَيُعَذَّب بسبب ذلك في الدار الآخرة، لأنَّ الرحمة بالبهائم واجبة، وقد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه ـ مرفوعاً أنَّ امرأة دخلت النار فى هرة ، فقال رسول الله ﷺ : «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض»، وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: « عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت النار فيها، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» متفق عليه[1] .

فإذا كان إيذاء الهرة يُسبِّبُ الدخول في النار فكيف بالدابة التي سخَّرها الله سبحانه وتعالى للإنسان، وجعل فيها كثيراً من المنافع والمصالح ؟! فلا شك أنَّ الرحمة بها واجبة، والمؤاخذة على تعذيبها واردة؛ كما قال الله تعالى: ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره** ﴾ [الزلزلة :٧-٨] .

وقد أهلك الله سبحانه وتعالى قوم صالح عليه السلام عندما قتلوا « الناقة »، وكان الله سبحانه وتعالى قد أمرهم بالمحافظة عليها وعدم إيذائها، وجعلها آية وعلامة على صدق رسالة صالح عليه السلام إليهم، ولكنهم عقروا الناقة، فأهلكهم، فكانت

---

(١) سبل السلام جـ٢٧٨/٣ ، واللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ٢٦٢/٣ رقم ١٦٨٣ فى البر والصلة والآداب باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي، وأخرجه البخارى، كتاب الأنبياء، باب (٥٤) حدثنا أبو اليمان، وفي « الأدب المفرد» رقم ٣٧٩، ومسلم : ٧ /٤٣ من حديث نافع عن عبد الله بن عمر مرفوعاً، وأحمد ٥٠٧/٢ عن أبى هريرة مرفوعاً نحوه.

تلك (الدابة) شؤماً عليهم فى الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى: ﴿ **كذبت ثمود بطغواها * إذ انبعث أشقاها * فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها * فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها * ولا يخاف عقباها** ﴾ [الشمس : ١١-١٥].

فعلى الإنسان أنْ يتقى الله فيما يملك من دواب وحيوان، أو مالٍ وعقار، أو نساء وأولاد، أو نحو ذلك ، فيجعل كلَّ ما أعطاه الله إياه سبباً لطاعة الله تعالى والتقرب إليه، ولْيحذر البطر والرياء، فإذا وجد أنَّ شيئاً منها يُلهيه عن طاعة الله تعالى أو يُغريه بالذنوب فلا حرج عليه في تركه، بل يُسْتَحَبُّ له ذلك.

ومثل ذلك يقال عن السيف ـ فى الرواية التى ورد فيها ذكر السيف عن أم سلمة ـ رضى الله عنها ـ.

فحق السيف والسلاح أنْ يجاهد الإنسان به فى سبيل الله أو يستخدمه للدفاع عن النفس، والذود عن الحرمات، فإنْ لم يكن كذلك فقد يكون رياء والعياذ بالله، وقد يستخدم لقتال المؤمنين كما يحدث فى عصرنا الحاضر، فيؤدي بصاحبه إلى النار، وبئس القرار – أعاذنا الله.

وفي صحيح الجامع الصغير عن أبى بكرة – رضى الله عنه – عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه فالقاتل والمقتول فى النار». قيل : يا رسول الله : هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصاً على قتل صاحبه»[1] .

وفى صحيح الجامع الصغير عن أبى بكرة أيضاً: « إذا التقى المسلمان وحمل أحدهما على أخيه السلاح فهما على حرف جهنم، فإذا قتل أحدهما صاحبه دخلاها جميعاً »[2].

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١ /١٦٥ رقم ٣٨٠.

(٢) صحيح الجامع الصغير ١ / ١٦٦ رقم ٣٨١ – ١٥٨٠.

وفي اللؤلؤ والمرجان : من حديث أبي موسى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ، قال: « مَنْ حمل علينا السلاح فليس منا »[١].

فليحذر الإنسان، وليتّقِ الله، وليسأل الله تعالى إذا استفاد زوجة أو أمة أو دابة أو سلاحاً أن يسأل من خيرها وخير ما فيها، وأن يستعيذ بالله من شرها ومن شر ما فيها، وكذلك يفعل إذا نزل منزلاً أو بلداً .

وفي صحيح الجامع الصغير : عن ابن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ مرفوعاً : « إذا اشترى أحدكم الجارية، فليقل : اللهم إنى أسألك خيرها، وخير ما جَبَلْتَها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، ولْيَدْعُ بالبركة، وإذا اشترى أحدكم بعيراً فليأخذ بذِرْوة سنامه وليدعُ بالبركة وليقل مثل ذلك »[٢].

وأما الحديث الذى أخرجه الترمذى ـ رحمه الله تعالى ـ عن حكيم بن معاوية رضى الله عنهما وفيه عن رسول الله ﷺ: «لا شؤم، وقد يكون اليُمْن في الدار والمرأة والفرس» [٣] ـ فقد ذكر الحافظ رحمه الله تعالى في فتح البارى أنّ في إسناده ضَعْفاً، كما أنّ مَتْنَه مخالفٌ للأحاديث الصحيحة [٤].

ومجمل القول: أنّ المقصود مِنْ نسبة الشؤم للدار والفرس والمسكن والسيف بعد قوله ﷺ: « لا طيرة » أنّ هذه الأشياء الأربعة يجوز لنا مفارقتها إن وجدنا أنّ المصائب تلحقنا بسببها، وهذا ليس من الطيرة الشركية التي تعتمد على زجر الطيور والحيوانات والنظر فى مواقع النجوم وغير ذلك من الأوهام التى لا يجوز للمرء أنْ

---

(١) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان : ١ /٢١ رقم ٦٤ كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ : من حمل علينا السلاح فليس منا، وأخرجه البخارى فى ٩٢ كتاب الفتن: ٧- باب قول النبى ﷺ: من حمل علينا السلاح فليس منا.

(٢) صحيح الجامع الصغير ١٥٣/١ رقم ٣٣٨ - ١٣٠ ، كما ذكر في نفس المرجع نحوه عن ابن عمرو ١٥٨/١ رقم ٣٥٧ - ١٣٨ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢٣٥ من هذا الفصل .

(٤) فتح البارى شرح البخاري جـ٦ / ٦٣ .

يرجع عن مقاصده بسببها، فجواز ترك الأشياء الأربعة المذكورة في الحديث الشريف بعد قوله ﷺ: « لا طيرة » مشابه لأمره ﷺ بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى، والمراد من ذلك سدُّ الذريعة حتى لا يوافق شيء من ذلك القدر فيعتقد مَنْ وقَعَ له أنَّ ذلك من العدوى أو من الطيرة، فيقع في اعتقاده ما نُهِيَ عنه، فأشير إلى اجتناب مثل ذلك.

وبهذا يتضح لنا إحكام الشريعة الإسلامية، وسماحتها، ومراعاتها لمصالح الدنيا والآخرة...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلم .

* * *

الفصل الثالث

الطيرة شرك

سبق أنْ بينا فساد الطيرة وجهل المؤمنين بها؛ لأنهم بعملهم هذا يُعْرِضُون عن خالقهم وبارئهم القادر على كل شيء ... ويتعلّقون بأوهام باطلة ما أنزل الله بها من سلطان، وقد وردت الآيات القرآنية الكريمة التى تذم المتطيرين، كما ورد في الأحاديث الشريفة السابقة ما يفيد نفى الطيرة وفسادها والنهى عنها...وحتى يقطع الرسول ﷺ جذور الطيرة من قلوب المؤمنين ويجعل تعلقهم خالصًا بالله تعالى وحده... غلّظ في أمر الطيرة و وضّح أنها شرك بالله تعالى ، والشرك هو أعظم ما نهى عنه الله عز وجل، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾[النساء: ١١٦] .

لذا كان لزامًا علينا أنْ نتمسك بسنة الرسول ﷺ، ونتدارسها، ونعمل بها، حتى لا نقع فى المحظور . وأما الأحاديث التى بيّنتْ أنَّ الطيرة من الأمور الشركية ـ والعياذ بالله ـ فهى:

الأحاديث الواردة فى هذا الموضوع :

قال في جامع الأصول :

١ – أخرج أبو داود والترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، ثلاثًا، ومامنا إلا [١]، ولكنَّ الله يذهبه بالتوكل. أخرجه أبو داود.

---

(١) أى : وما منا إلا من يعرض له الوهم من قبل الطيرة، وقوله: ومامنا إلا ... إلخ: مدرج من كلام ابن مسعود، غير مرفوع، كما قال البخارى وغيره والذى حكاه عن البخارى هو الترمذى، والبخارى حكاه عن شيخه سليمان بن حرب . انظر فتح البارى جـ١٠ ص ٢١٣.

٢ – وفى رواية الترمذى قال : قال رسول الله ﷺ : الطيرة من الشرك وما منا (إلا) ولكنّ الله يذهبه بالتوكل» [١] .

قال الترمذى : سمعت محمد بن إسماعيل يقول : كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث: وما منا (إلا) ولكنّ الله يذهبه بالتوكل هذا عندي قول عبد الله بن مسعود.

وقال ابن الأثير تحت عنوان (شرح الغريب) :

(وما منا إلا) فى هذا الكلام محذوف، تقديره : وما منا إلا ويعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهة له، فحذف ذلك اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وقد جاء في كتاب الترمذى أنّ هذا من كلام ابن مسعود، وليس من الحديث، والله أعلم . ا.هـ[٢].

وأخرج أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان في صحيحه عن قَطَن بن قَبيصة عن أبيه – رضى الله عنهما – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « العيافة والطيرة والطَّرق من الجِبْت » أخرجه أبو داود (وقال) : الطرق : الزجر، والعيافة : الخط[٣] .

وقال ابن الأثير في جامع الأصول :

(العيافة) : زجر الطير والتفاؤل بها، كما كانت العرب تفعله، عاف الطير يعيفه إذا زجره.

(الطرق) : الضرب بالعصا، وقيل : هو الخط فى الرمل كما يفعله المُنَجِّم

---

(١) الحديث فى جامع الأصول جـ٧/٦٣٠ ورقمه ٥٨٠٢، وتمام تخريجه : رواه أبو داود رقم ٣٩١٠ فى الطب باب فى الطيرة، والترمذى رقم ١٦١٤ فى السير، باب ما جاء فى الطيرة، ورواه أيضاً ابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . وهو كما قال ، وفى الباب عن سعد وأبى هريرة وحابس التميمى وعائشة وابن عمر.

(٢) جامع الأصول جـ ٧/٦٣٠.

(٣) جامع الأصول جـ٧/٦٣٩ رقم الحديث ٥٨١٠، وتخريجه : رقم الحديث فى سنن أبى داود ٣٩٠٧ فى الطب باب الخط وزجر الطير، وهو حديث حسن.

لاستخراج الضمير ونحوه، وقد جاء فى كتاب أبى داود أنّ الطرق: الزجر، والعيافة : الخط.

(الجبت) كل ما عُبِدَ من دون الله ، وقيل : هو الكاهن والشيطان. ا.هـ[1] .

٣ – قال فى الفتح : وقد أخرج ابن حبان فى صحيحه من حديث أنس رفعه « لا طيرة، والطيرة على مَنْ تطير »[2] .

الشرح :

قال في تيسير العزيز :

« الطيرة شرك » : صريح فى تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من الاعتماد على غير الله تعالى وتعلّق القلب بسواه – سبحانه وتعالى عما يشركون – .. وقال غير واحد من أصحاب(أحمد)رحمهم الله بأن الطيرة مكروهة، وكذلك قال ابن حمدان فى (الرعاية) : تكره الطيرة ... قال ابن مفلح – رحمه الله – : والأولى القطع بتحريمها.

وقال في (شرح السنن) : وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أنّ التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه، فكأنهم شركوه مع الله تعالى.

وقوله: (وما منا إلا) : أكثر العلماء على أنه من كلام ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ وكما صرح بذلك أصحاب السنن الذين خرجوا الحديث ـ رحمهم الله ـ فقد نقله الترمذى عن سليمان بن حرب، ووافقه على ذلك العلماء ـ رحمهم الله ـ وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ : « والصواب أنه من قول ابن مسعود كما قال بعض الحفاظ »[3] .

---

(١)جامع الأصول جـ ٧ /٦٤٠.

(٢) فتح البارى جـ ١٠ /٢١٣ .

(٣) مفتاح دار السعادة جـ٢ /٢٣٤ .

وقوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل) : أي إذا اعتمد على الله فلن يضره شيء، لأنّ الطيرة إنما تلحق المتطير كما جاء في حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ، وأما المتوكل على الله فهو حسبه وكافيه ومنجيه؛ كما قال تعالى : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾ [الطلاق :٣]، وقال: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال عز وجل: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا** ﴾ [الطلاق:٤] .

وقوله (الطيرة من الجبت) في حديث قَطَن بن قبيصة عن أبيه ـ رضي الله عنهما ـ: أي من أعمال السحر . قال القاضي: والجبت في الأصل الفشل الذي لا خير فيه، ثم استعير لما يُعبد من دون الله، وللساحر والسحر . وقال الطيبي: (من) فيه ابتدائية أو تبعيضية، فعلى الأول: المعنى: الطيرة ناشئة من الساحر ، وعلى الثاني: المعنى : الطيرة من جملة السحر والكهانة، أو من جملة عبادة غير الله، أي الشرك، ويؤيده قوله في الحديث الآتي :

« الطيرة شرك » ا.هـ[1] .

وفي الحديث دليل على تحريم التنجيم؛ لأنه إذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت ، فكيف بالنجامة؟! لذا كان على المرء أن يُعلق رجاءه بالله تعالى وحده، ويُجرِّد إخلاصه إليه في السر والعلن، فهو وحده الوليّ في الدنيا والآخرة، وهو الرحمن الرحيم، الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

(١) تيسير العزيز الحميد ص ٤٥١ .

الفصل الرابع
حَدُّ الطِّـيَرَة المنهيِّ عنها

لما بيّن رسول الله ﷺ حكم الطيرة، وأنها شرك، وضّح حَدَّ الطيرة الشركية:

١ – أخرج مسلم عن معاوية بن الحكَم السُّلمي – رضى الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله تعالى بالإسلام، وإنَّ منا رجالاً يأتون الكُهّان؟ قال: « فلا تأتهم». قلت: ومنا رجال يتطيرون؟ قال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم». قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال: «كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك» [١] .

٢ – وقال ابن القيم – رحمه الله – في (زاد المعاد): ذُكر عنه – ﷺ – أنه ذكرت الطيرة عنده فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأيت منَ الطيرة ما تكره فقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» [٢].

٣ – قال في فتح الباري:

أخرج عبد الرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية عن النبي ﷺ: « ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الطيرة، والظن، والحسد، فإذا تطيرت فلا ترجع، وإذا حسدت فلا تبْغِ، وإذا ظننت فلا تحقق ».

قال: وهذا مرسل أو معضل، لكن له شاهد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه أخرجه البيهقى فى « الشعب ».

وأخرج ابن عدى بسند ليِّن عن أبي هريرة رفعه: « لنْ ينال الدرجات العلى من

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٤ /٢٢٢، ٢٢٣، رياض الصالحين ١٤/٤ ٠٥ .

(٢) زاد المعاد ٢ /٣٤، جامع الأصول ٧ /٦٢٩، رقم الحديث ٥٨٠١، وأخرجه أبو داود في سننه رقم ٣٩١٩ في الطب باب في الطيرة .

تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيراً »، قال: ورجاله ثقات .. إلا أننى أظنُّ أنَّ فيه انقطاعاً، قال : وله شاهد عن عمران بن حصين، وأخرجه البراز فى أثناء حديث بسند جيد. ا.هـ[1].

٤ – فى مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى: « ثلاث لازمات لأمتي: سوء الظن و الحسد والطيرة، فإذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدْتَ فاستغفر الله، وإذا تطيرت فامْض» وقال : أخرجه أبو الشيخ فى التوبيخ والطبرى عن حارثة بن النعمان ـ رضى الله عنه ـ [2].

٥ – وأخرج الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ فى مسنده، قال : حدثنا حماد بن خالد، قال : حدثنا ابن علاثة، عن مسلمة الجهنى، قال : سمعته يحدث عن الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً، فبرح ظبي فمال في شقه فاحتضنته. فقلت: يا رسول الله تطيرت قال: « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » رواه أحمد[3] .

الشرح :

قال في دليل الفالحين:

(قوله: حديث عهدٍ بجاهلية) في حديث معاوية بن الحكم ـ رضى الله عنه ـ: أى ذو عهد قريب بالجاهلية .

وقوله : (وإنَّ منا رجالاً يأتون الكهان) : أى يعرفون منهم أمور مغيبات. و(الكهان) : جمع كاهن، وهو مَنْ يدّعي معرفة الضمائر ويخبر عن المستقبل، إما

---

(١) فتح الباري شرح البخارى حـ١٠/٢١٣.

(٢) مختصر شرح الجامع الصغير للمناوى ١/٢٣٦ حرف الثاء.

(٣) ذكر المصنف أنَّ فى إسناده رجلاً مختلفاً فيه، كما أنَّ فى الإسناد انقطاعاً، أى بين مسلمة والفضل، وهو ابن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبى ﷺ ، وأكبر ولد العباس. قال ابن معين: قتل يوم اليرموك فى عهد أبى بكر ـ رضى الله عنه ـ، وقال غيره: قتل يوم مرج الصُّفّر، سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، قال أبو داود: قتل بدمشق، كان عليه درع النبى ﷺ ، وقال الواقدى وابن سعد: مات في طاعون عمواس.

لجني يخبره، أو لزعمه أنه يدرك الغيب بفهم وأمارات .

قال: (فلا تأتهم) النهى فيه للتحريم. قال الخَطّابى: والحديث يشمل النهى عن إتيان كلٍ من الكهان والعرّاف .

(قلت: ومنا رجال يتطيرون) : من الطيرة ـ المشار إليها فيما سبق مِنْ هذا الكتاب.

وقوله: (ذلك شيء يجدونه فى صدورهم) : ذلك : الإشارة إلى التطير المدلول عليه بالفعل المتقدم.

(شيء يجدونه فى صدورهم) : أى من التوهّم والتشاؤم المقتضى بحسب توهمهم الفاسد رجوعهم عما يريدون فعله.

وهو أمر خلقي بحسب الطبع لا يُكلّفون برفعه إنما يُكلّفون ألا يعملوا بقضيته كما قال .

قال : (فلا يصدهم) : قال في دليل الفالحين: كذا فى أصول رياض الصالحين بحذف نون التوكيد، وهى ثابتة في المشكاة ـ: فلا يمنعهم ذلك عن وجهتهم؛ لأنه لا يوثر نفعاً ولا ضراً، وإنما هو شيء يُسوِّله الشيطان في النفس ويزيّنه لها حتى تعمل بقضيته ليجرها بذلك إلى اعتقاد مؤثر غير الله تعالى، وهو كفر صراح بإجماع العلماء .... وأورد قول المصنف:

قال العلماء: نهاهم عن العمل بالطيرة كأن يمتنعوا عن مرادهم بسببها لأنّ ذلك فى قدرتهم وكسبهم، دون التطير، لأنّ ذلك يجدونه فى النفس ضرورة فلا عتب عليهم فيه .

قال : وقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة في النهي عن التطير والطيرة، وهو محمول على العمل بها لا على ما يوجد فى النفس من غير عمل على مقتضاه.

ونفى في الحديث السؤال عن الخط، وسكت عليه المصنف، ولفظه: قلت: ومنا رجال يخطون؟ قال : «كان نبى من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك» [(1)].

---

(١)دليل الفالحين : حـ ٣ /١٧٦ ، ١٧٧.

قوله : « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك » :

هذا حد للطيرة الشركية المنهى عنها، فإنَّ الإنسان لا يأثم بمجرد توقع الشر أو الخير، وإنما يأثم إذا مضى لمصلحته التى يريدها تفاؤلاً بالطيور ونحوها، أو رجع عن مقصده أيضاً لمثل هذا السبب، فالتفاؤل الناشىء عن ممرات الطيور ومواقع النجوم وخطوط الكهان من الشرك؛ ويجب تركه أيضاً، لأنه في هذه الحالة يكون تعلّقاً بغير الله واعتماداً على سواه.

أما التفاؤل الذي يعتمد على حسن الظنّ بالله تعالى وتوقع الخير من الله: فهذا هو النوع الوحيد مِنَ التفاؤل المستحب الذى كان يحبه رسول الله ﷺ لأنّ فيه نوعاً من البشارة، بخلاف ما يمضيه أو يرده، فإنّ فيه للقلب نوع اعتماد.

وهذا فرق واضح بين تفاؤل المتطيرين وتفاؤل المؤمنين.

*   *   *

الفصل الخامس

كفارة الطيرة

عرفنا فيما سبق أنَّ الطيرة شرك، لأنها سوء ظن بالله سبحانه وتعالى، وإعراض عنه، وتعلُّق بغيره، مما يؤدى بصاحبه إلى الضياع والخسران ـ والعياذ بالله ـ. وقد بيَّن الرسول الكريم ﷺ حد الطيرة الشركية المنهى عنها.... ذلك هو: «ما أمضاك أو ردك»[1] عن مقاصدك.

فمن انزلق في مهاوي الشيطان وتطير الطيرة المنهى عنها فعليه أن يتوب لله تعالى ويدعو بدعاء « كفارة الطيرة » الذى أرشدنا إليه رسولنا الكريم سيدنا محمد ﷺ:

١ – أخرج البيهقي في« الشُّعَب » من حديث عبد الله بن عمرو موقوفاً: « من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل: اللهم لا طَيْرَ إلا طَيْرُك، ولا خيرَ إلا خيرُك ولا إلهَ غيرُك »[2].

٢ – وأخرج الإمام أحمد فى مسنده من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً: « من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك ؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك »[3].

٣– وأخرج أبو داود من حديث سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن عروة بن عامر أنه ﷺ ذُكرت عنده الطيرة فقال: «أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك »[4].

---

(١)سبق تخريجه في الفصل السابق. (٢) فتح الباري شرح البخاري جـ١٠ / ٢١٣.

(٣) مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٣٠ وفى سنده ابن لهيعة وهو ضعيف .

(٤) أخرجه أبو داود ٣٩١٩ فى الطب : باب الطيرة، من حديث سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن عروة بن عامر، وسنده ضعيف لتدليس حبيب بن أبي ثابت، وعروة بن عامر مختلف في صحبته، وذكره ابن حبان فى ثقات التابعين .

وكان كعب[1] ـ رضى الله عنه ـ يقول : « اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا رب غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بك، والذي نفسي بيده إنها لرأسُ التوكل، وكنز العبد في الجنة، ولا يقولهنّ عبد عند ذلك ثم يمضى إلا لم يضره شيء »[2].

الشرح :

قوله: (فما كفارة ذلك ؟) .... إلى آخر الحديث :

هذا كفارة لما يقع من الطيرة فى القلب أو لِمَا كانَ قد أتاه المرء منها عن جهل؛ فعليه أنْ يقول هذا الدعاء: « اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غَيرك» .

وفيه إقرار من العبد واعتراف بأن الخير والشر إنما هما مقدّران من عند الله تعالى، ولا يقوى أحد غيره على محو ما جفت عليه الأقلام، وجرت به المقادير.

كما فيه الاعتراف بأن الطير وسائر الظواهر الطبيعية مخلوقات مسخرة مملوكة لله عز وجل، عاجزة عنْ منفعة نفسها فضلاً عن نفع غيرها، فخيرا الدنيا و الآخرة إنما هما من عند الله تعالى وحده، وشرور الدنيا والآخرة لا يقدر إلا الله تعالى على دفعها.

وفى ختام الدعاء تقرير وشهادة من العبد أن الله واحد لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ربوبيته، بهذا قطع رسول الله ﷺ عِلقَ الشرك من قلوبهم، وطهرها بكلمة التوحيد والإخلاص، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو حى لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

* * *

(١) سبقت ترجمته ص ١٨٥ من هذا البحث . الباب الثاني

(٢) زاد المعاد ٢ / ٣٤ .

الفصل السادس

ـ استحباب الفأل ـ

كان رسول الله ﷺ لا يتطير من شيء لأنَّ الطيرة سوء ظن بالله تعالى – والعياذ بالله – والرسول الكريم ﷺ معصوم بأمر ربه... شديد الثقة به، ولذا فقد كان يتفاءل ويحب الفأل.. ولكنْ ليس الفأل الذى هو من جنس الطيرة ... بل الفأل الذى يتوسم معه الخير من الله عز وجل، وسيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى فيما يلى :

١ – قال في جامع الأصول : –

أخرج أبو داود عن بُريدة رضى الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به ورُئى بِشْر ذلك فى وجهه، وإنْ كره اسمه رُئي كراهية ذلك فى وجهه، وإذا دخلِ قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه فرح بها ورُئي بشر ذلك، وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك فى وجهه [1].

البشر: طلاقة الوجه وأمارات الفرح التى تظهر على الإنسان عند رؤية ما يسرُّ أو سماعه .

٢ – وأخرج أبو داود عن أبى هريرة – رضي الله عنه – أنَّ رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته، فقال: « أخذنا فألك من فيك » أخرجه أبو داود[2].

٣ – وأخرج الترمذى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ : أنَّ رسول الله ﷺ

---

(١) جامع الأصول : جـ ٦٢٨/٧، رقم الحديث ٥٧٩٨، وتخريجه : أخرجه أبو داود رقم ٣٩٢٠ فى الطب، باب فى الطيرة ، وإسناده صحيح .

(٢) جامع الأصول : جـ ٧ /٦٢٩، رقم الحديث ٥٧٩٩، وتخريجه : رقم الحديث فى سنن أبي داود ٣٩١٧ فى الطب، باب فى الطيرة، وفى سنده رجل مجهول .

كان يعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع : يا راشد، يا نجيح[1] .

٤ – وأخرج أبو داود عن عروة بن عامر القرشي رضى الله عنه قال :

ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال : « أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك »[2] .

٥ – وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والترمذي عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل». قالوا : وما الفأل؟ قال: «كلمة طيبة » أخرجه البخاري ومسلم، وللبخارى مثله، وقال: «ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة »، ولمسلم مثله، وقال: «ويعجبنى الفأل: الكلمة الحسنة، الكلمة الطيبة»، وفى رواية أبى داود مثل البخارى، وأخرج الترمذى الأولى[3].

التوضيح والشرح :

قوله ﷺ (يعجبني الفأل) قال فى النهاية :

الفأل: مهموز : فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيما يَسُرّ. يقال تفاءَلتُ بكذا وتفألت على التخفيف والقلب، وقد أولع

---

(١) جامع الأصول : جـ ٦٢٩/٧، رقم الحديث ٥٨٠٠، وتخريجه : رقم الحديث في سنن الترمذى ١٦١٦ في السير، باب ما جاء فى الطيرة ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح، وهوكما قال، وفى الصحيحين معناه عن أبى هريرة رضى الله عنه .

(٢) جامع الأصول: جـ ٦٢٩/٧، رقم الحديث ٥٨٠١، وتخريجه: رقم الحديث في سنن أبي داود ٣٩١٩ في الطب، باب في الطيرة، من حديث حبيب بن أبي ثابت؛ عن عروة بن عامر القرشى ـ ويقال: الجهني المكى ـ: روى عن النبى ﷺ مرسلاً في الطيرة، قال الحافظ ابن حجر في « التهذيب »: والظاهر أن رواية حبيب عنه منقطعة. قلت: وحبيب بن أبي ثابت مدلس وقد عنعنه.

(٣) جامع الأصول: ج ٦/ ٦٣١، رقم الحديث ٥٨٠٣، وتخريجه كما يلى: رواه البخارى ١٨١/١٠ في الطب، باب الفأل، وباب العدوى، ومسلم رقم ٢٢٢٤ في السلام، باب الطيرة والفأل، وأبو داود رقم ٣٩١٦ في الطب، باب في الطيرة، والترمذي رقم ١٦١٥ في السير، باب ما جاء في الطيرة.

الناس بترك هَمْزِة تخفيفاً .

وإنما أحبَ الفـأل لأن الناس إذا أمّلوا فـائدة الله تعـالى ورجـوا عـائدته عند كل سبب ضعيف أو قوي فهم على خير، ولو غلطوا فى جهة الرجاء فإنّ الرجاء لهم خير، وإذا قطعوا أملهم ورجاءهم من الله كان ذلك من الشر.

وأما الطيرة فإنّ فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء.

ومعنى التفاؤل مثل أن يكون رجل مريض فيتفاءل بما يسمع من كلام، فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته. ومنه الحديث: قيل: يا رسول الله، ما الفـأل؟ فقال : « الكلمة الطيبة ».

وقد جاءت الطـيرة بمعني الجنـس، والفأل بمعنى النوع.

قال: ومنه الحديـث: « أصدق الطيرة الفأل » . ا.هـ[(١)] .

بيان الفأل الذى كان يحبه رسول الله ﷺ :

وقال الحليـمى : إنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاوم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظنٍّ به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.ا.هـ [(٢)] .

وقال الدميري ـ رحمه الله ـ: قال العلمـاء : إنما أحب الفأل لأن الإنسان إذا أمّل فضل الله تعالى كان على خير، وإذا قطع رجاءه من الله تعالى كان على سوء، والطيرة فيها سوء ظن وتوقع البلاء. ا.هـ[(٣)] .

وقال ابن القيـم رحمه الله تعالى : أما ما ذكرتم مِنْ أنّ النبى ﷺ كان يعجبه الفأل الحسن فلا ريب في ثبوت ذلك عنه، وقد قرن ذلك بإبطال الطيرة؛ كما فى

---

(١) النهاية : جـ ٣ / ٤٠٥ ، ٤٠٦.

(٢) فتح المجيد صـ ٢٦٨ ، فتح البارى حـ ١٠ / ٢١٥.

(٣) حياة الحيوان الكبرى للدميرى ج٢ /٩٨.

الصحيحين من حديث الزُهرى عن عُبيد الله بن عبد الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «لا طيرة، وخيرها الفأل». قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: « الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم ».

فابتدأهم النبى ﷺ بإزالة الشبهة وإبطال الطيرة لئلا يتوهموها عليه في إعجابه بالفأل الصالح، وليس فى الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يلائمها ويوافقها مما ينفعها، كما أخبرهم أنه حُبِّبَ إليه من الدنيا : النساء والطيب...، وفى بعض الآثار أنه كان ﷺ يحب الحلواء والعسل، وكان يحب الشراب البارد الحلو، ويحب حُسْن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه، ويحب معالى الأخلاق ومكارم الشِّيم، وبالجملة يحب كل كمال وخير وما يُفضى إليهما. والله سبحانه قد جعل فى غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم السلام والفلاح والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر والغنم والربح والطيب ونيل الأمنية والفرح والغوث والعز والغنى وأمثالها، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ذلك ضرراً فى الدنيا ونقصاً فى الإيمان ومقارفة للشرك. اهـ[1].

كما قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وأخبر ﷺ فى حديث أبي هريرة أنّ الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فقال: « لا طيرة، وخيرها الفأل » فأبطل الطيرة، وأخبر أنّ الفأل منها، ولكنه خيرها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الاخر، قال: ونظير هذا منعه من الرقاء بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم تكن شركاً لما فيها من المنفعة الخالية عن المفسدة.

---

(١) مفتاح دار السعادة جـ٢ /٢٤٤ .

وقد بيّن ابن القيم رحمه الله الفرق بين الفأل والطيرة ومضرة الطيرة، فقال: الفأل والطيرة ـ وإن كان مأخذهما سواء ومجتناهما واحداً ـ فإنهما يختلفان بالمقاصد ويفترقان بالمذاهب، فما كان محبوباً مستحسناً تفاءلوا به وسموه الفأل وأحبوه ورضوه، و ما كان مكروهاً قبيحاً مُنَفراً تشاءموا به وكرهوه وتطيروا منه وسموه طيرة، تفرقة بين الأمرين، وتفصيلاً بين الوجهين.

وسئل بعض الحكماء فقيل له: ما بالكم تكرهون الطيرة وتحبون الفأل؟! فقال: لنا في الفأل عاجل البشرى وإنْ قصر عن الأمل، ونكره الطيرة لما يلزم قلوبنا من الوَجَل .

قال ابن القيم رحمه الله : وهذا الفرقان حسن جداً. ا.هـ[1].

وقد ظنّ البعض أنّ الفأل الذى يحبه رسول الله ﷺ هو فأل الطيرة، وحاشا له ﷺ أنْ يتعلّق بشيء غير الله أو يتوكل على سواه.. إنما الفأل الذى كان يحبه ﷺ هو أنْ يسمع كلمة تسر فيتفاءل به محسناً الظنّ بربه، فهو يعتبر هذا من قبيل البشارة من الله سبحانه وتعالى ...ونظير ذلك الرؤى الصالحة، وقد سماها رسول الله ﷺ: «المُبشّرات» .

وأما أخذ الفأل من المصحف فهو مُحَرّمٌ ... قال الدميرى رحمه الله جزم الإمام القاضى أبو بكر بن العربى في الأحكام في سورة المائدة بتحريم أخذ الفأل من المصحف ونقله القرافى عن العلامة أبى الوليد الطُرْطوشى وأقرّه وأباحه ابن بطة من الحنابلة، قال: ومقتضى مذهبنا ـ شافعي ـ: كراهته.

قال: وحكى الماوردى فى كتاب « أدب الدين والدنيا » أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله تعالى: ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ [إبراهيم : ١٥]، فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كل جبار عنيد ... فها أنا ذاك جبار عنيد
إذا ما جئت ربك يوم حشر ... فقل يا رب مزقني الوليد

---

(١) مفتاح دار السعادة : جـ٢ / ٢٤٥ .

قال : فلم يلبث يسيراً حتى قتل شر قتلة، وصلب رأسه على قصره ثم على أعلى سور بلده. ا.هـ[1].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى رأى قيم في الفأل الذى يحبه رسول الله ﷺ، كما له رأى في أخذ الفأل من المصحف أورده في فتاويه، وهو كما يلى ـ وقد جاء رداً على سؤال ورد بالمسألة رقم ١٥٨ في الفتاوى الكبرى لابن تيمية عن فتح الفأل في المصحف: أجاب فيه شيخ الإسلام رحمه الله تعالى :

وأما استفتاح الفأل في المصحف فلم يُنقَلْ عن السلف فيه شيء، وقد تنازع فيه المتأخرون وذكر القاضى أبو يعلى فيه نزاعاً، ذكر عن ابن بطة أنه فعله وذكر عن غيره أنه كرهه ، فإنَّ هذا ليس الفأل الذى يحبه رسول الله ﷺ، فإنه كان يحب الفأل ويكره الطيرة، والفأل الذى يحبه هو أن يفعل أمراً أو يعزم عليه متوكلاً على الله فيسمع الكلمة الحسنة التي تسره، مثل أن يسمع يا نجيح يا مفلح يا سعيد يا منصور، ونحو ذلك ، كما لقى في سفر الهجرة رجلاً فقال : «ما أسمك؟» قال يزيد. قال : « يا أبا بكر يزيد أمرنا ».

وأما الطيرة بأن يكون قد فعل أمراً متوكلاً على الله أو يعزم عليه فيسمع كلمة مكروهة مثل: ما يتم، أو ما يفلح، ونحو ذلك، فيتطير ويترك الأمر: فهذا منهى عنه؛ كما فى الصحيح عن معاوية بن الحكم السلمى قال: قلت: يا رسول الله، منا قوم يتطيرون؟ قال: « ذلك شيء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم ». فنهى النبى ﷺ أنْ تصد الطيرة العبد عما أراد، فهو فى كل واحد من محبته للفأل وكراهته للطيرة إنما يسلك مسلك الاستخارة لله والتوكل عليه والعمل بما شرع من الأسباب لم يجعل الفأل أمراً له وباعثاً له على الفعل ولا الطيرة ناهية له عن الفعل، وإنما يأتمر وينتهى عن مثل ذلك أهل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام، وقد حرم الله الاستقسام بالأزلام فى آيتين من كتابه، وكانوا إذا أرادوا أمراً من الأمور أحالوا به

---

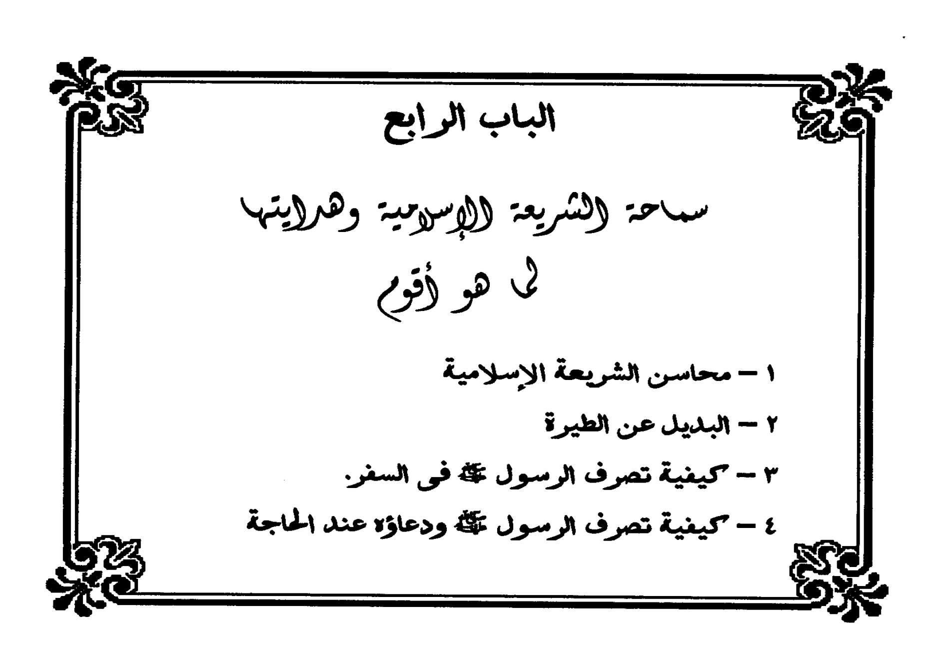
(١) حياة الحيوان الكبرى : جـ١/٧٢ ، جـ٢/٩٩ .

قداحاً مثل السهام أو الحصى أو غير ذلك وقد علموا على هذا علامة الخير وعلى هذا علامة الشر وآخر غفل! فإذا خرج هذا فعلوا وإذا خرج هذا تركوا ، وإذا خرج الغفل تركوا الاستقسام!

فهذه الأنواع التى تدخل فى ذلك مثل الضرب بالحصى والشعير واللوح والخشب والورق المكتوب عليه حرف أبجد أو أبيات من الشعر أو نحو ذلك مما يطلب به الخيرة فما يفعله الرجل ويتركه ينهى عنها لأنها من باب الاستقسام بالأزلام وإنما يسّن له استخارة الخالق واستشارة المخلوق والاستدلال بالأدلة الشرعية التى تبين ما يحبه الله ويرضاه وما يكرهه وينهى عنه وهذه الأمور تارة يقصد بها الاستدلال على ما يفعله العبد هل هو خير أم شر وتارة الاستدلال على ما يكون فيه نفع فى الماضي والمستقبل، وكلاً غير مشروع، والله سبحانه أعلم. ا.هـ [1].

* * *

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ١ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩.



الباب الرابع

سماحة الشريعة الإسلامية وهدايتها لما هو أقوم

١ – محاسن الشريعة الإسلامية

٢ – البديل عن الطيرة

٣ – كيفية تصرف الرسول ﷺ فى السفر.

٤ – كيفية تصرف الرسول ﷺ ودعاؤه عند الحاجة

محاسن الشريعة الإسلامية :

جاءت الشريعة الإسلامية لتخرج الناس من الظلمات إلى النور و تهديهم إلى سعدهم في الدنيا والآخرة، فقضت على الخرافات والأوهام، ووضعت منهاجاً قويماً للإنسان كي يتبعه ويكون على بصيرة من أمره ، فلا يضل ولا يشقى، فأمرنا الله سبحانه وتعالى ألا نتبع السبل فتفرق بنا عن سبيله، كما قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ **وأنّ هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون** ﴾[الأنعام : ١٥٣]، وبين لنا الله سبحانه وتعالى أن القرآن الكريم يهدى لما هو أقوم، فقال في سورة الإسراء : ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجرًا كبيرًا** ﴾[الإسراء :٩]، وأمرنا باستخدام عقولنا وأفكارنا وحواسنا ومشاهداتنا في أنفسنا وفى كل ما يحيط بنا من الكون حولنا، لنعلم تمام العلم أن الله حق، وأنّ وعده حق، وأنّ القرآن حق، وأنّ ما أخبر به رسول الله ﷺ حق.

وأمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع الرسول النبيّ الأميّ الذي جاءت صفاته في التوراة والإنجيل، وأمرنا باتباعه ﷺ في أمره ونهيه، فقال سبحانه وتعالى في سورة الحشر: ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[الحشر :٧].

وأعلمنا الله سبحانه وتعالى أنّ هذا الرسول الكريم ﷺ حريص على هدايتنا لكل خير، رحيم بنا، شديد عليه ما يصيبنا من المكروه؛ فقال جل شأنه: ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم** ﴾[التوبة :١٢٨] .

ولقد زوّد الله سبحانه وتعالى رسوله الأمين النبي الأمي العربي عليه الصلاة والسلام بالآيات والمعجزات، والبراهين الساطعة على صدق نبوته ورسالته؛ لا يجحد بها إلا كل مكابر، ولا يعرض عنها إلا كل هالك خاسر– والعياذ الله .

ولقد كان رسول الله ﷺ أميناً في تبليغ رسالة ربه، عظيماً في تعليم أمته،

حريصاً على سلامة العقيدة وتطهيرها من كل شائبة .

وكان رسول الله ﷺ لا ينهى عن شيء إلا ويأمر بالذى هو خير منه، ولا يبطل شيئاً إلا ويبيّن الحكمة في إبطاله، ولا يُسأل عن شيء إلا ويهديه سبحانه وتعالى إلى تمام جوابه.

وعلى سبيل المثال لا الحصر : لما سُئل رسول الله ﷺ عن الطيرة لم يكتفِ ببيان حكمها؛ وإنما فصّل القول فيها، فنفى حقيقتها بقوله ﷺ : « لا طيرة »، وقوله : «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم » .

وكان بذلك مؤكداً لما جاء في القرآن الكريم من قول الله عز وجل : ﴿ طائركم عند الله ﴾[النمل :٤٧]، ﴿ طائركم معكم ﴾[يس : ١٩]، ﴿ ألا إنما طائرهم عند الله ﴾ [الأعراف :١٣١]، ﴿قل كل من عند الله ﴾[النساء : ٧٨] .

كما أنه بيّن ﷺ أنّ الشؤم يكون في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة .

وأقرّ الفأل واستحسنه، وبيّن حدّ الطيرة المنهى عنها، فقال ﷺ : « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردّك »، ثم بيّن حكمها، فقال ﷺ: « الطيرة شرك » كما نسبها إلى الجبت .

ثم جعل ﷺ للطيرة كفارة خاصة بها يقولها منْ يتطيّر عند تطيره، وهي عبارة عن دعاء فيه إقرار من العبد واعتراف بأن الخير والشر إنما هما من الله تعالى مقدران على الخلق، كما فيه إقرار أيضاً على أنّ الطير وغيره من المخلوقات والظواهر الطبيعية عاجزة مسخرة، لا تضر ولا تنفع إلا بإذن الله تعالى، فخير الدنيا والآخرة إنما هو من عند الله تعالى، وشر الدنيا والآخرة لا يقدر على دفعه إلا الله تعالى، وفي ختام الدعاء تقرير وشهادة من العبد بأن الله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ربوبيته، وبهذا قطع رسول الله ﷺ جذور الشرك من قلوبهم، وطهّرهم بكلمة التوحيد والإخلاص، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شي قدير.

وهذا التفصيل الحكيم في أمر الطيرة كله أمر زائد عما جاء في القرآن الكريم، فالحكم الصريح للطيرة لم يَرِدْ في القرآن الكريم؛ إذ أنَّ اللفظ المتعلق بالطيرة في القرآن الكريم لم يُبيَن حقيقة الحكم الصريح فيها، بل اقتصر على تصحيح مفهوم خاطيء حول حقيقة الخير الشر، ومصدرهما، فأبطل زعم الكفار القائل بأن رسل الله الكرام صلوات الله عليهم وسلامه ـ سبب للشؤم، وبين لهم أنَّ المصائب التي تصيبهم مقدّرة عليهم من عند الله تعالى بسبب سوء أعمالهم .

ومن ذلك نرى أنّ هناك علاقة متينة بين القرآن الكريم والسنّة الشريفة، فلا يمكن لأي مسلم يؤمن بمحمد ﷺ ورسالته أنْ يستغنى بالقرآن الكريم عن السنة النبوية المطهرة، كما أنه لا يمكن الاستغناء بالسنة الشريفة عن القرآن الكريم، فكلاهما متممان لبعضهما البعض، وكلاهما وَحْي من عند الله تعالى؛ يُشكلان عروة وثقى واحدة لا انفصام لها، والله سميع عليم.

فالقرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى البليغ المعجز الذى لا تنفد عجائبه ولا تنقضي غرائبه، والسنة الشريفة بيان وتفسير، حيث تشتد الحاجة إلى البيان والتفسير، وإرشاد واستدلال حيث تدعو الحاجة إلى الإرشاد والاستدلال، وتشريع وتوجيه لما يستدعى التشريع والتوجيه ... وهكذا ... إلخ.

وبهذا تبطل حجة المغرضين الذين ينادون بفصل السنة الشريفة ونزعها من الدين! حيث يدّعون أنه لا حاجة بنا إليها في هذا العصر الذي يحتاج إلى تجديد فى التشريع يتناسب ومتطلباته، وأن السنة النبوية المطهرة انتهت بموت الرسول ﷺ، وإنها وإن كانت تناسب الصدر الأول من الإسلام فإنها لا تناسب عصرنا الحديث ـ كما زعموا !!!

فهذه (الطيرة) نَمرُّ عليها في القرآن الكريم لا نكاد نلقي لها بالاً نفاجأ بأن السنة النبوية المطهرة قد صنفتها في قائمة الشرك!! – نعوذ بالله من جميع أنواع الشرك، كبيره وصغيره... فكيف يكون حال المتطيرين ـ وما أكثرهم فى كل

زمان ـ لو ماتوا وهم على حالهم من التطير؟ ألا يكونوا مندرجين تحت قوله تعالى: ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به** ﴾ [النساء : ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿ **إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنّة** ﴾ [المائدة : ٧٢] وقوله تعالى: ﴿ **ومن يشرك بالله فقد افترى إثمًا عظيمًا** ﴾ [النساء : ٤٨] وقوله تعالى: ﴿ **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدًا** ﴾ [النساء : ١١٦] .

وإذا علمنا أنّ كل هذه المخاطر إنما يتعرض لها العبد لمجرد جهله بحكم الطيرة فقط: فما هو الحال بجهل ما سوى ذلك من الأمور ـ وهي عديدة لا حصر لها ولا عدد وتتناول جميع نواحي الحياة!

ثم وإذا كان بعض الناس يغلب على نفوسهم الوساوس، ويضعف عندهم الإيمان مع يقينهم بأن الخير والشر مقدران من عند الله تعالى .. فماذا يفعلون؟ ألا من وسيلة تعيد الهدوء إلى نفوسهم، والطمأنينة إلى قلوبهم، والرضا والتسليم إلى أرواحهم؟

بلى إن هناك لوسيلة ترتاح بها النفس من وساوسها وترتع في أحضان السكينة والطمأنينة، غير آبهة لما يعترضها من مصائب وكوارث في حياتها الدنيوية الفانية، ولكنّ هذه الوسيلة أيضًا لا مفر لنا فيها عن السنة النبوية المطهرة، فلا يمكن لنا أن نستخرجها بصورتها الكاملة من القرآن الكريم استقلالاً وانفرادًا عن السُّنّة الشريفة، وسيتضح لنا صدق ما قررناه إذا ما استعرضنا هَدْى الرسول محمد ﷺ في إرشاد أمته للاستغناء عن الطيرة بما هو أقوم وأصلح وأجدى .

البديل عن الطيرة

لما كان الإنسان مفطوراً على حب الخير وطلبه، والتطلع إليه في جميع أموره الدنيوية والأخروية، وكراهية الشر والمصائب، فقد أرشدنا نبينا ورسولنا محمد ﷺ إلى ما يُستحب فعله عند إرادة أي أمر من الأمور، ليضمن السعادة في الدنيا و الآخرة بإذن الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا: فإنْ عَرَض للإنسان عارض كالسفر مثلاً أو البيع

أو الشراء أو الزواج أو نحو ذلك من الأمور التي يخفى فيها وجه المصلحة عليه وبالنسبة له، وغالباً ما يخفى، لأنّ الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى ومن ارتضى من رسول، فعلى هذا الإنسان أنْ يتقي الله عز وجل ويستخيره [1] ثم يستشير أهل المروءة والصلاح والتقوى، وذلك في أموره كلها، فإذا استكمل الأخذ بالأسباب فوّض أمره إلى الله عز وجل، وتوكل عليه، واعتصم بحبله المتين، ودعاه مخلصاً له الدين، وتوسل إليه بأسمائه الكرام، وتحصّن بحصونه المنيعة التي لا تُرام، واستنار بنور هادي الأنام.

وبعد ذلك يرضى ويُسلّم بكل ما يصيبه من خير أو شر، فإن أصابته سراء شكر وعلم أنه خير له، وإنْ مسته ضراء صبر وعلم أنه خير له، فهو الظافر فى كل حال، لأنّ الخيرة فيما يختاره الله تعالى، ولأن الصبر عند المصيبة والشكر عند النعمة من خصائص المؤمنين فقط التى يثابون عليها فى كل حال، كما روى مسلم عن صُهيب بن سِنان رضى الله عنه أنّ النبى ﷺ قال: « عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإنْ أصابته ضراء صبر فكان خيراً له » [2]، فهذا الحديث فيه بشرى عظيمة للمؤمن، وهو مصداق لقوله تعالى في حق الشاكرين: ﴿ **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كريم** ﴾ [النمل:٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ **وإذ تأذّنَ ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم** ﴾ [إبراهيم :٧]، كما بين عز وجل أن شكر الله كان السبب في إنعامه على آل لوط بالنجاة مما أصاب به القوم من العذاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ **كذبت قوم لوط بالنذر * إنا أرسلنا عليهم حاصبًا إلا آل لوط نجيناهم بِسَحَر * نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر** ﴾[القمر :٣٣-٣٥] ، وشُكر الله تعالى يكون بالقول والعمل كليهما، فشكر الله على نِعَمِه يقتضي من الإنسان أنْ لا يعمل إلا الطاعات، كما يحتم عليه اجتناب المحرمات والمنهيات عنها... وإلا فلا يكون من الشاكرين.

---

(١) حديث الاستخارة سيأتى مخرجاً عند الكلام على صفة الاستخارة ص ٢٩٠.

(٢) مشكاة المصابيح جـ٢ /٦٧٨ رقم ٥٢٩٧ كتاب الرقاق باب التوكل والصبر.

وأما ثواب الصبر.. ومنه الصبر على المصائب والصبر على أداء الأوامر واجتناب النواهي فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٣]،

فبيّن الله عز وجل أنه مع الصابرين، يعينهم ويهديهم ويوفقهم ... كما قال الله عز وجل: ﴿ وبشّر الصابرين ﴾ [البقرة : ١٥٥]، وبيّن صفات هؤلاء الصابرين بقوله عز وجل : ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾ [البقرة : ١٥٦]، وأكّد على ثوابهم بقوله تعالى: ﴿ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴾[البقرة :١٥٧]. والآيات في هذا المعنى كثيرة ولكنا رأينا أنْ نكتفي بهذا القدر للتأكيد على ثواب المؤمن في جميع حالاته ... وللتأكيد على بيان الترابط العجيب بين القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهرة بحيث لا يمكن أنْ نجد تعارضاً بين الكتاب والسنة كما أنه لا يمكن أن نستغني بأحدهما عن الآخر، ولبيان أن السنة النبوية الشريفة لا تختص بالصدر الأول من الإسلام فقط وتنتهي بانتهائه كما يدّعي المرجفون الذين ينادون بفصل القرآن عن السنة، بل هي باقية ما بقى الإسلام والمسلمون ـ بإذن الله تعالى ـ ولو كره الكافرون.

أما تقوى الله عز وجل ومراقبته :

فهما أساس النجاح والفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة، فتقوى الله عز وجل: هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية؛ وذلك بفعل ما أمر، وباجتناب ما نهى عنه وزجر، أي أنّ التقوى هى مخافة الله عز وجل، ومحلها القلب ـ كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ـ.

وقد اعتنى القرآن الكريم بالتقوى، فذكرها وذكر ما يشتق منها في اثنين وأربعين ومائتى موضعاً (٢٤٢)[1]، وذكر سبحانه وتعالى أنه يحب المتقين، ويهديهم، ويعلمهم الخير العميم في الدنيا والآخرة، ويفرج عنهم كرباتهم، وينزل

(١)المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم من ص (٧٥٨ – ٧٦١) .

عليهم رحمته وبركاته، كما رغبهم سبحانه وتعالى فى التقوى، فقال عز وجل: ﴿ **ألا تتقون** ﴾ [الشعراء : ١٠٦، ١٢٤، ١٤٢، ١٦١، ١٧٧، والصافات: ١٢٤] وجعل الفلاح والنجاح حليف المتقين، فقد قال الله سبحانه وتعالى في سورة الطلاق: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقد فسّرها ابن كثير رحمه الله تعالى بقوله: « أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له من أمره مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، أى من جهةٍ لا تخطر بباله.

قال الإمام أحمد: ثنا يزيد أنا كهْمَس بن الحسن ثنا أبو السليل عن أبى ذر، قال: جعل رسول الله ﷺ يتلو عليّ هذه الآية: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ حتى فرغ من الآية، ثم قال : « يا أبا ذر لو أنّ الناس كلهم أخذوا بها كفتهم »، قال : فجعل يتلوها ويرددها عليّ حتى نعست... [١]

وقال عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجًا** ﴾ يقول : ينجيه من كل كرب فى الدنيا و الآخرة، ﴿ **ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾ أي من حيث لا يدري. ا.هـ [١].

وهكذا فالتقوى سبب للخير والرزق والفلاح، كما قال تعالى: ﴿ **لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى** ﴾ [طه : ١٣٢]، وقال في سورة المدثر: ﴿ **هو أهْل التقوى وأهل المغفرة** ﴾ [المدثر: ٥٦]، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: « أى هو أهْل أنْ يُخاف منه، وهو أهل أن يغفر ذنب مَنْ تاب إليه وأناب ـ قاله قتادة » [٢].

أما مراقبة الله عز وجل :

فهى أنْ تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه هى المرتبة الثالثة من مراتب الدين، ألا وهى : الإحسان، والدليل قول الله تعالى: ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[النحل: ١٢٨] .

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ / ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٤٤٨.

لذا يجب على كل مسلم يريد التوفيق في الدنيا والآخرة أنْ يأخذ نفسه بمراقبة الله سبحانه وتعالى فى كل لحظة من لحظات الحياة؛ حتى يتم لها اليقين بأنّ الله سبحانه وتعالى مطّلع عليها، عالم بأسرارها، رقيب على أعمالها، قائم عليها وعلى كل نفس بما كسبت، وبذلك يصبح مستغرقًا بملاحظة جلال الله وكماله، شاعرًا بالأنس في ذكره، راغبًا في جواره، مقبلاً عليه، معرضًا عما سواه، يجد راحته العظمى في طاعة الله عز وجل، والتمسك بدينه الذي هو الإسلام .

وهذا هو ما درج عليه السابقون الأولون من سلف هذه الأمة الصالح؛ إذ أخذوا به أنفسهم حتى تم لهم اليقين، وبلغوا درجة المقربين.

قال الشاعر :

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليّ رقيب

ولا تَحْسَبَنّ الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفى عليه يغيب

ألم تر أنّ اليوم أسرع ذاهب ... وأنّ غدًا للناظرين قريب

الاستخارة :

تعريفها : قال في المنجد: استخار استخارة : طلب الخيرة أو الخير .

واستخار الله : طلب منه أن يختار له ما يوافقه، ومنه: « اللهم خِرْ لي » ؛ أى اختر لى أصلح الأمرين [٢] .

مشروعيتها :

لقد سنّ لنا رسول الله ﷺ استخارة الله عز وجل في تصريف أمورنا، لأنه عز وجل هو وحده الذى يعلم ما يصلح لنا في ديننا ودنيانا وعاجل أمرنا وآجله، فعلى الإنسان أن يستخير ربه في أموره كلها، كما جاء في حديث جابر – رضى الله

---

(١) تفسير ابن كثير ٤ /٣٧٩ .

(٢) المنجد ص ٢٠١ .

عنه – الذي أخرجه البخارى رحمه الله بسنده فى باب الدعاء عند الاستخارة، قال: كان النبى ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن [1].

وقد أورد ابن كثير – رحمه الله تعالى – ضمن تفسير قوله تعالى: ﴿ **وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق** ﴾ [المائدة :٣] ؛ قال رحمه الله بعد أنْ بيّن حكم الاستقسام بالأزلام وأنه ضلالة وشرك: « وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أنْ يستخيروه؛ بأنْ يعبدوه، ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذى يريدونه» . ا.هـ [2] .

قال في فقه السنة :

وقد استدل الشّوْكاني رحمه الله تعالى بقول جابر – رضى الله عنه –: « كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها» على العموم، وأنّ المرء لا يحتقر أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه ، فرُب أمر يُستخف بأمره فيكون في الإقدام عليه أو في تركه ضرر عظيم، لذلك قال النبى ﷺ: « ليسأل أحدُكم ربّه، حتى شِسْع نعله » [3].

فضل الاستخارة:

ورد في فضل الاستخارة آثار كثيرة، منها : قال الله تعالى: ﴿ **وشاورهم فى الأمر فإذا عزمتَ فتوكل على الله** ﴾[آل عمران: ١٥٩] وفي مسند الإمام أحمد من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ أنه قال: « مِنْ سعادة ابن آدم استخارته الله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل » [4] .

---

(١) جزء من حديث سيأتى بتمامه مخرجًا عند الكلام على صفة الاستخارة ص ٢٩٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٢ /١٣.

(٣) فقه السنة ١ / ٦١٦، وحديث: «ليسأل أحدكم »: انظره فى الضعيفة (١٣٦٢).

(٤) أخرجه أحمد في « المسند » ١ / ١٦٨، والترمذى (٢١٥١) في القدر باب ما جاء في الرضى بالقضاء، وفي سنده محمد بن أبي حميد، وهو ضعيف كما في« التقريب »، ومع ذلك فقد حسنه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى : ١١ /١٥٥.

وقال ابن تيمية – رحمه الله تعالى – : « ما ندم من استخار الخالق، وشاور المخلوقين، وثبت في أمره »[1].

وقال في الإمتاع والمؤانسة : « ما خاب من استخار ولا ندم من استشار»[2].

صفة الاستخارة :

وأما صفة الاستخارة فهي كما يلي :

١ – أنْ يصلي ركعتين من غير الفريضة، ولوكانت من السنن الراتبة، أو تحية المسجد، في أى وقت من الليل أو النهار، يقرأ فيهما بما شاء بعد الفاتحة.

٢ – ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ﷺ، ثم يدعو بالدعاء الذى رواه جابر رضى الله عنه مرفوعاً كما ورد في كتب الصحيح:

وذلك كما يلي :

أخرج البخارى قال : حدثنا مطرف بن عبد الله أبو مصعب حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الموالِ عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه قال: كان النبى ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم يقول: اللهمَّ إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إنْ كنت تعلم أنّ هذا الأمر خير لي فى ديني ومعاشى وعاقبة أمري – أو قال: في عاجل أمرى وآجله – فاقدره لي، وإنْ كنت تعلم أنَّ هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشى وعاقبة أمرى – أو قال: في عاجل أمري وآجله – فاصرفه عني واصرفني عنه واقدرْ لي الخيرَ حيث كان، ثم رضّنى به – ويسمي حاجته. ا.هـ[3] .

---

(١) الوابل الصيب ص ٢٣٥.

(٢) الإمتاع والمؤانسة ٢ / ١٤٧.

(٣) أخرجه البخاري ٤ / ١١٠ كتاب الدعوات باب الدعاء عند الاستخارة، وفي التطوع باب ما جاء فى التطوع مثنى مثنى ، وفي التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿ قل هو القادر﴾، وأخرجه أبو داود (١٥٣٨) في الصلاة باب الاستخارة، والنسائى ٦ /٨٠ فى النكاح : باب كيف الاستخارة، وأحمد فى المسند =

٣ - ولم يصح في القراءة فيها شيء مخصوص، كما لم يصح شيء في استحباب تكرارها، فيقرأ فيهما بعد الفاتحة بما يتيسر له من القرآن الكريم.

وقال النووي رحمه الله : ينبغي أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له، فلا ينبغي أن يعتمد على انشراح كان فيه هوى قبل الاستخارة، بل ينبغي للمستخير ترك اختياره رأساً، وإلا فلا يكون مستخيراً لله، بل يكون غير صادق في طلب الخيرة وفي التبري من العلم والقدرة وإثباتهما لله تعالى، فإذا صدق في ذلك تبرأ من الحوْل والقوة، ومن اختياره لنفسه. ا.هـ [1].

فكانت الاستخارة خير بديل لما كان يفعله الجاهليون من زجر الطير وعيافته، واختيار الطالع، ومساءلة الكهّان، والتنجيم، ونحو ذلك من الأمور الشركية التي حرمها الرسول ﷺ وأرشدهم إلى دعاء الاستخارة المبارك، الذي يشتمل على الإقرار بالتوحيد، والافتقار إلى الله تعالى والتوكل عليه، وطلب الخير منه، لأنه هو وحده النافع الضار، المالك المتصرف؛ الذى لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو، الذي إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه من التطير والتنجيم واختيار الطالع ونحوه،مما يفعله الجاهليون.

ودعاء الاستخارة يتضمن الإقرار بوجود الله سبحانه وتعالى، والإقرار بصفات كماله، من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته وتفويض الأمر إليه والاستعانة به،والتوكل عليه، وخروج الإنسان من عُهْدة نفسه، والتبرى من الحول والقوة إلا بالله تعالى ومع الله، والاعتصام بحصون الله المنيعة، ومنها الإسلام والتوحيد والذكر والدعاء والتوكل على الله ومراقبته وتقواه في كل الأمور الصغيرة أو الكبيرة، الظاهرة أو الباطنة، ثم اعتراف المخلوق بعجزه عن علمه بمصلحة نفسه، وقدرته عليها

= من حديث جابر رقم ٤١٧٦، وأخرجه ابن ماجه فى إقامة الصلاة باب صلاة الاستخارة حديث ١٣٨٣، والترمذى فى الصلاة باب صلاة الاستخارة حديث ٤٨٠.

(١) فقه السنة ١ / ٦١٧.

وإرادته لها ، وأنَّ ذلك كله بيد الله فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة الإله الحق المبين، الرحمن الرحيم .

وأما الاستشارة :

فهى طلب المشورة والنصيحة من أهل الرأي والدين والحِكْمة.

مشروعية الاستشارة :

لقد حث الإسلام أتباعه على استشارة أهل الخير والصلاح، وخاصة في الأمور التي تحتاج إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿ **وشاورهم فى الأمر** ﴾[آل عمران :١٥٩]، ووصف المؤمنين في سورة الشورى بصفات عظيمة؛ منها أنَّ أمرهم شورى بينهم، فقال عز وجل: ﴿ **والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** ﴾[الشورى :٣٨]، فجعل الشورى دعامة من دعائم الإيمان، وصفة من الصفات المميزة للمسلمين، وسوَّى بينها وبين الصلاة والإنفاق .... وإذا كان الأمر كذلك تبيَّن لنا أنه لا يكمل إيمان قوم تركوا الشورى ولا يحسن إسلامهم إذا لم يقيموا الشورى إقامة صحيحة، لا فرق في ذلك بين الفرد والجماعة .... أو بين الحاكم والمحكوم، والأمر الصغير أو الكبير، والاستشارة مندوب إليها؛ سواء أكان ذلك بمعناها الضيق المحدود الخاص بأمر أو فرد واحد من أفراد الجماعة الإسلامية أو الشورى بمعناها الواسع العام الشامل لكل نواحى الحياة، وقد جاء فى الأمثال: « أول الحزم المشورة »، وهذا المثل لأكْثَم بن صيّفي، ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : الرجال ثلاثة: رجل ذو عقل ورأي، ورجل إذا حزبه أمر أتى ذا رأى فاستشاره، ورجل حائر بائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً .....قال شاور في أمرك الذين يخشون الله ـ هذا يروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه. ا.هـ [1].

---

(١) مجمع الأمثال : جـ ١ / ٢٥٣ .

الأسوة الحسنة في الاستشارة:

الإسلام دين الكمال الذى لم يفرط في صغيرة ولا كبيرة إلا وأرشد إلى حكمها وكيفية التصرف حيالها... والاستشارة أحد هذه الأمور التى رغب فيها الشرع، ولنا أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ ، فقد كان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه الكرام– رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ وخاصة كان يشاورهم في أمور الجهاد فى سبيل الله بالإضافة إلى غير ذلك من الأمور، فكان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم – إن كان صائبًا – علمًا بأنّه كان في غنى عن ذلك بما كان يأتيه من وَحْي ربه الذي كان يتنزل عليه بكرة وعشيًا ... ولكنه الأدب النبوى والتشريع الفذ الذى جعل فيه الله عز وجل صلاح الدنيا والآخرة.

ففى غزوة بدر لم يخرج الرسول ﷺ من المدينة لاعتراض قافلة أبي سفيان إلا بعد أنْ استشار المهاجرين والأنصار، كما أنه ﷺ لم يخض غمار الحرب فيها مع قريش إلا بعد أنْ استشار المهاجرين والأنصار أيضًا ...واتفقت كلمة الجميع على القتال ... فكان النصر المبين للمسلمين ، والهزيمة المنكرة للمشركين.

وأما المكان الذى حدثت فيه غزوة بدر فإنه أيضًا قد تم اختياره بناء على نصيحة قدمها الصحابى الجليل الحُباب بن المنذر بن الجَمُوح ، ورأى ارتآه، ولم يستنكف الرسول ﷺ من العمل به؛ وذلك أنّ الرسول ﷺ بعد أنْ اتفق جميع المسلمين على قتال المشركين سار حتى نزل أدنى ماء من مياه بدر، وسبق قريشًا إلى بدر، ومنع قريشًا من السبق إليه مطر عظيم أرسله الله تعالى مما يليهم ، ولم يصب منه المسلمين إلا ما لبّد لهم دَهْس الوادى وأعانهم، فنزل عليه الصلاة والسلام أدنى ماء من مياه بدر إلى المدينة، فأتاه الحباب بن المنذر بن الجموح فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل منزل أنزلكه الله ليس لنا أنْ نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال عليه الصلاة والسلام : « بل هو الرأى والحرب والمكيدة ». فقال: يارسول الله ، إنّ هذا ليس بمنزل، فانهض بنا حتى نأتي أدنى ماء من القوم

فننزله ونغوّر ما وراءه من القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً ، فنملأه، فنشرب ولا يشربون. فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأي وفعله.

وكذلك فعل سعد بن عبادة – رضى الله تعالى عنه – عندما أشار على رسول الله ﷺ ببناء عريش ـ في نفس الغزوة ـ يكون فيه الرسول ﷺ، فوافق الرسول ﷺ على ما أشار به سعد بن عبادة ودعا له بخير[1].

وكذلك استشار الرسول ﷺ أصحابه فى أسارى بدر : بين قتلهم أو أخذ الفداء منهم؟ قال في نور اليقين: ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل بالأسرى؟فقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: يا رسول الله : قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ... وأشار بقتلهم، ووافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله ابن رواحة رضى الله عنهما... وأشار أبو بكر رضى الله عنه باستبقائهم، وأخذ الفدية منهم .

وفى نهاية الأمر رأى عليه الصلاة والسلام رأي أبي بكر بعد أنْ مدح كل من أبدى رأيه، واستقر الأمر على أخذ الفداء من الأسرى...[2] .

ولقد عاتب الله سبحانه وتعالى المؤمنين في عدم قتل الأسرى بقوله : ﴿ **ما كان لنبيّ أن يكون له أسرى حتى يُثْخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم** ﴾ [الأنفال : ٦٧، ٦٨]، ولكن لما كان الثواب والعقاب عند الله سبحانه وتعالى مداره على النية، وما تكنه الصدور، وكان في علم الله سبحانه وتعالى أنَّ استبقاء الأسرى لم يكن (اجتهاد) الرسول ﷺ وصحابته الكرام ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ فيه إلا لمصلحة الإسلام والمسلمين ـ: فقد غفر الله سبحانه وتعالى لهم خطأهم في اجتهادهم ولم يعاقبهم عليه رحمة منه وفضلاً، بل اكتفى سبحانه وتعالى بعتابهم والتنديد بهم.

---

(١) مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٠٦، ٢٠٧.
(٢) نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ص ١٣٥، ١٣٦.

ولم تخلُ هذه الحادثة من فوائد، فقد كانت من أقوى الأدلة على صدق نبينا محمد ﷺ فيما جاء به، لأنه لو كان القرآن الكريم من عنده لما عاتب نفسه على عمل لم يعمله إلا بعد أنْ استشار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فيه، واتفق رأى أكثرهم عليه. كما بينت أن الله سبحانه وتعالى لا يحاسب المرء على خطئه إذا اجتهد وأخطأ في اجتهاده، ما دامت نيته صالحة وخالصة لله عز وجل [1] .

وكان هذا مصداقًا لقول الرسول ﷺ: « إنَّ الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكْرِهُوا عليه» [2] .

كذلك لما بلغ الرسول ﷺ عزم الأحزاب من المشركين على غزو المدينة المنورة فى الغزوة المعروفة بغزوة الأحزاب أو غزوة الخندق ـ وكان ذلك في السنة الخامسة من الهجرة ـ استشار الرسول ﷺ أصحابه فيما يفعل ؟ أيمكث بالمدينة أم يخرج للقاء هذا الجيش الجرار؟ فأشار عليه سلمان الفارسي بعمل الخندق، وهو عمل لم تكن العرب تعرفه ، فأمر عليه الصلاة والسلام المسلمين بعمله.. وشرعوا في حفره شمالى المدينة من الحرَّة الشرقية إلى الحرَّة الغربية [3]، فكان هذا الخندق عملاً رائعًا، أعاق تقدم المشركين ، وسببًا من الأسباب الكثيرة التي أدت إلى خذلانهم – بإذن الله تعالى – وانصرافهم عن المدينة المنورة خائبين مذعورين.

وحياة الرسول ﷺ مليئة بالمواقف الرائعة التى كان يستشير فيها أصحابه، فيزرع الثقة في نفوسهم، والمحبة بينهم ، ويدربهم على احترام بعضهم البعض، وإعمال العقل والفكر؛ بما يعود بالمصلحة والفائدة على الجميع، حتى أنه لم يستنكف أنْ يستشير زوجته أم سلَمة ـ رضى الله عنها ـ في صلح الحديبية ويأخذ برأيها عندما

---

(١) نور اليقين من ص ١٨٣، ومختصر سيرة الرسول ﷺ ص٢٨١ .

(٢) صحيح الجامع الصغير ٢ / ١٠٢ رقم الحديث ١٧٢٧، والمشكاة رقم ٦٢٩٣، كما ذكر في صحيح الجامع الصغير نحوه عن ابن عباس ٢ /١٣٢ رقم ١٨٣٢ .

(٣) السيرة النبوية صـ ٢٨١، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ص ١٥١، زاد المعاد جـ ٣ / ٢٧١.

أمر الرسول ﷺ أصحابه بالتحلل من عمرتهم وذلك بحلق رؤوسهم و نَحْر ما معهم من الهَدْي ولم يبادروا للامتثال، فدخل رسول الله ﷺ على أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها ـ وكانت معه ـ وقال لها : هلك المسلمون، أمرتهم فلم يمتثلوا، فقالت : يا رسول الله اعذرهم، فقد حمّلْت نفسك أمراً عظيماً في الصلح، ورجع المسلمون من غير فتح، فهم لذلك مكروبون، ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما تريد فإذا رأوك فعلت تبعوك، فتقدم عليه السلام إلى هَدْيه فنحره،ودعا بالحلاق فحلق رأسه، فلما رآه المسلمون تواثبوا على الهدى فنحروه، وحلقوا، ثم رجع المسلمون إلى المدينة وقد أمِنَ كُلٌ فريق الآخر [١] .

ومما سبق من سنة الرسول ﷺ نرى أن الرسول ﷺ كان يسلك في الاستشارة كل سبيل، فهو حيناً كان يستشير جمهور الأمة ـ وذلك حين استشار ﷺ المسلمين بالأمر الذى يتخذه في شأن من أشاع حديث الإفك فى شأن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها، فقال :« أشيروا عليّ أيها الناس » ... والخطاب كان في المسجد وموجهاً لجمهور الأمة . كما كان يقصد باستشارته أحياناً فئة معينة من الناس ... كاستشارته ﷺ للأنصار فى غزوة بدر، واستشارته ﷺ لأصحاب الرأى، كاستشارته ﷺ للحباب بن المنذر فى موضع القتال فى غزوة بدر، واستشارته ﷺ لأم سلمة ـ رضى الله عنها ـ فى أمر الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أثناء صلح الحديبية.

وقد اقتدى الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – وكذلك السلف الصالح.. اقتدى الجميع بسنة الرسول ﷺ فى الاستشارة، وساروا على هَدْيه الكريم، وشرعه العظيم، فكانوا يستشيرون بعضهم البعض في الأمور الهامة؛ سواء أكانت دينية أو دنيوية .

---

(١) زاد المعاد جـ٣ / ٢٩٥ ، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ١٨٠.

ومن ذلك اختيار الخليفة ... فكلنا يعرف أنّ اختيار أبي بكر – رضى الله عنه – ليكون خليفة للمسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ قد تم بطريق الشورى، ثم اجتماع القوم على كلمة واحدة ورأى واحد .

وكذلك كان اختيار عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ للخلافة، فقد تم بطريق الشورى بعد أنْ حدّد عمر الفاروق – رضى الله عنه – ستة من الصحابة ورشّحهم للخلافة، وأمر المسلمين باختيار الخليفة من بين هؤلاء الستة؛ وهم : على ابن أبى طالب، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عُبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام – رضى الله عنهم أجمعين ـ .

وقد وقع الاختيار على عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ، فبويع بالخلافة بإجماع الآراء، سواء من أهل الرأي أو من عامة الناس.

والصدر الأول للإسلام حافل بالمواقف الناجحة التي لم يكن فيها المرء يعزم على أمر ما إلا ويلتمس النصح والإرشاد من إخوانه المؤمنين الصالحين.

ولقد قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين» .

وقال قتادة – رضى الله عنه –: ما شاور قوم يبتغون وجه الله إلا هُدوا إلى أرشد أمرهم، وأنْ يستخير الله تعالى [1].

وقد جاء في المثل العربى : « أول الحزم المشورة » .

وقال الشاعر يحث على الاستشارة :

اقـرنْ برأيك رأى غيـرك واستـشرْ ... فـالرأىُ لا يخـفى على اثنين

وقال شيخ العماد الأصبهاني[2] :

---

(١) انظر فقه السنة جـ ١ / ٦١٦، والوابل الصيب ص ٢٣٥.

(٢) هو القاضي أحمد بن محمد الأرجاني بفتح الهمزة وكسر الراء المهملة مع خلاف في تشديدها، وهو شيخ العماد الأصبهانى الكاتب، ووفاته سنة أربع وأربعين وخمسمائة هجرية (٥٤٤).

شاورْ سواك إذا نابتك نائبة ... يوماً وإن كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحاً من دنا ونأى ... ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وقد قيل : إذا نويت فاستشر ، وإذا مضيْتَ فاستَخرْ.

وقال عبد الملك بن مروان ـ رحمه الله تعالى ـ في الحث على المشورة: لأنْ أخطىء وقد استشرت أحبُّ إليّ من أنْ أصيبَ وقد استبديت برأيي من غير مشورة[1] .

قال الأستاذ علي عبد العظيم :

« وقد استشار الرسول ﷺ صحابته فيما لم ينزل عليه وَحْي فيه، وكتب السيرة النبوية حافلة بمواقف هذه المشورة، كما أنَّ التاريخ الإسلامى حافل بهذه المواقف، إلا فى قليل من عصور الاستبداد التى حاد فيها الحكام عن شريعة الله، والذنب ذنب الحكام، وذنب الرعية، وليس ذنب شريعة الإسلام » [2] .

هذا وإنَّ الاستشارة لا تجوز فيما ورد فيه نص صريح من قرآن كريم أو سنة مطهرة مؤكدة، وذلك لأنه لا اجتهاد في موارد النصوص الشرعية، بل يجب الائتمار بأمرها والانتهاء بنهيها.

حسن الاختيار في المشورة :

إلا أنه على المرء أنْ يتثبَّتْ ممن يستشيرهم من حيث العدل والعلم والتقوى وسداد الرأى، فلا يستشر إلا منْ يتوسم فيه الخير والصلاح وحسن الرأى، وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: « شاورْ في أمرك الذين يخشَوْنَ الله » [3].

(١) مجلة المجتمع الإسلامية : العدد (٥١٧) السنة الحادية عشر صـ ٤٢ .
(٢) أقلام مسمومة تهاجم الإسلام صـ ١٨٢ .
(٣) مجمع الأمثال جـ ١ / ٢٥٣.

وقال الشاعر أبو الفتح البُسْتي [1]:

لا تستشر غير ندب حازم فطنٍ ... قد استوى منه إسرار وإعلان
فللتدابير فرسان إذا ركضوا ... فيها أبروا كما للحرب فرسان
وللأمور مواقيت مقدّرة ... وكل أمر له حد وميزان

فالمشورة إنْ لم تصادف محلّها كانت وبالاً على صاحبها، وإحباطاً للفائدة، ومضيعة للوقت، لذا فعلى المرء أنْ يعرف مَنْ هو الجدير بالاستشارة فلا يتعداه.

وقال الكماء: « من استشار ذوى الألباب سلك سبيل الصواب» .

ثم على المرء أنْ يحرص على تجنب أذى الناس، فلا يجدر به أنْ يعتدى على أحد؛ فقد قيل في الأمثال: « إنَّ من ابتغاء الخير اتقاء الشر » [2]، وقيل: « من سلك الجَدَدَ أمِنَ العثار» [3] ـ والجدد : الأرض المستوية، يُضْرَب في طلب العافية.. وقيل أيضاً: « ترك الشر يتركك » [4]، أي إنما يصيب الشر مَنْ تعرض له .

وقد زعموا أنَّ لقمان الحكيم قال لابنه : اترك الشر كما يتركك، أراد كيما يتركك، فحذف الياء وأعملها [5].

وعلى المستشير أيضاً أنْ يُجَرِّد عمله من الإثم، ويطَهِّرَ نفسه من الحقد، والبغي والمنكر، والبدع والرياء والسمعة، وأنْ يتقى الله عز وجل، فقد قيل في المثل: « التُّقى ملجَم » [6]، أى كان التقى له لجاماً يمنعه من العدول عن سنن الحق قولاً وفعلاً.

وعليه أنْ يتجنب الطمع وشدة الحرص، فقد قيل: رب طمع أدنى إلى عَطَب [7]، ورب أمنية جلبت المنية ـ ويروى: نتجت منية [8].

---

(١) هو أبو الفتح علىّ بن محمد البستي، صاحب النظم والنثر، توفى البستي رحمه الله تعالى سنة أربعمائة هجرية . انظر حياة الحيوان الكبرى :١ / ١٧٣، ١٧٤.

(٢) مجمع الأمثال ١ / ٥١.

(٣) مجمع الأمثال للميدانى جـ ١ /٥١.

(٤) مجمع الأمثال : جـ ١ / ٩٢.

(٥) مجمع الأمثال : جـ ١ / ٩٢.

(٦، ٧) مجمع الأمثال: جـ ١ / ٩٣.

(٨) مجمع الأمثال ج١/ ٣٠٣.

وعلى الإنسان فى النهاية أنْ يفعل ما يراه الأصلح له في دينه ودنياه، ولو وقف ضده جميع أهل الأرض، وذلك كما فعل الرسول ﷺ في صلح الحديبية، وكما فعل أبو بكر رضى الله عنه في قتال المرتدين، ففي صلح الحديبية رفض المسلمون الصلح معتزين بالله سبحانه وتعالى وبالإسلام، ولكنَّ الرسول ﷺ لم يرضخ لهم لما هداه الله إليه من معرفة المصلحة في ذلك الصلح، فكان صلح الحديبية فتحاً مبيناً أنعم الله سبحانه وتعالى به على المؤمنين.

وكذلك فعل أبو بكر – رضى الله تعالى عنه – في قتال المرتدين، حتى أنَّ عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال له : أليس قد أُمرنا أنْ نقاتل الناس حتى يشهدوا أنْ لا إله إلا الله، فإنْ هُمْ قالوها عصموا منَّا دمائهم وأموالهم؟ فقال له أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ: والله لو منعونى عِقالاً مما كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

أراد بالعقال: الحبل الذى يُعقل به البعير الذى كان يؤخذ في الصدقة، لأن على صاحبها التسليم، وإنما يقع القبض بالرباط، وقيل: أراد ما يساوي عقالاً من حقوق الصدقة.

وقيل: إذا أخذ المصدق أعيان الإبل قيل أخذ عقالاً، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً، وقيل: أراد بالعقال : صدقة العام، يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام أي أخذ منهم صدقته، وبُعث فلان على عقال بنى فلان إذا بعث على صدقاتهم. واختاره أبو عبيد؛ وقال: هو أشبه عندى بالمعنى.

وقال الخَطَّابى : إنما يُضْرَبُ المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر، وليس بسائر فى لسانهم أن العقال صدقة عام .

وفي أكثر الروايات: لو منعونى عناقاً، وفي أخرى: جدياً. ا.هـ [١].

كما على المستشير أنْ يتقى الله، ويتوكل عليه، ويستعين به في كل الأمور.

قال الشاعر البُسْتى:

---

(١) النهاية (٣/٢٨٠).

من استعان بغير الله في طلب ... فإنّ ناصره عجز وخذلان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إنْ خانتك أركان
لا ظلّ للمرء يُغنى عن تقى ورضاً ... وإنْ أظلته أوراقٌ وأفنان

إخلاص النصيحة للمستشير :

كما على المستشار بذل النصح للمستشير، متوخياً عدم التغرير به، أو إهماله، أو احتقار شأنه، وإنْ لم يتضح له وجه الصواب فيما سئل عنه فعليه الاعتراف بذلك حتى لا يضل من يريد الهداية، وعليه أن يتمثل بقول الشاعر صالح بن عبد القدوس[1] ـ رحمه الله تعالى ـ:

وزن الكلام إذا نطقت فإنما ... يبدي عقول ذوى العقول المنطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم ... من يستشار إذا استشير فيطرق
حتى يحل بكل واد قلبه ... فيرى ويعرف ما يقول وينطق

كما على المستشار أنْ يوقن أن بذل النصح حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم، فقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أنّ النبى ﷺ قال : « حق المسلم على المسلم ست». قيل : ما هى يا رسول الله ؟قال: «إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فَحَمِدَ الله فشَمِّتْه، وإذا مرض فعُدْه، وإذا مات فاتبعه »[2]. فذكر النصيحة من ضمن حقوق المسلم على أخيه المسلم .

والنصيحة كما قال أبو عمرو ابن الصلاح: كلمة جامعة تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً[3]. وقال فى جامع العلوم والحكم : ومن أعظم أنواع النصح أنْ ينصح لمنْ استشاره فى أمره؛ كما قال رسول الله ﷺ: « إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له »[4].

---

(١) هو شاعر عباسى اتهمه المهدى بالزندقة فقتل وصلب على الجسر، وذلك سنة سبع وتسعين ومائة (١٩٧) هـ (انظر حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٨، ٢٩) .
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٢ / ٣٧٢ .
(٣ – ٤) جامع العلوم والحكم ص٧٠.

وعلى العموم فقد جمع رسول الله ﷺ الدين فى النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ فقد أخرج البخارى ومسلم والنسائي عن تَميم الداري أن النبي ﷺ قال: « الدين النصيحة ». قلنا : لمن؟ قال : « لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1].

وأخرج الطبراني من حديث حُذيفة بن اليمان عن النبي ﷺ قال: « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، ومن لم يُمسِ ويُصبح ناصحاً لله ولرسوله ولكتابه ولإمامه ولعامة المسلمين فليس منهم » [2].

فهذه الأحاديث الشريفة في جملتها تحذر من خيانة المسلمين في تقديم النصيحة، سواء أكانت فى الأمر بالمعروف أو النهى عن المنكر ، أو كانت في إخلاص النصح لمن يطلب المشورة في أمر من أمور دينه أو دنياه .

كما أن (المستشار مؤتمن)[3]؛ فعليه أنْ لا يُفشى سراً يُستأمَن عليه أو نحو ذلك، بل يجب عليه أن يكون عند حسن الظن به، فينال المحبة والشكر من الله تعالى ثم من الناس.

---

(١) أخرجه البخارى ١ / ٢٣ كتاب الإيمان (مطابع الشعب)، وأخرجه مسلم ١ / ٧٤ كتاب الإيمان (٢٣) باب بيان أنّ الدين النصيحة، وأخرجه النسائي في سننه ص٦٤٨ ، وأخرج أحمد بن حنبل الحديث عن طريق أبي هريرة ٢/ ٢٩٧ ، كما أخرجه الترمذى في الجامع الصحيح عن طريق أبي هريرة أيضاً ٤ / ٣٢٤ كتاب البر والصلة ١٧ باب ما جاء في النصيحة رقم الحديث ١٩٢٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه النسائي في سننه أيضاً من طريق أبي هريرة ص ٦٤٨ ، وجامع العلوم والحكم صـ(٧٠) ، ولقد قال الحافظ أبو نعيم : «هذا الحديث له شأن عظيم؛ ذكر محمد بن أسلم الطوسى أنه أحد أرباع الدين ». وذكر أبو داود فى سننه أن هذا الحديث أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه «انظر جامع العلوم والحكم ص٦٧».

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٧٠.

(٣) من جوامع كلم الرسول ﷺ، أخرجه عبد الرزاق ٢٠٩٤٥ ، والحاكم في المستدرك ١٣١/٤ ، وأخرجه الترمذى رقم ٢٣٦٩ ، وابن ماجه رقم ٣٧٤٥ ، ٣٧٤٦ و الطبرانى في الكبير ٢٦٦/٧ ، والبيهقي ١١٢/١٠ ، ومسند أحمد ٢٧٤/٥ ، وأبو داود ٣٤٥/٥رقم ٥١٢٨.

التحذير من استشارة غير المؤمنين:

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن استشارة غير المؤمنين؛ لأنهم لا يخلصون النصيحة، ولا يضمرون للمؤمنين إلا الكيد والدس، والمكر والخديعة ، فالركون إليهم وإلى آرائهم ضلال وفساد .... كما قال تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾** [آل عمران : ١١٨] .

فبطانة الرجل هم خاصّة أهله الذين يطلعون على داخل أمره، قال أبو الفتح البستى:

من استنام إلى الأشرار نام   و في قميصه منهُم صِلٌ [١] وثُعْبان

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره :

« وقد روى البخاري والنسائي وغيرهما من حديث جماعة؛ منهم يونس، ويحيى ابن سعيد، وموسى بن عقبة، وابن أبي عتيق: عن الزهرى عن أبي سلمة عن أبي سعيد – رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما بعث الله منْ نبيٍّ ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله » [٢] .

أوصاف المستشار :

مما سبق يمكننا تلخيص أهم ما يميز المستشار من مزايا، فأهم هذه المزايا أنْ يكون مؤمناً بالله واليوم الآخر، على درجة عالية من التقوى والإخلاص والعدل والأمانة ، وبُعْد النظر، وحسن الرأى ، والاستقامة ، والعلم والخبرة والتجربة .

والله تعالى يقول: **﴿ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾** [النحل: ٤٣ ، والأنبياء: ٧] .

---

(١) صِلٌ : الصل بالكسر: الحية التى لا تنفع منها الرقية « مختار الصحاح ص ٣٦٨».

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ / ٣٩٨.

ووجه توفر المزايا السابقة في المستشار بسبب أن الكافر أو المنافق أو الضال لا يحب المؤمنين ولا يتوخى مصلحتهم، بل ولا يتوانى في الكيد و الدس لهم، ولقد نهى الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين فى الآية (١١٨) من سورة آل عمران عن اتخاذ البطانة الفاسدة مبيناً الحكمة فى ذلك بقوله: ﴿ لا يألونكم خبالاً﴾، أي لا يُقصِّرون لكم في الفساد، وكيف لا وهم يكرهون المؤمنين ويستاؤون مما يصيبهم من الخير ..... كما قال تعالى: ﴿ ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خَلَوْا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ﴾ [آل عمران : ١١٩]، وقال عز وجل: ﴿ إن تَمْسَسْكُم حسنةٌ تَسُؤْهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ...﴾ [آل عمران : ١٢٠]، فأعداء الدين ممن هم على غير ملة الإسلام، أو ممن هو متهاون بشأن الإسلام ـ ولو كان مسلماً ـ لا يمكن أنْ يركن لمشورتهم عاقل، خاصة وقد بيَّن الشرع حقيقتهم وظهر للعيان كيدهم وخبثهم، والأمثلة على ذلك كثيرة، فمنها ما قاله ابن كثير في تفسيره؛ « إنَّ كفار مكة عندما ظهر فيهم رسول الله ﷺ جاء بعض أحبار اليهود من بنى النضير وبنى قريظة إلى أهل مكة ليكيدوا للمسلمين ... فاستشار كفار قريش هؤلاء الأحبار من يهود في شأن محمد ﷺ؛ حيث قالوا لهم :

– أنتم أهل الكتاب وأهل العلم؛ فأخبِرونا عنا وعنْ محمد ؟!

– فقالوا: ما أنتم وما محمد !

– فقال أهل مكة : نحن نصل الأرحام وننحر الكوماء ونسقي الماء على اللبن ونفك العاني ونسقي الحَجيج، ومحمد صُنبُور، قطع أرحامنا، واتبعه سُرَّاق الحجيج من غفار... فنحن خير أم هو ؟

– فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً [1].

فأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب يؤمنون

---

(١) تفسير ابن كثير : جـ ١/ ٥١٣.

بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ﴾ [النساء: ٥١] .

وهكذا يتضح لنا أنّ أعداء الإسلام مهما أوتوا من العلم والمعرفة فلا يمكن أن يُخلصوا النصيحة للإسلام وللمسلمين، لأنّ نفوسهم الخبيثة المجبولة على الفساد والشر تأبى عليهم ذلك ... وهم فضلاً عن ذلك لم يُخْلصوا لأنفسهم؛ بل أوردوها موارد الهلاك بضلالهم ... فكيف ينخدع بهم بعد ذلك مسلم ويسألهم النصح والمشورة ...

ولابد أنْ نذكر أن المسلمين لم يتقهقروا وينهزموا إلا بعد أنْ أخذوا لهم بطانة من دون المؤمنين يستشيرونهم ويعملون برأيهم، مما أدى إلى تأخر المسلمين، وضعضعة صفوفهم، وذلك منذ عهد الفتنة العمياء التي حدثت في زمن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وكان وراءها اليهود والمنافقون – إلى وقتنا الحاضر.

وقد جاء في الكتب التاريخية التي كتبت عن عوامل سقوط الدولة الإسلامية بالأندلس أنّ من العوامل الرئيسية في سقوط الأندلس هو اتخاذ الحكام مستشارين لهم من غير ملتهم وعلى غير مشربهم [١] .

هذا ولا يزال المسلمون منخدعين بأعداء الإسلام! فيجعلونهم المثل الأعلى لهم.. ويستقدمونهم إلى بلادهم على شكل خبراء ومستشارين ونحو ذلك، أو يذهبون إليهم في بلادهم ويقدمون لهم أفلاذ أكبادهم باسم العلم والتعليم .... ظانين أنّ هؤلاء الكفرة سيخلصون النصح لهم دون تقصير.

فالويل كل الويل لنا إنْ ظللنا على هذا الحال من الغفلة، والجهالة، والانقياد الأعمى لما يخططه لنا أعداؤنا باسم الحضارة والتطور .... والنهضة والخبرة .... وما إلى ذلك من الأسماء البراقة الخداعة .... التي لا تهدف إلا للقضاء على الإسلام والمسلمين!

---

(١) الأندلس تاريخ وعبرة : ص ١٣٣.

خلاصة هذا الموضوع

علمنا فيما سبق هداية الشريعة الإسلامية لأبنائها في كافة الأمور، صغيرها وكبيرها، من وجوب تقوى الله عز وجل، وتفويض الأمر إليه ، والتوكل عليه، واستخارته ثم استشارة أهل الرأي والصلاح، وذلك كما كان يفعل رسول الله ﷺ. يضاف إلى ذلك وجوب اتباع سنة الرسول محمد ﷺ في كيفية تصرفه أثناء السفر، وأثناء الحاجة لأي شيء، فنقول ـ وبالله التوفيق ـ :

كيفية تصرف الرسول محمد ﷺ أثناء السفر :

بالإضافة إلى ما سبق فإنّ رسول الله ﷺ كان يتأدب بآداب قدْ سنّها للسفر.

قال الله تعالى: ﴿ .. وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ [الزخرف :١٢-١٤].

وكان رسول الله ﷺ إذا ركب راحلته كبَّر ثلاثًا، ثم قال: ﴿ سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين* وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾، ثم يقول: « اللهمَّ إنى أسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هوِّن علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل ، اللهمَّ اصحبنا في سفرنا، واخلفنا في أهلنا »، وإذا رجع قالهنّ و زاد فيهنّ: « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[1].

وذكر أحمد بن حنبل عنه ﷺ أنه كان يقول: « اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهمَّ إنى أعوذ بك من الضبنة في السفر والكآبة في المنقلب، اللهم اقبض لنا الأرض، وهوّن علينا السفر»؛ وإذا أراد الرجوع قال: « آيبون

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٢) فى الحج : باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، والترمذي(٣٤٤٤) وأبو داود (٢٥٩٩) من حديث ابن عمر، ومعنى قوله: « مقرنين» مطيقين، والوعثاء، الشدة، والكآبة : تغير النفس من حزن ونحوه، والمنقلب: المرجع.

تائبون عابدون لربنا حامدون »، وإذا دخل أهله قال: « تَوْبًا توبًا، لربنا أَوْبًا، لا يغادر علينا حَوْبًا »[1].

وفي صحيح مسلم أنه كان إذا سافر يقول: «اللهمَّ إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، ومن الحَوْر بعد الكَوْر، ومن دعوة المظلوم، ومن سوء المنظر في الأهل والمال »[2].

وكان ﷺ إذا وضع رجله في الركاب لركوب دابته قال: « بسم الله »، فإذا استوى على ظهرها قال: « الحمد لله » ثلاثًا، « الله أكبر» ثلاثًا، ثم يقول: ﴿ سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾، ثم يقول: « الحمد لله» ثلاثًا، « الله أكبر» ثلاثًا، ثم يقول: « سبحان الله » ثلاثًا، ثم يقول: « لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، سبحانك إني ظلمت نفسي، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »[3] .

وكان إذا ودّع أصحابه في السفر يقول لأحدهم : « أستودع الله دينك

---

(1) أخرجه أحمد ١/٢٥٦و٢٩٩ – ٣٠٠ من حديث أبي الأحوص، عن سماك، عن عِكرمة، عن ابن عباس، ورجاله ثقات إلا أنّ رواية سماك عن عكرمة فيها اضطراب .
والضبنة : ما تحت يدك من مال وعيال ومن تلزمك نفقته؛ سموا ضبنة : لأنهم في ضبن من يعولهم، والضبن : ما بين الكشح والإبط.

(2) أخرجه مسلم (١٣٤٣) في الحج : باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، وأخرجه أبو داود (٢٥٩٩) في الجهاد : باب ما يقول الرجل إذا سافر، وأخرجه الترمذي (٣٤٤٤) في الدعوات، من حديث عبد الله بن سرجس . وقوله : « الحور بعد الكور» أي من التفرق بعد الاجتماع ؛ يقال : كار العمامة : إذا لفها ، وحارها إذا نقضها، وقيل معناه: أنْ تفسد أمورنا بعد استقامتها؛ كنقض العمامة، وقيل: من النقصان بعد الزيادة.

(3) رواه الترمذي (٣٤٤٣) في الدعوات : باب ما جاء ما يقول إذا ركب الدابة ، وأخرجه أبو داود (٢٦٠٢) في الجهاد : باب ما يقول الرجل إذا ركب، وأخرجه أحمد في مسنده (٧٥٣) و (٩٣٠) و(١٠٥٦)، من حديث معمر عن أبي إسحاق أخبرني على بن ربيعة عن عليّ رضى الله عنه، وصححه ابن حبان، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم ٢/ ٩٨ ، ٩٩ من طريق ميسرة بن حبيب=

وأمانتـك وخواتيم عملك »[1].

وجاء إليه رجل فقال: يا رسول الله، إني أريد سفراً، فزودني. فقال : « زودك الله التقوى » . قال: زدني. قال: «وغفر لك ذنبك» . قال : زدني. قال: « ويَسر لك الخير حيثما كنت »[2].

وقال له رجل : إني أريد سفراً، فقال : «أوصيك بتقوى الله والتكبير على كل شـرَف» . فلمّا ولّى قال: « اللهم ازو له الأرض و هوّن عليه السفر »[3] .

وكـان النبي ﷺ وأصحـابه إذا علوا الثنايا كبـروا، وإذا هبطوا سبّحُوا فوُضِعَت الصلاة على ذلك[4].

وكان يكره للمسافر وحده أنْ يسير بالليل، فقال: « لو يعلم الناس ما في الوحدة ما سار أحد وحده بليل»[5].

وكان يقول : « إذا نزل أحدكم منزلاً فليقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل منه » . ولفظ مسلم: «من نزل منزلاً ثم

= النهدى عن المنهـال بن عمـرو عن على بن ربيعة ... وقال: هذا الحديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وذكره الحافظ فى « أمالى الأذكار » عن كـتـاب « الدعاء » للطبراني وقال : رجاله كلهم موثقون من رجال الصحيح إلا ميسرة وهو ثقة .

(١) رواه أبو داود (٢٦٠٠) في الجهاد : باب الدعاء عند الوداع من حديث ابن عمر، وإسناده صحيح، ورواه الترمذى(٣٤٣٩) في الدعوات باب ما يقول إذا ودع إنساناً .

(٢) رواه الترمذي (٣٤٤٠) ، والحاكم ٢ / ٩٧، من حديث أنس بن مالك، وإسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢٧٧١) من حديث أبي هريرة، وسنده حسن، وصححه ابن حبان (٢٣٧٨) و(٢٣٧٩)، والحاكم ٢ / ٩٨، وأقره الذهبى، وأخرجه الترمذي (٣٤٤١). وقوله: التكبير على كل شرف : أي المكان العالي.

(٤)هذه الزيادة وردت في آخر الحديث عند أبي داود (٢٥٩٩)، و هي مدرجة فى الحديث ، وقد أخرجه مسلم بدونها (١٣٤٢)، وروى البخارى في صحيحه ٩٤/٦ في الجهاد باب التكبير إذا علا شرفاً من حديث جابر .

(٥) أخرجه البخارى ٦ /٩٦، والترمذي (١٦٧٣)، والدارمى من حديث ابن عمر.

قال: أعـوذ بكلمـات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك »[1].

وذكر عنه أحمـد أنه كان إذا غزا أو سافر فأدركه الليل قال: « يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خُلق فيك، وشر ما دَبَّ عليك، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود، وحيَّة وعقرب، ومن شر ساكن البلد، ومن شر والدٍ وما ولد»[2].

وكان ينهى أنْ يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أنْ يناله العدو[3].

وكان إذا قفل من سفره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده »[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٨) في الذكر والدعاء باب التعوذ من سوء القضاء، والترمذي (٣٤٣٣) في الدعوات باب ما جاء ما يقول إذا ترك منزلاً، وأبو داود (٢٦٠٣) في الجهاد: باب ما يقول الرجل إذا ترك المنزل.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٣)، وفي سنده الزبير بن الوليد الشامي، ولم يوثقه غير ابن حبان، ومع ذلك فقد صححه الحاكم ٢ / ١٠٠، ووافقه الذهبي، وحسّنه الحافظ في « أمالي الأذكار »، وأخرجه أحمد ٢/ ١٣٢ و ٣ / ١٢٤.

(٣) أخرجه البخارى ٦ /٩٣ في الجهاد ، باب كراهية الضرب إلى أرض العدو بالمصاحف، ومسلم (١٨٦٩) فى الإمارة، باب النهى أن يسافر بالمصحف إلى أرض الكفار، وأبو داود (٢٦١٠) فى الجهاد باب فى المصحف يسافر به إلى أرض العدو، و«الموطأ» ٤٤٦/٢ فى الجهاد: باب النهى عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، وابن ماجه (٢٨٧٩) في الجهاد : باب النهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، وأحمد ٦/٢، ٧، ١٠، ٥٥، ٦٣، ٧٧، ١٢٨.

(٤) أخرجه البخارى ٤٩٢/٣ فى الحج: باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو، وفى الجهاد: باب التكبير إذا علا شرفًا، وباب ما يقول إذا رجع من الغزو، و١١/١٦٠، ١٦١ في الدعوات باب إذا أراد سفراً أو رجع، وأبو داود (٢٧٧٠) في الجهاد: باب فى التكبير على كل شرف فى السير، وأحمد =

وكان ينهى أنْ يطرق الرجل أهله ليلاً إذا طالت غيبته عنهم[1].

وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين[2].

كيفية تصرف الرسول ﷺ ودعاؤه عند الحاجة:

بالإضافة الى ما سبق فقد ثبت عنه ﷺ أنّه علّمهم خطبة الحاجة؛ وهى كما يلى: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ثم يقرأ الآيات الثلاث: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون** ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا** ﴾ [النساء: ١]، ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيمًا** ﴾[3] [الأحزاب: ٧٠-٧١].

وقال: إذا أفاد أحدكم امرأة أو خادماً أو دابة فليأخذ بناصيتها وليدعِ الله بالبركة، وليسمِ الله عز وجل، وليقلْ: « اللهمّ إنى أسألك خيرها وخير ماجبِلَت

= ٦٣/٢ من حديث ابن عمر، ومالك فى الموطأ ٤٢١/١ في الحج باب جامع الحج .

(١) أخرجه البخارى ٤٩٣/٣ فى الحج : باب الدخول بالعشى، وباب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة، وفي النكاح: باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أنْ يتخوّنهم أو يلتمس عثراتهم، ومسلم فى الإمارة: باب كراهة الطروق وهو الدخول ليلاً لمن ورد من سفر، رقم الحديث الخاص «١٨٢، ١٨٣، ١٨٤»، والترمذى (٢٧١٣) وأبو داود (٢٧٧٦) والدارمى(٢٧٥/٢)، وأحمد ٣٠٢/٣، ٣٠٨، ٣١٠، ٣٥٨، ٣٩١، ٣٩٦، من حديث جابر رضى الله عنه .

(٢) أخرجه البخارى ٨٩/٨، ومسلم (٢٧٦٩) ، وأبو داود (٢٧٨١)، من حديث كعب بن مالك.

(٣) أخرجه الترمذي (١١٠٥) فى النكاح : باب فى خطبة النكاح، وابن ماجة (١٨٩٢) في النكاح، وأحمد (٤١١٦)و (٣٧٢١)، والنسائي ٨٩/٦ في النكاح: باب ما يستحب من الكلام عند النكاح، والبيهقي في السنن ١٤/٣ ، من طرق، عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن ابن مسعود مرفوعاً. وسنده قوى، وحسنه الترمذى.

عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه »[1]

دعاء الرسول ﷺ عند رؤية مبتلى:

أخرج الترمذي، وأبو نُعيم، وابن ماجة، عن أبي هريرة - رضى الله عنه - مرفوعاً : «ما من رجل رأى مبتلى[2] فقال : الحمد لله الذى عافاني مما ابتلاك به وفَضّلني على كثير ممن خلق تفضيلاً إلا لم يصبه ذلك البلاء كائناً ما كان »[3].

دعاء

وكان ﷺ إذا رأى ما يحب قال : «الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات »، وإذا رأى ما يكره قال: «الحمد لله على كل حال»[4].

وهكذا فإنّ الشريعة الإسلامية هى أكمل الشرائع على الإطلاق وأصلحها لكل زمان ومكان مما يوجب علينا التمسك بها والسير على نهجها القويم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *

---

(١) أخرجه البخارى في « أفعال العباد» صـ ٧٧ والبيهقى ٧ /١٤٨ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وسنده حسن، وصححه الحاكم ١٨٥/٢ ووافقه الذهبى، وأخرجه أبو داود (٢١٦٠) في النكاح : باب في جامع النكاح، وابن ماجه (١٩١٨) في النكاح : باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله .

(٢) مبتلى : أى ابتلاء دينياً، كارتكاب معصية، أو دنيوياً، من مال يلهيه عن عبادة ربه، أو لا يحسن التصرف فيه، أو جاه عريض يفضي به إلى الظلم، أو مرض وسقم، وهو خالٍ عن ذلك .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٤٢٨) في الدعوات : باب ما جاء ما يقول إذا رأى مبتلى، من حديث أبى هريرة وحسنه، والترمذى (٣٤٢٧)، وأبو نُعيم في الحلية ٢٦٥/٦ ، وابن ماجة (٣٨٩٢)، وآخر عند أبى نعيم فى الحلية ١٣/٥.

(٤) أخرجه ابن ماجة (٣٨٠٣)، وابن السني (٣٨٠)، من حديث عائشة، وسنده ضعيف، لكن يشهد له حديث أبى هريرة عند أبى نُعيم في الحلية ١٥٧/٣، وابن ماجة (٣٨٠٤)، وسنده ضعيف، فيتقوى به .



الخاتمة

وتتكون من :

١ – النتائج .　　　٢– المراجع .　　　٣ – الفهرس.

١ – النتائج:

تتكون الرسالة من مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة :–

أما المقدمة فعبارة عن عدة نقاط، تحدثتُ في النقطة الأولى منها عن التطير، الذى هو من بدع الجاهلية وأدرانها، وكيف أعاده الشيطان في هذا الزمان أكثر مما كان عليه في الجاهلية، وبأضعاف مضاعفة، حتى أن جميع وسائل الإعلام الحديثة قد أصبحت تروّج لهذا الضلال مما يترتب عليه إفساد المجتمع، وتخريبه، وإبعاده عن الدين الحق .

وبيّنْتُ في النقطة الثانية أنَ هذا الموضوع على شدة خطورته من النواحي الدينية والاقتصادية والاجتماعية فإنّ مكانه يكاد يكون خاليًا من المكتبة الإسلامية.

ثم عرّفت القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح و بيّنْتُ أسماء القرآن الكريم .

وعرّفت السنة النبوية المطهرة، ثم عرفت المعاني المختلفة لكلمة (طير)، وعرّفت الطيرة، ثم تحدثت عن المراد بكلمة طير الواردة فى عنوان الرسالة، وَ فرّقتُ بين الطيرة، وبين الفأل والعيافة، والزجر، ثم بينْتُ العلاقة بين كل من الألفاظ السابقة وبين الطيرة .

ثم ذكرت مواضع الطيرة في كل من القرآن الكريم، والسنة، والشعر الجاهلي.

وأما الباب الأول، فهو يحكي عن أصل الطيرة، ونشأتها، وتطورها في الجاهلية، وينقسم إلى ثلاثة فصول :

تحدثت في الفصل الأول : عن أصل الطيرة من خلال المصادر المعتبرة، وهي القرآن الكريم، ثم الأدب الجاهلي، وبَيّنْتُ أشدّ ما تشاءموا منه، مع ذكر السبب في

ذلك... ثُمَّ دفعت شبهة عن أم المؤمنين السيدة عائشة - رضى الله عنها - ثم ذكرت أنَّ الجاهليين قد تفاوتوا في درجات تطيرهم وعلمهم بالزجر والعيافة .

وتحدثت في الفصل الثاني عن دواعي التطير في الجاهلية، ثم استفحال هذا الأمر في عصرنا الحاضر حتى أصبح داء عُضَالاً دخل إلى كل بيت تقريباً عن طريق وسائل الإعلام المختلفة، وبطريقة خبيثة ملتوية، وأهداف مدروسة لإبعاد المسلم عن دينه، وتعليقه بغير خالقه.

وأما الفصل الثالث: فقد جمعت فيه طائفة من الأمثال العربية التي ضُرِبت فى الشؤم، مع إيراد قصة كل مثل.

والباب الثانى : يحكى عن حقيقة الطيرة، وأدلة فسادها، وينقسم إلى ثلاثة فصول.

تحدثت في الفصل الأول عن ماهية الطيرة، واستدللت بالآيات القرآنية الكريمة على أنَّ الطيرة غريزة مكتسبة، وتزيد وتنقص بقدر ما في النفس الإنسانية من إيمان، حيث أنَّ قوة الإيمان تحفظ صاحبها - بإذن الله تعالى - من أدران الشرك، ومقومات الفساد .

والفصل الثانى : تحدثت فيه عن فساد الطيرة وبطلانها من خلال عالم الطيور، واستشهدت على ذلك بأدلة منها : قصة ولدي آدم عليه السلام مع الغراب فى سورة المائدة، حيث أنَّ الغراب هو أشد ما تشاءم به الجاهليون، ثم ذكرت الجراد، وبيَّنْتُ أنه لا يمكن أن ينفع أو يضر أحداً إلا بإذن الله تعالى، ثم بيَّنْتُ أنَّ الطيور مسخرة بأمر الله تعالى فلا معنى للتطير بها.

الفصل الثالث : وقد تحدثت فيه عن فساد الطيرة وبطلانها من خلال الشواهد المختلفة وهي : القرآن الكريم، وسنة الرسول محمد ﷺ، وإجماع الأمة الإسلامية متمثلة في أفضل رجالها وهم الصحابة والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، ثم بيان فساد الطيرة بالتجربة والعقل.

الباب الثالث : وقد بيّنتُ فيه حكم الطيرة في الشريعة الإسلامية، وينقسم هذا الباب إلى ستة فصول :

الفصل الأول : وقد تحدثت فيه عن النهي عن الطيرة، وأوردت الأحاديث التي تدل على ذلك، ثم وفّقتُ بين الأحاديث المتعارضة، وبيّنتُ خلاصة الأقوال فيها، ثم دعوت إلى التفكير والتأمل في قول الرسول ﷺ: « فِرَّ من المجذوم كما تفر من الأسد » واستنتجت من هذا الحديث الشريف عدة فوائد، كلها تشهد لسيدنا محمد ﷺ بصدق نبوته، وأنه لا ينطق عن الهوى: ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [النجم :٤].

الفصل الثاني : ويتحدث عن بيان موضع الشؤم، وأنه في ثلاث، ثم بيّنتُ المراد بذلك، وخَلَصْتُ إلى سماحة الدين الإسلامي، وصلاحيته لكل زمان ومكان، وَدَعْوَتِه للأخذ بالأسباب المشروعة مع التوكل على الله سبحانه وتعالى في كل الأمور، والإيمان بالقضاء والقدر.

الفصل الثالث: وقد وضّحْتُ فيه حكم الطيرة وأنها شرك مما يستدعى تركها وعدم الالتفات إليها.

الفصل الرابع : بيّنتُ فيه حد الطيرة المنهي عنها حتى يكون المرء على بينة من أمره ولا يقع في المحظور.

الفصل الخامس : وفيه بيّنتُ كفارة الطيرة .

الفصل السادس : وفيه بينت استحباب الفأل مع إيراد الأحاديث الشريفة التي تدل على ذلك، ودفعت شبهة عن رسول الله ﷺ فى بيان الفأل الذي يحبه، فالفأل الذى يحبه رسول الله ﷺ مخالف للفأل الذي هو من جنس الطيرة الشركية.

الباب الرابع : وفيه تكلّمت عن محاسن الشريعة الإسلامية في الهداية لما هو أقوم، ويشتمل على ما يلى :

١ - دور الشريعة الإسلامية فى إخراج الناس من الظلمات إلى النور، كما أشرت إلى عدم إمكان الاستغناء عن السنة النبوية الشريفة كأصل من أصول الدين.

٢ – ثم بينت البديل عن الطيرة بما أنعم الله على البشرية من التعاليم الإسلامية المتمثلة في تقوى الله سبحانه وتعالى، ومراقبته، واستخارته في كل الأمور.

٣ – ثم تكلمت عن الاستشارة ، ومشروعيتها، والأسوة الحسنة فيها، وحسن الاختيار فيها، وإخلاص النصيحة، والتحذير من استشارة غير المؤمنين.

٤ – ثم بيَّنْتُ كيفية تصرف الرسول ﷺ أثناء السفر .

٥ – وبينت كيفية تصرف الرسول ﷺ ودعاءه عند الحاجة.

* * *

ثبت المراجع

التفسير وعلوم القرآن :

١ – القرآن الكريم.

٢ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر.

٣ – تفصيل آيات القرآن الحكيم . وضعه بالفرنسية (جول لابوم) ترجمة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الكتاب العربي بيروت.

٤ – كلمات القرآن تفسير وبيان ـ الشيخ حسنين محمد مخلوف.

٥ – جامع البيان في تفسير القرآن ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفَّى سنة ٣١٠ ـ المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق١٣٢٣ هـ ١٣٢٩ هـ دار المعرفة ـ لبنان.
وبهامشه « تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان »
ـ نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابوري.

٦ – الجامع لأحكام القرآن ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبي المتوفى ٦٧١هـ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر سنة ١٩٦٧م .

٧ – تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبو القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى سنة ٥٣٨ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٦٦م.

٨ – تفسير البيضاوي ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ ناصر الدين البيضاوي المتوفى سنة ٦٨٢هـ وقيل ٦٨٥هـ المطبعة العثمانية سنة ١٣٠٥ هـ.

٩ – تفسير الجلالين مطبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركاه سنة ١٣٤٢هـ.

١٠ – تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق محمد زهري النجار المؤسسة السعيدية، الرياض .

١١ – تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير (٧٠٠ – ٧٧٤)هـ الطبعة الثانية ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة . ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤ م .

١٢ – البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبى الطبعة الأولى سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م .

١٣ – مناهل العرفان في علوم القرآن ـ محمد عبد العظيم الزرقاني ـ عيسى البابي الحلبي ١٣٦٢هـ = ١٩٤٣م.

١٤ – الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤ – ١٩٧٥م.

١٥ – التفسير والمفسرون ـ محمد حسين الذهبي المتوفى سنة ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م دار الكتب الحديثة ١٣٨١هـ / ١٩٦١ م مطابع دار الكتاب العربى بمصر.

١٦ – دراسات قرآنية ـ حسن إسماعيل منصور ـ المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

الحديث وعلوم الحديث

١ - صحيح البخاري - دار مطابع الشعب .
٢ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
٣ - صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبى وشركاه - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
٤ - متن البخارى بحاشية السندي - طبع بمطبعة دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٥ - سنن أبي داود للإمام الحافظ أبي داود بن الأشعث السجستاني الأزدي (٢٠٢ - ٢٧٥هـ) توفى بالبصرة، ومعه كتاب معالم السنن للخطابي (٣١٩-٣٨٨هـ) تعليق عزت الدعاس - نشر وتوزيع محمد على السيد حمص - الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م / ١٩٧٠.
٦ - صحيح ابن حبان - ترتيب الأمير علاء الدين الفارسي. تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - الطبعة الأولى - الناشر: محمد عبد المحسن الكتبي ١٣٩٠هـ -١٩٧٠م.
٧ - صحيح الجامع الصغير للسيوطي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩هـ.
٨- سنن النسائى مع شرحه زهر الربي. ط - المطبعة النظامية الواقعة فى الكانفور ١٢٩٦ هـ.
٩ - الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ٢٠٩- ٢٩٧هـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض - ط . مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٠ - سنن أبى داود (٢٠٢-٢٧٥هـ) الطبعة الأولى ط . مصطفى البابي الحلبى وأولاده بمصر .
١١ - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين - شرح الإمام الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ على كتاب عدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
١٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - دار صادر للطباعة والنشر - بيروت.
١٣- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مطبعة عيسى البابي الحلبى ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.
١٤- مفتاح الصحيحين البخارى ومسلم - محمد الشريف بن مصطفى التوقادى - طبعة مصورة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م. دار الكتب العلمية - بيروت .
١٥- الجامع الأزهر في حديث النبى الأنور - للحافظ المناوى. المركز العربى للبحث والنشر - القاهرة ١٩٨٠.
١٦ - المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى - رتبه ونظمه لفيف من المستشرقين - مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩٤٣م.
١٧ - سنن ابن ماجة (٢٠٧-٢٧٥هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
١٨ - الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي - لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة (٢٠٩-٢٩٧هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - مطبعة مصطفى البابي الحلبى وأولاده بمصر.

١٩ - المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري - دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢٠ - السنن الكبرى للبيهقي، وفي ذيله الجوهر النقي، الطبعة الأولى١٣٥٥هـ دار صادر بيروت.
٢١ - الموطأ للإمام مالك بن أنس - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٢ - تجريد التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر المتوفى ٤٦٣هـ مكتبة القدسي بالأزهر - بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ.
٢٣ - مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي على كتاب الجامع الصغير للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م - دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه .
٢٤ - الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير - للجلال السيوطي - ترتيب الشيخ يوسف النبهاني ط. مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٣٥٠هـ.
٢٥ - مشكاة المصابيح تأليف الشيخ ولي الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - منشورات المكتب الإسلامي بدمشق - الطبعة الأولى ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
٢٦ - صحيح مسلم المتوفى سنة ٢٦١هـ بشرح النووي المولود سنة ٦٣١هـ - المطبعة المصرية ومكتبتها تأسست عام ١٩٢٤م.
٢٧ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - لأبي نُعيم المتوفى سنة ٤٣٠هـ - دار الكتاب العربي - بيروت لبنان.
٢٨ -فتح الباري شرح البخاري، لابن حجر - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - مكتبة الرياض الحديثة - الرياض.
٢٩ - جامع العلوم والحكم . ابن رجب رئاسة البحوث العلمية والإفتاء - الرياض .
٣٠ - الحديث النبوي - محمد الصباغ - الطبعة الثالثة - المكتب الإسلامي.
٣١ - دراسات في الحديث النبوي. محمد الأعظمي - مطابع جامعة الرياض .
٣٢ - جامع الأصول في أحاديث الرسول، ابن الأثير الجزري - تحقيق عبد القادر الأرناؤوط - مطبعة الملاح ١٣٩٠-١٩٧٠م.
٣٣ - الوابل الصيب من الكلم الطيب . ابن قيم الجوزية . حققه إسماعيل الأنصاري - البحوث العلمية - الرياض.
٣٤ - نيل المرام شرح عمدة الأحكام، حسين سليمان النوري علوي عباس المالكي الطبعة الثالثة مكتبة الاقتصاد - مكة.
٣٥ - دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين - محمد بن علّان الصديقي الشافعي، علق عليه محمود حسن ربيع - مطبعة مصطفى البابي الحلبي - الطبعة الأخيرة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
٣٦ - رياض الصالحين - أبو زكريا النووي، تحقيق محمد الصادق بسيس - دار التراث - القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٣٧ - مفتاح كنوز السنة - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - لاهور ١٣٩١هـ.
٣٨ - مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي - شرح الإمام محمد عبد الرؤوف المناوي على كتاب الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى في سنة ٩١١هـ - للفقير إلى الله مصطفى محمد عمارة الطبعة الأولى (١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م) دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه.

كتب الفقه والأصول:

١ – الكتاب والسنة ـ محمد البنا ـ الطبعة الثالثة ١٩٦٩م ـ مطابع سجل العرب .

٢ – الموافقات ـ أبوإسحاق الشاطبي ـ مطبعة المكتبة التجارية ـ الطبعة الأخيرة.

٣ – فقه السنة السيد سابق : دار الكتاب العربى ـ الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٤ – منهاج المسلم ـ أبو بكر الجزائري ـ دار الفكر الطبعة الثامنة ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

٥ – الفتاوى الكبرى : لابن تيمية ـ البحوث العلمية والإفتاء ـ المملكة السعودية .

كتب التراجم:

١ – الإصابة فى تمييز الصحابة ـ تأليف ابن حجر المولود سنة ٧٧٣و المتوفى سنة ٨٥٢ هـ وبهامشه الاستيعاب فى أسماء الأصحاب لأبى عمر يوسف القرطبى المالكى المولود سنة ٣٦٣هـ المتوفى بشاطبة سنة ٤٦٣هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

٢ – أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير (٥٥٥–٦٣٠هـ) تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد عاشور ومحمود فايد ـ دار الشعب .

٣ – الأعلام ـ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين تأليف خير الدين الزركلى ـ الطبعة الثالثة.

٤ – تهذيب التهذيب ـ ابن حجر العسقلانى ـ طبع الهند ١٣٢٥هـ.

كتب العقيدة والفلسفة :

١ – إبطال التنديد شرح كتاب التوحيد ـ حمد بن على بن عتيق ـ تصحيح ومراجعة إسماعيل بن سعد بن عتيق ـ دار القرآن الكريم ـ بيروت ١٤٠٠هـ .

٢ – مجموعة التوحيد ـ ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب ـ المكتبة السلفية بباب الرحمة – المدينة المنورة.

٣ – الجديد في شرح كتاب التوحيد ـ محمد القرعاوى الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م ـ مكتبة التوفيق ـ الرياض .

٤ – معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول فى التوحيد ـ حافظ بن أحمد الحكمى ـ مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ـ المملكة السعودية.

٥ – قرة عيون الموحدين ـ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوهاب ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

٦ – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ـ الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ط: السابعة ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧م مطبعة السنة المحمدية.

٧ – أرجوزة سلم الوصول إلى علم الأصول فى توحيد الله واتباع الرسول ﷺ جمع حافظ بن أحمد الحكمى ١٣٧٣هـ مكة ـ مطابع البلاد السعودية الشامية .

كتب التاريخ والسير:

١ – تاريخ الخلفاء ـ جلال الدين السيوطي المتوفى عام ٩١١ من الهجرة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ـ الطبعة الأولى فى عام ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م ـ مطبعة السعادة بمصر .

٢ – مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ بولاق ١٢٨٣هـ.

٣ – مختصر زاد المعاد ـ ابن قيم الجوزية ـ المكتب الإسلامى ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٣٩١هـ.

٤ – نور اليقين فى سيرة سيد المرسلين ـ محمد الخضرى ـ .

٥ – مختصر سيرة الرسول ـ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض.

٦ – مختصر سيرة الرسول ـ لشيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب ـ مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض .

٧ – تاريخ الطبري ـ ابن جَرير الطبري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ ط دار المعارف ١٩٦٣م .
٨ – الأندلس تاريخ وعبرة ـ للشيخ عبد العزيز المسند .
٩ – زاد المعاد في هدى خير العباد لابن قيم الجوزية (٦٩١-٧٥١هـ) تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ـ مكتبة المنار الإسلامية ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

كتب القواميس والمعاجم :

١ – مختار الصحاح ـ الشيخ محمد الرازي ـ ترتيب محمود خاطر ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢ – معجم البلدان ـ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة .
٣ – المنجد في اللغة ـ الطبعة العشرون ـ دار الشرق بيروت .
٤ – القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروزابادي.
٥ – لسان العرب ـ ابن منظور الأفريقي ـ دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٥٥م – ١٣٧٥هـ.
٦ – النهاية في غريب الحديث والأثر ـ ابن الأثير ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي ـ دار احياء الكتب العربية ـ الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م.

كتب اللغة والأدب :

١ – كتاب الحيوان ـ الجاحظ ـ طبعة الساسي وطبعة هارون .
٢ – المستقصى في أمثال العرب ـ الزمخشري ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٨١هـ – ١٩٦٢م.
٣ – جمهرة أشعار العرب ـ أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشى ـ المطبعة الرحمانية.
٤ – الشعر الجاهلي ـ دكتور سيد حنفى حسنين. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧١م.
٥ – الحياة العربية من الشعر الجاهلي ـ د. أحمد محمد الحوفى ـ الطبعة الثالثة ـ مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.
٦ – ديوان عنترة ـ دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٧٧هـ – ١٩٥٨م.
٧ – كتاب مجنون ليلى ـ جمع وتحقيق وشرح عبد الستار فراج ـ ملتزم الطبع والنشر دار مصر للطباعة
٨ – بلوغ الأرب في أحوال العرب ـ محمود شكري الألوسي ـ مطبعة دار السلام ببغداد.
٩ – الأمالي ـ القالي ـ طبعة دار الكتب.
١٠ – المفضليات ـ الضبي ـ شرح الأستاذين شاكر وهارون ـ وطبعة السندوبي.
١١ – المعلقات العشر ـ الشنقيطى.
١٢ – الأغاني ـ الأصفهاني طبعة دار الكتب والساسي.
١٣ – الحماسة ـ البحتري ـ المطبعة الرحمانية .
١٤ – شرح ديوان المتنبي عبد الرحمن البرقوقي ـ الطبعة الثانية ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م مطبعة الاستقامة بالقاهرة.
١٥ – العمدة في صناعة الشعر ونقده ـ ابن رشيق . مطبعة أمين هندية.
١٦ – الشعر والشعراء ـ لابن قتيبة ـ تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر الطبعة الثانية ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٦م.
١٧ – الإمتاع والمؤانسة ـ أبو حيان التوحيدي ـ صححه أحمد أمين وأحمد الزين القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٩م.
١٨ – مجمع الأمثال ـ الميداني ـ المطبعة الخيرية سنة ١٣١٠هـ.

١٩ – جمهرة الأمثال – أبو هلال العسكري – على هامش مجمع الأمثال للميداني – المطبعة الخيرية ١٣١٠هـ.
٢٠ – البيان والتبيين – الجاحظ – تحقيق حسن السندوبي – طبعة ثانية، وطبعة هارون.
٢١ – محمود أبو الوفا – دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه – الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.
٢٢ – ديوان عبيد بن الأبرص – ليال.
٢٣ – شعراء النصرانية – لويس شيخو اليسوعي.
٢٤ – الحماسة الصغرى : مخطوط – ط أدب ٢٢٩٧ دار الكتب.
٢٥ – ديوان مجنون ليلى – مطبوع.
٢٦ – تاريخ الأدب العربي – العصر العباسي الأول – الدكتور شوقي ضيف – طبعة ثانية – دار المعارف بمصر.
٢٧ – تاريخ الأدب العربي – العصر الجاهلي – الدكتور شوقي ضيف الطبعة الرابعة دار المعارف بمصر.
٢٨ – جمهرة أشعار العرب – أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي – المطبعة الرحمانية.

كتب مختلفة (أو مباحث عامة) :

١ – الإعجاز الطبي في القرآن – الدكتور الجميلي – محمد متولي الشعراوي – دار التراث العربي للطباعة والنشر – القاهرة .
٢ – مفتاح دار السعادة – ابن قيم الجوزية – مكتبة الرياض الحديثة .
٣ – شذرات البلاتين من طيبات سلفنا الصالحين – جمع وترتيب محمد حامد الفقي ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م.
٤ – خلق المسلم – محمد الغزالي – الطبعة الثامنة ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م – دار الكتب الحديثة.
٥ – الحسنة والسيئة وموقف العبد عندهما – ابن تيمية .
٦ – الموسوعة العربية – دار ريحاني للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٥٥م.
٧ – تعطير الأنام، وبهامشه كتاب منتخب الكلام – ابن سيرين – دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٨ – حياة الحيوان الكبرى – للدميري، وبهامشه عجائب المخلوقات للقزويني – المكتبة الإسلامية .
٩ – أعجب الرحلات في التاريخ – أنيس منصور الطبعة الرابعة ١٩٧٧م المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر.
١٠ – قصة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز – للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة ١٩٧٠م.
١١ – مجلة الحوادث اللبنانية – تأسيس لطف الله خلاط – السنة الرابعة والعشرون – العدد ١٢١٥ سنة ١٩٨٠م.
١٢ – مجلة ألوان الأسبوعية – بيروت – لبنان سنة ١٩٨٠م السنة الثانية – العدد٧٢.
١٣ – مجلة الشرق الأوسط السعودية الأسبوعية العدد رقم « ٨١ » السنة الثالثة ١٩ رجب سنة ١٤٠٠هـ.
١٤ – جميع الصحف والمجلات العربية اليومية والأسبوعية.

* * *

الفهرس

* * *

رقم الإيداع : ٢٥٩٣ / ١٩٩٤
طبع بدار نوبار للطباعة